موسوعة الاغتيالات
ومحاولات الاغتيال في العالم

الجزء التاسع

د. سليم الياس





موسوعة
الاغتيالات ومحاولات الاغتيال
في العالم

تنويه

أولاً: إن عرض هذه الموسوعة من حوادث الاغتيال قد تم سرد مواضيعها حسب التسلسل الزمني لوقوع حادث الاغتيال، حيث أنها لا تندرج بأيّ شكلٍ من أشكال التصنيف أو الترقيم.

ثانياً: إن المواضيع التي وردت في موسوعة الاغتيالات ومحاولات الاغتيال في العالم لا تعبّر بالضرورة عن رأي مركز الشرق الأوسط الثقافي أو عن رأي المؤلف، وإنما هي مستقاة من المراجع والمستندات والمواقع الإلكترونية والتي تم ذكرها في هوامش كل موضوع، وبذلك فهي لا ترتب أية مسؤولية قانونية لا على الناشر ولا على المؤلف.

الناشر

سليم الياس

موسوعة
الاغتيالات ومحاولات الاغتيال
في العالم

الجزء التاسع

مركز الشرق الأوسط الثقافي

الطبعة الأولى
1427 هـ 2006 م

مركز الشرق الأوسط الثقافي
للطباعة والنشر والترجمة والتوزيع

The Middle East Cultural Centerr
For Printing, Publishing, Translation & Distribution

الإدارة العامة:
بيروت - الحدث، هاتف: ٤٦١٨٨٨ - ٥ - ٩٦١
فاكس: ٤٦١٧٧٧-٥-٩٦١- خليوي: ٦٤٠٤٩٠-٣-٩٦١
Web site: www.lccpublishers.tk

General Management:
Beirut - Hadath, Tel: 961 -5 -461888
Fax: 961 - 5 - 461777, Mobile: 961 - 3 - 640490
E-mail: lcc_pub@Yahoo.com

المقدمة

اعتمد اللبنانيون، واللاعبون الخارجيون الموجودون على الساحة اللبنانية، القتل وسيلة للتعبير عن الاختلاف السياسي قبل اندلاع الحرب الأهلية عام 1975 بكثير. لكن الحرب الأهلية أدخلت تغييرات نوعية في طريقة الاغتيال، كما لعبت دوراً في تكثيفها.

ولم يكن الاغتيال دائماً وسيلة لإزاحة معارض أو شخصية سياسية، ففي كثير من الأحيان قتل أشخاص لمجرد «بعث رسائل إلى من يهمهم الأمر»، أو لـ «تصويب» أداء سياسي ما. واللافت أن غالبية عمليات الاغتيال التي حصلت بقي فاعلها مجهولاً على الورق، لكن اللبنانيين واصلوا إطلاق الاتهامات بخصوصها، وقد حظيت إسرائيل وسورية بالنصيب الأكبر من هذه الاتهامات.

ورغم أن هذه الاغتيالات لم توفر الزعماء والرؤساء، إذ أودت برئيسي جمهورية ورئيسي حكومة، إلا أن آثار اغتيال الرئيس الراحل رفيق الحريري كانت الأكبر من دون شك. إذ أن الاغتيال أدى إلى تحول سياسي جذري في لبنان، ولاقى استنكاراً دولياً غير مسبوق.

أول الاغتيالات السياسية في لبنان في التاريخ الحديث، كان مقتل النائب والوزير السابق محمد العبود عند مدخل القصر الجمهوري في محلة القنطاري في غرب بيروت. إذ انتظره مسلح من آل العلي، لخلافات انتخابية، وبادره بإطلاق النار لدى خروجه من قصر الرئاسة بعد لقاء مع الرئيس كميل شمعون في بداية عهده.

وفي ختام عهد شمعون، اغتيل الصحافي نسيب المتني، يوم 27 أيار/مايو عام 1958، الذي كان يشن الحملات على الرئيس شمعون لمحاولته تجديد ولايته، وقد اتهم المعارضون «المكتب الثاني»، أي استخبارات الجيش، باغتياله. وكانت شرارة ثورة 1958 التي اندلعت في لبنان واستدعت تدخلاً أميركياً مباشراً في القضية اللبنانية. وقد تكرر اغتيال الصحافيين 3 مرات بعد ذلك، إذ خطف رئيس تحرير مجلة «الحوادث» سليم اللوزي في آذار/مارس عام 1980 خلال زيارة له إلى بيروت، وقد وجدت جثته مشوهة إلى حد كبير، وأصابعه محروقة بالأسيد. وفي تموز/يوليو من العام نفسه، اغتيل نقيب الصحافة اللبنانية رياض طه على يد مسلحين مجهولين.

وفي العام 1966، اغتيل صاحب جريدة «الحياة» كامل مروة في مكتبه برصاص مسدس كاتم للصوت أطلقه أحد عناصر الميليشيات اليسارية اللبنانية. وفي العام 1973، دخلت إسرائيل مباشرة على خط الاغتيالات، فأرسلت وحدة كوماندوس إلى محلة فردان في بيروت وقتلت 3 قادة فلسطينيين، وقد كررت إسرائيل السيناريو

نفسه عام 1984 فقتلت إمام بلدة جبشيت الجنوبية راغب حرب.

وفي شباط/فبراير عام 1975، كان اغتيال النائب معروف سعد خلال ترؤسه تظاهرة للصيادين في مدينة صيدا بجنوب لبنان، إحدى شرارات الحرب الأهلية اللبنانية، ووسط الفوضى التي كانت قائمة في بدايات الحرب، قتلت ليندا جنبلاط، شقيقة رئيس الحزب التقدمي الإشتراكي، وزوجة الشاعر سعيد عقل في شرق بيروت الذي كانت تسيطر عليه الميليشيات المسيحية، لكن جنبلاط رفض الدخول في ردات الفعل والتقى بعدها زعيم الميليشيات بشير الجميل الذي أكد له أن «الحادث فردي».

وفي العام 1976 دخلت السيارة المفخخة مجال الاغتيالات السياسية، وكان ضحيتها علي حسن سلامة المسؤول عن جهاز أمن حركة «فتح»، أما كمال جنبلاط فقد سقط بدوره ضحية كمين مسلح نصب له في بلدة بعقلين خلال توجهه من مقره في المختارة إلى عاليه في 16 آذار/مارس عام 1977. تلت عملية الاغتيال مذابح ارتكبت بحق أهالي القرى المسيحية في الجبل، وبعدما تسلم وليد جنبلاط الإرث السياسي والحزبي من والده، وتوجه نحو تحالف أوثق مع سورية، غير أنه عاد أخيراً ليتهمها (تلميحاً لا تصريحاً) باغتيال والده. وأتت محاولة اغتيال عضو كتلة جنبلاط النائب مروان حمادة في تشرين الأول/أكتوبر عام 2005 لتفك عرى هذا التحالف من جديد. أما حرب «توحيد البندقية المسيحية» التي خاضها الرئيس الراحل بشير الجميل خلال الحرب الأهلية، فقد أدت إلى الكثير من الاغتيالات والمجازر

كمجزرة الصفرا بحق أنصار الرئيس كميل شمعون، ومجزرة إهدن التي أودت بحياة النائب طوني فرنجية، نجل الرئيس سليمان فرنجية وزوجته وطفلتهما. وقد دفع الجميل نفسه الثمن مرتين، الأولى بمقتل ابنته مايا (سنة ونصف) بتفجير سيارة مفخخة في 23 شباط/فبراير 1980، ثم باغتياله شخصياً بتفجير مقر حزب الكتائب خلال مشاركته في إجتماع عقد فيه قبل تسعة أيام من تسلمه مهامه الدستورية كرئيس للبلاد. وقد أدى الانفجار إلى مقتل 32 شخصاً. وفي الثمانينات أيضاً ازدهرت عمليات الاغتيال التي طالت فيمن طالت مسؤولين في حركة «أمل» بتفجير عبوة ناسفة عام 1985، ورئيس القضاء المذهبي الدرزي الشيخ حليم تقي الدين عام 1983، ورئيس المجلس الإسلامي الشرعي الأعلى الشيخ صبحي الصالح في بيروت عام 1986. وبعدما كان رئيس الوزراء الأسبق، رياض الصلح، ضحية لعملية اغتيال في الأردن قام بها لبنانيان وفلسطيني عام 1951، انتقاماً لإعدام رئيس الحزب السوري القومي الإجتماعي أنطون سعادة الذي أدين بتهمة القيام بانقلاب فاشل، أتى دور الرئيس الأسبق للحكومة رشيد كرامي الذي قتل بطريقة مبتكرة، إذ انفجرت عبوة زرعت خلف مقعده في طائرة الهليكوبتر العسكرية التي كانت تقله من طرابلس إلى بيروت. ولم يؤد الانفجار إلى سقوط الطائرة ولا حتى إصابة الوزير عبد الله الراسي الذي كان يجلس قبالته في الطائرة. وقد أدين قائد «القوات اللبنانية» سمير جعجع بتدبير العملية وحكم عليه بالإعدام مخففاً إلى السجن المؤبد.

وفي 16 أيار/مايو 1989، اغتيل مفتي لبنان الشيخ حسن خالد بتفجير سيارة مفخخة لدى مرور موكبه في محلة عائشة بكار في بيروت. أيضاً كانت الساحة اللبنانية مسرحاً لعدة اغتيالات استهدفت الدبلوماسيين العرب والأجانب، كجزء من الرسائل المتبادلة بين الدول «المتورطة» في الملف اللبناني. وأبرز السفراء الذين اغتيلوا في بيروت، كان السفير الأميركي فرنسيس ميلوي الذي خطف لدى وصوله إلى بيروت مع المستشار السياسي في السفارة روبرت وارينغ وسائقهما اللبناني قبل أن يقتلوا جميعاً.

وفي خضم الحرب العراقية ـ الإيرانية، اغتيل في بيروت الملحق في سفارة العراق محمد علي خضير عباس مع مرافقه، وبعد نحو أسبوع اغتيل المستشار السياسي للثورة الإسلامية الإيرانية محمد صالح الحسيني. وفي 4 أيلول/سبتمبر عام 1981، حاول مسلحون خطف السفير الفرنسي لوي دو لامار، ثم قتلوه لدى مقاومته إياهم، وبعدها بعام اغتيل الملحق العسكري الفرنسي غي كفالو وزوجته في منزلهما في غرب بيروت. ودفع الدبلوماسي الروسي أركادي كاناكوف ثمن تدخل بلاده في الساحة اللبنانية، إذ خطفه مسلحون مجهولون ثم قتلوه عام 1985. وهناك دبلوماسيون آخرون قتلوا في لبنان كسفير اليمن أحمد محمد الشافي 1975، والسكرتير الأول في السفارة التركية أوكتار سيريت 1979، والوزير المفوض في السفارة الجزائرية رابح خرواع 1982، وقنصل النمسا غيرهارد لوتسنبارو 1984، والسكرتير الأول في السفارة الأردنية نائب عمران المعايطة عام 1994.

وبعدما أقر إتفاق الطائف، لاح أمام اللبنانيين فجر جديد بسبب الدعم المحلي والعربي والدولي الذي ناله الرئيس المنتخب رينيه معوض الذي أنهى سنة من الفراغ الرئاسي ـ بسبب العجز عن انتخاب رئيس عام 1988ـ، غير أن اغتيال معوض بتفجير استهدف موكبه بعيد مشاركته في احتفال بعيد الإستقلال في 22 تشرين الثاني/ نوفمبر عام 1989 كان رسالة أخرى أن العنف السياسي سيد الموقف في الصراع داخل لبنان. ولم تمر الإطاحة بالعماد ميشال عون وحكومته بعملية لبنانية ـ سورية في 13 تشرين الأول/ أكتوبر عام 1990، من دون ضحايا، إذ اغتال مسلحون ملثمون رئيس حزب الوطنيين الأحرار داني شمعون وزوجته وطفليه في منزلهما بعد أيام على الإطاحة بعون. وقد أدين قائد «القوات اللبنانية» سمير جعجع بإصدار أمر الاغتيال وحكم بالإعدام مخففاً إلى المؤبد، لكن كما في اغتيال كرامي يصر «القواتيون» على أن سورية هي التي قامت بالاغتيال. وفي العام 1992، عادت إسرائيل مجدداً إلى تنفيذ الاغتيالات المباشرة، وكان الضحية هذه المرة الأمين العام لـ «حزب الله» الشيخ عباس الموسوي وزوجته وطفلهما، عندما استهدفت طائرات إسرائيلية موكبه خلال انتقاله من الجنوب إلى بيروت. وفي العام 2002، سقط الوزير والنائب السابق إيلي حبيقة ضحية الكم الهائل من المعلومات التي يمتلكها جراء احتكاكه بأجهزة المخابرات المختلفة، فقتل بتفجير سيارة مفخخة شوهت جثته خلال انتقاله من منزله إلى البحر لممارسة هواية الغطس. وفي 14 شباط/ فبراير من العام 2005، كانت عملية

اغتيال الرئيس رفيق الحريري والنائب باسل فليحان بتفجير استهدف موكبهما، وعلى عكس الاغتيالات السياسية الأخرى التي قسّمت لبنان طائفياً وسياسياً، فإن اغتيال الحريري أدى إلى نوع من اللحمة الوطنية تعدى المصلحة الطائفية المباشرة والضيقة إلى مصلحة البلاد.

وتتالت الاغتيالات في العام 2005 ـ حيث أطلق عليها اللبنانيون سنة الاغتيالات ـ لتحصد في 2 حزيران/ يونيو الصحافي والكاتب السياسي ـ السوري الجنسية ـ سمير قصير.

في 21 حزيران/ يونيو امتدت يد الإجرام إلى الأمين العام السابق للحزب الشيوعي اللبناني، جورج حاوي، لدى انفجار قنبلة في سيارته في بيروت أودت بحياته، وأصيب مرافقه بجروح خطيرة.

في 12/ 12/ 2005 اغتيل النائب والإعلامي اللبناني جبران تويني في انفجار هز المنطقة الصناعية إحدى ضواحي بيروت الشرقية.

محمود محمد طه

(1910 - 1985)

لقد روع العالم، واهتز الضمير الإنساني، في جميع أقطار هذا الكوكب الفسيح، من جراء المؤامرة السوداء، والجريمة البشعة التي ارتكبت في الخرطوم حيث اغتيل الأستاذ محمود محمد طه.

وكان صدى هذا الحادث كبيراً، حيث تناولته جميع وسائل الإعلام العالمية، بالتنديد والاشمئزاز، مدينة تلك الجريمة التي لم يشهد لها التاريخ الحديث مثيلاً..

ولقد صادرت حكومة جعفر نميري في تلك الأيام كل الصحف والمجلات الأجنبية، ذلك بأن تلك الصحف والمجلات قد زخرت بالكتابة حول هذا الحادث، مدينة نميري وحكومته.. كل ذلك كان يجري وأجهزة الإعلام السودانية غير مبالية به، بل سارت في ركب السلطة حيث كانت تنشر أبشع الأقوال ومبتذل الكلم، عن المفكر الكبير وتلاميذه، بغير حق، وبغير صدق.

إن الدور الذي قامت به أجهزة الإعلام العربية والعالمية، دور كبير وعظيم، وقد أجمعت هذه الأجهزة الإعلامية على نقاط أساسية هي:

1 ـ أن الجريمة ارتكبت، ونفذ مقترفوها الإعدام في رجل بلغ الخامسة والسبعين من العمر، مما يتنافى مع القانون.

2 ـ لم تكن هناك محكمة وإنما هي مسرحية خرجت عن كل القواعد القانونية، والعرفية، والدينية.

3 ـ ارتكبت الجريمة في حق مفكر مسالم «لم يحمل عصا، حتى ليتوكأ عليها» طوال حياته!! بل ظل على الدوام نابذاً للعنف، داعياً بالحكمة والموعظة الحسنة، مطالباً بالحوار، والحرية، له ولسواه!!

4 ـ كل الذي فعله الأستاذ محمود أنه جهر بكلمة الحق التي أرعبت السلطان، فدفعته لتصفية خصمه السياسي تصفية جسدية، نال بها الأستاذ محمود عز الدنيا، وشرف الآخرة، في حين حصد النميري، بغضب الله، ولعنة الشعب الذي ثار ثورة زلزلت عرشه، وأنزلته ممزق النفس، هائماً على وجهه، وقد ضاقت به الأرض بما رحبت.

ـ ردود الفعل الداخلية:

أ ـ بداية تجمع النقابات:

كانت أيام المحاكمة قد شهدت بدايات تجمع الحركة النقابية الوطنية مستنكرة صدور الحكم ومتصدية لكشف ما يريده النظام بإصدار مثل ذلك الحكم من إرهاب المعارضة وإسكات أي صوت ضد بطشه وقهره وتنكيله بالشعب.

اجتمعت اثنتا عشر نقابة ورفعت مذكرة إلى رئاسة الجمهورية،

وتوالت الهيئات النقابية والتنظيمات السياسية في إصدار البيانات، ورفع مذكرات الاحتجاج. وفيما يلي نورد نماذج منها:

ـ بيان الهيئة النقابية لأساتذة جامعة الخرطوم:

جاء في بيان الهيئة النقابية لأساتذة جامعة الخرطوم بتاريخ 10/ 1/ 1985 ما يلي:

«نخاطبكم والبلاد تمر بفترة من أحرج فترات تاريخها الحديث وأحلكها، نخاطبكم في وقت انداست فيه حرية الفكر، وأذلت فيه أعناق الرجال ورخصت فيه حياة المفكرين.

في أمس الأول 8/ 1/ 1985 أصدر قاضي محكمة جنايات أم درمان رقم 4 حكماً بالإعدام شنقاً حتى الموت على الأستاذ محمود محمد طه وأربعة من الجمهوريين، وقد جاء في حيثيات الحكم التي تناقلتها أجهزة الإعلام المختلفة أن حكم الإعدام هذا سيكون عظة لغيرهم ممن أسماهم القاضي بمثيري «الفتنة» وهذا في رأينا هو المقصود بأمر المحكمة ابتداءً، لأن السلطة السياسية التي يأتمر قضاة المحاكم الجنائية بأمرها ظلت تسعى إلى تكميم أفواه المفكرين وإسكات أصوات المعارضين بشتى الوسائل من حل لنقابات العاملين وتشريد وطرد من الخدمة وزج في السجون، ثم بمحاكمات صورية لا تتوفر فيها أبسط مقومات العدالة.

ونحن هنا بصدد إذلال الفكر ومصادرة حرية التعبير وما ينتظر كل مفكر لا يرى رأي السلطة وقضاتها الذين يعملون وفق قانون الهيئة القضائية الأخير.

وها هو النظام بعد أن تنكر للدستور يستل آخر ما في جعبته من وسائل القهر والإرهاب ـ حكم الإعدام ـ في مواجهة من يعارضونه سياسياً ويخالفونه الفكر ويرفضون الانصياع لرأيه في أمور الدين والدنيا. وقد وقع نبأ حكم الإعدام على الجمهوريين الخمسة وقوع الصاعقة على كل من يحترم حرية الفكر وشجاعة الرأي. ولسنا بصدد تأييد أو معارضة رأي الأستاذ محمود محمد طه، فأدب الجمهوريين السياسي عمره أربعون عاماً وهناك من يرى رأيهم وهناك من يخالفهم، ولكننا بصدد الدفاع عن مبدأ ثابت تنهض عليه وتنمو شتى ضروب المعرفة الإنسانية، ألا وهو مبدأ حرية الفكر والجهر به. فجريمة الأستاذ محمود وجماعته، أنهم أدلوا برأيهم في أمور تهم أبناء هذا الوطن: مدى مطابقة قوانين أيلول/سبتمبر 1983 للشريعة الإسلامية ومدى مخالفتها لدستور البلاد. وهم بهذا إنما يمارسون حقاً يكفله دستور البلاد وتحترمه المواثيق الدولية والأعراف السياسية المتحضرة فأي جرم هنا يستحق الإعدام شنقاً؟

إننا نقف بجانب حق الأستاذ محمود محمد طه وحق كل مواطن في الإدلاء برأيه والجهر بفكره خاصة فيما يتصل بقضايا الوطن وحقوق المواطنين الدستورية، فلا باب الاجتهاد في أمر الدين وأمر السياسة قفل، ولا رأي النظام في الأمرين نهائي ومقدس».

ـ مذكرة نقابة المحامين:

وتقدمت نقابة المحامين بتاريخ 12/ 1/ 1985 بمذكرة إلى رئيس الجمهورية جاء فها:

«. . . وقد تلقينا مع أبناء شعبنا أجمعين صدمة الحكم الذي أصدرته محكمة الجنايات بأم درمان بإعدام المتهمين في القضية المعروفة ـ حكومة السودان ضد محمود محمد طه وآخرين ـ، وما كنا صادرين في كتابنا هذا عن تجاوز لإجراءات التقاضي ودرجاتها الإستئنافية غير أن المتهمين في هذا البلاغ قد أفصحوا منذ البداية عن رفضهم التعاون مع هذه الهياكل التي استحدثت ضمن تشريعات أيلول/سبتمبر 1983، الشيء الذي نعتبره رداً مشروعاً من أشكال رد المحكمة، ولا نملك إلا أن نحترمه، هذا من جهة، ومن جهة أخرى فإن الأمر برمته يخرج عن مجرد كونه علاقة إجرائية بين متهمين وقضاتهم، ليشكل في الأفق العريض الذي ظللنا نخاطبكم بشأنه ألا وهو قضايا الحريات العامة والحقوق الأساسية للمواطنين وما يرتبط بها من قضايا سيادة حكم القانون وإستقلال القضاء!».

وتمضي المذكرة موضحة «وقد جاءت المحاكمة الأخيرة للمتهمين المذكورين لتؤمن بصحة المحاذير والانتقادات التي وجهناها لذلك القانون في حينها. . ولعلها لم تكن المحاكمة الوحيدة في ذلك الصدد، غير أنها كانت الوحيدة التي عبر فيها المتهمون صراحةً عما ظل يلاك همساً وظللنا نحذر منه، فقد رفضوا بادئ ذي بدأ التعامل مع هذه المحاكم، مؤسسين رفضهم هذا على انتقادات عنيفة لقضاتها فنياً وأخلاقياً، الشيء الذي لم يشهد تاريخ القضاء في بلادنا مثيلاً له.

وما كان ذلك ليكون لولا أن قانون الهيئة المستحدث وما ترتب عليه من ممارسات لم يستطع أن يقنع أحداً، بأن ثمة قدر ـ ولو

ضئيل ـ من العدالة والحياد والنزاهة يمكن أن يتحقق في ظله».

واختتمت نقابة المحامين مذكرتها بقولها «فإن هذا الخطاب لا يندرج ضمن أي شكل من أشكال الاستئناف أو الاسترحام لكون إرادة المتهمين قد انصبت على رفض هذا، بل صرخة ضمير حي، ونداء أحرار من الموقع المستقل الذي لا تتعلق به شائبة هوى أو غرض، نرفعه لسيادتكم ونحن ندق ناقوس الخطر الذي يتهدد مصير الأمة، وعقائد المواطنين، ومستقبل الوحدة الوطنية مطالبين أكثر من أي وقت مضى بإلغاء قانون أمن الدولة وكافة القوانين المقيدة للحريات، وكذلك تصفية المعتقلات وإطلاق سراح كافة المعتقلين السياسيين وفتح أبواب الحوار الوطني على مصارعيها دون قيد أو شرط، تأكيداً لمبدأ الشورى حتى نستطيع أن نتكاتف أجمعين لأجل تجنيب بلادنا مهاوي الفتنة».

ـ ارفعوا أيديكم عن قادة الجمهوريين:

وجاء في بيان سكرتارية اللجنة المركزية لـ «الحزب الشيوعي السوداني ما يلي:

«اجتاحت البلاد موجة مشروعة من الغضب والاستهجان على حكم الإعدام بحق الأستاذ محمود محمد طه وزملائه من قادة الجمهوريين.. واستنكر أهل السودان على اختلاف مشاربهم، استهتار جعفر نميري وأعوانه بأبسط قيم العدالة في المحاكم الميدانية والإيجازية التي أسموها محاكم عدالة إسلامية ناجزة! فالجمهوريون لم يفعلوا أكثر من استعمال حقهم كمواطنين، وعرضوا وجهة نظرهم من منطلقات إسلامية، ومن موقع التعاطف

مع السلطة، وتقدموا بنصيحة للسلطة لإلغاء تشريعات أيلول/ سبتمبر 1983، وحل مشكلة الجنوب حلاً سياسياً حسب ما جاء في منشورهم فأي عدالة سماوية أو وضعية تبيح تقديمهم للمحاكمة تحت حشد من مواد القانون الوضعي الرجعي في آنٍ واحد، ثم يصدر الحكم ضدهم شرعياً حدياً بالتكفير والإعدام؟

إن حكم الإعدام على الفكر السياسي، هو الثمرة المرة للتجارة بالدين واستخدام الإسلام واجهة لتسلط حكم الفرد، وبعث لأكثر تاريخ صفحات الدولة الإسلامية سواداً حيث يكفِّر الحاكم معارضيه السياسيين ويستبيح دماءهم. ويتسابق علماء السوء وقضاة الضلالة في تدبيج الفتاوى والأحكام لتبرير استبداد الحاكم.

ـ موقف الأخوان المسلمين:

كان موقف الأخوان المسلمين، كدأبهم في الكيد للفكرة الجمهورية، الشامت الشاعر بزهو الإنتصار، الفرح بما يجري من تنفيذ للجريمة، والتي كانوا يشاركون فيها النظام مشاركة تامة، وقد عبروا عن ذلك في الندوات والأركان التي كانوا يقدمونها في الجامعة وفي صحيفتهم «آخر لحظة». ثم في صحيفتهم «ألوان» وفي التجميع الذي جمعوه يوم التنفيذ، والمظاهرة الفرحة التي قادوها عقب تنفيذ الحكم!! وفي مشاركة القاضي أحمد محجوب حاج نور.. الأخ المسلم المعروف، وأحد أعضاء محكمة الاستئناف. ثم في تصريحات الترابي لعدد من الصحف الأجنبية عندما يسأل عن القضية. وقد عبر الدكتور حسن الترابي عن تأييدهم لاغتيال الأستاذ محمود في إجاباته على جريدة «الهدى» بتاريخ 9 جمادي الآخر

1405هـ فقال عن الأستاذ محمود «محمود محمد طه لا يعرفه أهل السودان سياسياً»!!، «لأن دعوته دينية، لأنه رجل له قضية، وقضيته ضد الدين الذي تعرفونه من الإسلام في الضرورة» وقد قال نميري في الجريدة نفسها عن جديته في تطبيق «الشريعة الإسلامية»: «أكثر من جاد، وأكثر توكلاً من كثيراً من الحكام»!! والآن يصف الترابي نميري بالطاغية!!

ـ ردود الفعل الخارجية:

تناولت الصحافة المصرية الموضوع بنشر الخبر وبالتعليق، وبصورة خاصة من جانب صحافة المعارضة «الأهالي، الشعب، التجمع والوفد» مُدينةً الجريمة النكراء التي ارتكبت باسم الدين وضد داعية إسلامي كبير، ومنددة بانتهاك حقوق الإنسان. ونادى بعضهم بفض علاقة التكامل بين مصر والسودان.

ـ صحيفة الشعب:

جاء فيها بتاريخ 22 كانون الثاني/يناير عام 1985 بيان من حزب العمل الإشتراكي تحت عنوان «ولا تقتلوا النفس التي حرّم الله إلا بالحق» ما يلي: «يتابع «حزب العمل الإشتراكي» باهتمام شديد ما يجري الآن في السودان الشقيق. وإن وحدة المصير بين مصر والسودان تدعونا لمتابعة ما يجري تأكيداً على أن الخلاف في الرأي لا يدعو إلى الحكم بالإعدام على الرأي الآخر».

وتضيف الصحيفة «وإذا كنا ندعو إلى الحكم بالشريعة الإسلامية، فإن علينا أن نلتزم بحكم الله الذي ورد في القرآن **﴿ولا تقتلوا النفس التي حرّم الله إلا بالحق﴾**.

ولا نتصور أن تفسير هذه الآية يعني قتل من يختلف في الرأي حول أسلوب تطبيق الشريعة الإسلامية نفسها».

ويختم «حزب العمل» نداءه بقوله «وإن حزب العمل الإشتراكي يؤكد على صحة الفكر القائم على وحدة المصير بين البلدين الشقيقين ويدعو المسؤولين السودانيين أن يعملوا على صيانة وحماية هذا الفكر حتى لا يضرب من الأعداء باسم مثل هذه الممارسات تحت مظلة الشريعة الإسلامية وهي بريئة منها».

- فتحي رضوان:

ونشرت الصحيفة نفسها بتاريخ 25/ 1/ 1985 مقالاً للأستاذ فتحي رضوان تحدث فيه قائلاً: «إن النظام رأى أن يحاكم رئيس الجماعة وأتباعه أمام محكمة أنهت المحاكمة الخطيرة، في هذه التهمة الفادحة في لمح البصر، لإقامة نوع جديد من العدالة، لم تشهده أمة مسلمة أو وثنية منذ عرف الناس العدل والقضاء والمحاكمة، وتوجت المحكمة هذه المحاكمة بحكم قضى بإعدام الخمسة».

وذكّر الكاتب أن الأستاذ محمود «قد قاوم الاستعمار البريطاني منذ العام 1946، وأن له كتباً في الدين قرأها الناس، وتهذبوا بها». وأورد الأستاذ فتحي رضوان فقرات من بيان نقابة المعلمين ونقابة المحامين وحديث الأستاذ في مواجهة المحكمة ليطلع عليها القراء العرب وأن يدركوا بالضبط ما الذي جرى في السودان لينشأ الرأي العام العربي - الإسلامي.

وأضاف «ويشرف المواطن العربي أن يوجد من بين إخوانه في هذا الوطن من يواجه طغيان الحاكم، بثبات ورباطة جأش، رافضاً

أن يتعاون مع هذا الطراز من المحاكم والقضاة. وأن يتمسك برأيه لا يخاف حتى حينما يصل الأمر للتهديد بالموت».

- مساعي المنظمة العربية لحقوق الإنسان:

وأوضح الأستاذ فتحي رضوان تحرك المنظمة العربية لحقوق الإنسان إثر المحاكمة قائلاً «إن المنظمة العربية لحقوق الإنسان، التي أتشرف برئاستها، قد أبرقت إلى السيد حسني مبارك، وإلى جعفر نميري، لترجو السيد مبارك بالتدخل عند النميري، لإيقاف تنفيذ الحكم، وليعدل النميري عن تنفيذ هذه الأحكام الدموية».

ثم أوفد إلى السودان ثلاثة من كبار المحامين في مصر هم الأستاذ محمد المسماري عضو مجلس الشعب وعضو مجلس نقابة المحامين، وعادل عيد عضو مجلس الشعب السابق وعضو المنظمة، وفهمي ناشد وكيل مجلس النقابة، وقد وصل وفد المنظمة إلى السودان في فجر يوم السبت، فكان في استقبالهم ممثلو خمس عشرة نقابة سودانية، استقبلوا في مختلف الهيئات استقبالاً حسناً».

وقد أوردت جريدة الأهالي بتاريخ 23/ 1/ 1985 عن مهمة هذا الوفد الذي أوضحت أنه كان يمثل بجانب جمعية حقوق الإنسان كذلك نقابة المحامين المصريين وإتحاد المحامين العرب فقالت «أنهم قد التقوا برئيس مجلس الشعب السوداني والنائب العام ورئيس المخابرات، وبعد أن استمعوا إلى الوفد وعدوهم خيراً وأن يرقبوا لقاء يجمعهم مع رئيس الجمهورية ونائبه، وحتى رحيل الوفد قبل 48 ساعة من تنفيذ حكم الإعدام لم يكن أحد من أعضاء الوفد

قد التقى بالرئيس أو نائبه وتجاهلت وسائل الإعلام وجودهم، وإن كان أعضاء الوفد قد لقوا ترحيباً شعبياً واسعاً من ممثلي الهيئات والمنظمات والنقابات».

هذا وقد أصدرت المنظمة العربية لحقوق الإنسان في مجلتها الدورية عدد شباط/ فبراير 1985 ملفاً احتوى على أكثر من خمسين صفحة، وشمل تغطية واسعة للقضية، إجراءات سيرها وحيثياتها، وحديث الأستاذ محمود في مواجهة المحكمة وبعض منشورات الجمهوريين الصادرة في مواجهة الحكم، وتعريفاً عن الفكرة الجمهورية، وردود الفعل والأصداء المختلفة للحكم والآثار المترتبة عليه.

- يوم اغتيال الأستاذ محمود يوم لحقوق الإنسان العربي:

نشرت جريدة «الأيام» هذا الخبر بتاريخ 28/ 5/ 1985 «انعقدت في القاهرة ما بين 17 و19 أيار/ مايو ندوة أوضاع حقوق الإنسان في الوطن العربي والتي حضرها لفيف من كبار المفكرين ورجال القانون والسياسة والأدب في العالم العربي. وقد ذكرت مصادر القاهرة بأن الحشد الذي شهدته الندوة يعد من أكبر التجمعات العربية التي حضرت إلى العاصمة المصرية منذ أوائل السبعينات وقد مثل السودان في هذه الندوة، وضم الأستاذين المحاميين طه إبراهيم محمد وكمال الجزولي اللذان شاركا مشاركة فعالة في كل جلسات الندوة. ومن أهم التوصيات التي خرجت بها الندوة إعتبار يوم استشهاد المفكر محمود محمد طه، يوماً لحقوق الإنسان في الوطن العربي».

ـ مجلة حقوق الإنسان:

وجاء في مجلة «حقوق الإنسان العربي» تحت عنوان: «الأمانة العامة للمنظمة العربية لحقوق الإنسان تتابع محاكمة محمود محمد طه وزملائه»:

«ظلت الأمانة العامة للمنظمة العربية لحقوق الإنسان تتابع تطورات الوضع في السودان أولاً بأول، فيما يتعلق بالقبض على محمود محمد طه زعيم جماعة الأخوان الجمهوريين، وأرسلت وفداً إلى السودان من كبار المحامين المصريين. واستنفرت المنظمة عدداً من المنظمات والهيئات العربية والدولية في حملتها لإصدار عفو عام عن زعماء الإخوان الجمهوريين بوصفهم ضحايا أبرياء في قضايا رأي وضمير.

وكان الأستاذ فتحي رضوان رئيس المنظمة العربية لحقوق الإنسان قد تلقى خطاباً بتاريخ 17/1/1985 من السيد توماس هامبرج أمين عام منظمة العفو الدولية جاء فيه:

«إن المنظمة الدولية تعتبر محمود محمد طه وزملائه سجناء رأي وضمير، وأنهم أُتهموا بسبب أفكارهم التي يدعون إليها سلمياً، وأن الهدف من محاكمتهم هو إجبارهم على التنازل عن معتقداتهم، وأن هذه هي المرة الأولى التي يحدث فيها مثل هذه المحاكمة في السودان».

ـ الطليعة المصرية:

وجاء في مجلة «الطليعة»: بعنوان «كلمة نحو الإعلام»: «كنا

نستغرب ونحن صغاراً وحشية الإيطاليين حيث قاموا بإعدام عمر المختار، وهو في سن متقدم (70 عاماً) لذا لم نكن نجد أي صعوبة في حفظ قصيدة أحمد شوقي: رفعوا لواءك في الرمال لواء.. الخ من الأبيات، نتيجة للتفاعل بالرغم من صغر سننا. لكن وحشية البعض لا تقل عن فاشست الإيطاليين بإقدامهم على إعدام هذا الشيخ الكبير والمفكر العربي السوداني محمود محمد طه ذي الخمسة والسبعين عاماً يصعد منصة الإعدام الحمراء لأنه احتج، فقط احتج على أفكار وتطبيقات النظام في السودان. وبالرغم من انتهاء العملية الإنسانية الكبيرة التي قام بها بإجلاء يهود إثيوبيا عن طريق بلاده، إلا أن هذا الزخم الإنساني لصالح العدو الصهيوني لم يخصص الجزء القليل منه للشيخ المرحوم محمود محمد طه بالرغم من برقيات الاحتجاج التي أرسلت له عندما أقرت محاكمته خلال يوم واحد من إعدام طه ورفاقه.

وهكذا لو عاش أحمد شوقي بيننا لما استطاع نطق كلمة واحدة عن هذا الإجرام وتلك الوحشية التي مارسها المستعمرون سابقاً».

ـ الأهالي المصرية:

بتاريخ 23/ 1/ 1985 أوردت صحيفة «الأهالي» مقالاً بقلم حسين عبد ربه جاء تحت عنوان «بعد إعدام زعيم الأخوان الجمهوريين في السودان... الاغتيال باسم الشريعة على طريقة نميري» فقالت:

«إلى جانب ردود الفعل الداخلية الحادة فقد أدانت لجنة الحقوقيين الدولية شنق الشيخ محمود محمد طه بدعوى خروجه على الشريعة الإسلامية وأوضحت أن العمل يعد في حد ذاته خرقاً

للشريعة الإسلامية. وكان الشيخ محمود يعارض الأسلوب الذي اتبعه جعفر نميري في تطبيق الشريعة. وقد استنكرت وزارة الخارجية الأميركية ذاتها إعدام الرجل باعتباره انتهاكاً ساخراً لحقوق الإنسان».

- استقالة نائب من برلمان وادي النيل:

أوردت صحيفة «الأهالي» المصرية هذا النبأ: «قدّم د. ميلاد حنا رئيس لجنة الإسكان بمجلس الشعب المصري وعضو برلمان وادي النيل استقالته من برلمان وادي النيل احتجاجاً على قيام نميري بإعدام الشيخ محمود محمد طه زعيم حزب الأخوان الجمهوريين. وقد تقدم د. ميلاد حنا باستقالته في مذكرة إلى د. رفعت المحجوب رئيس دورة برلمان وادي النيل جاء فيها: إن هذا الإجراء يعد خرقاً لأبسط حقوق الإنسان وهو حقه في حرية الفكر والضمير والعقيدة... وبناءً عليه فإنه لا يستطيع أن يضع يده في يد نظام حكم يؤكد كل يوم على مضيه قدماً في خرق حقوق الإنسان.

وإنني أناشد كل القوي الوطنية والإنسانية والمهتمة بحقوق الإنسان أن تبذل كل الجهد لوقف هذه المذبحة الإنسانية التي يقوم بها نظام نميري والذي لا يفرق بين اليمين أو اليسار في صراعه من أجل بقائه».

ونشرت جريدة «الأهالي» تحت عنوان «ألفاظ ومعان الشيخ الذبيح» بقلم إسماعيل صبري عبد الله: «سلام عليه شيخاً وهن العظم منه ولم يهن الإيمان، سلام على ابن الستة والسبعين عاماً يموت ميتة الشجعان، سلام على من يلقي ربه شامخاً فوق قتلته

الأقزام يلحق بكبار شهداء الإسلام، ويذكر بقول الشاعر: «علو في الحياة وهمة في الممات».

كان الإسلام عند الشيخ محمود محمد طه زعيم الأخوان الجمهوريين بالسودان يعني الجهاد، في حين اتخذه غيره ذريعة لإنجاح البنوك والشركات. وكان يعي أن أعظم الجهاد قولة حق في مجلس سلطان جائر. وكان الهول حقاً أن يذبح بأيدي من يدعون تطبيق الشريعة السمحاء. إن جريمة الخرطوم تستفز كل مسلم يغار على دينه. علّمنا محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم وعلينا في مصر واجب مزدوج باستنكار هذه الجريمة. واجب الدفاع عن الإسلام في مواجهة أولئك الذين يشوهون صورته أمام الرأي العالمي. وهو واجب يتحمله في المقام الأول قادة التيار الإسلامي الذين يرفعون الدعوة إلى تطبيق الشريعة الإسلامية، ويقدرون أهمية شرح تعاليمها المبنية على العدل واحترام الإسلام. ثم واجب الأخوة مع شعب السودان الشقيق الذي تربطنا به وشائج أقدم وأكبر من أي حاكم وأي نظام، ونحن نتساءل كيف يجلس ممثلو مصر مع ممثلي نميري في مجلس للتكامل وأعمدة المشانق منصوبة لخيرة أبناء السودان؟ إن الموقف أكبر من أن تواجهه الحكومة بدعوة غير معلنة لضبط النفس. فمصداقية أي تحول ديمقراطي في مصر تتوقف على موقف الحكومة من الممارسات التعسفية في السودان الذي نتكامل معه. وإذا جاز ـ في تقديري أنه لا يجوز ـ أن تغلب الحكومة إعتبارات إستراتيجية تراها ملزمة لها بالصمت، فلماذا لا يتكلم أعضاء مجلس الشعب؟ وإذا جاز ـ وفي تقديري لا يجوز ـ لأعضاء الحزب الحاكم منهم التذرع بانضباط

حزبي، فماذا يمكن أن يصوغ تقاعس نواب المعارضة عن مجرد تقديم طلب إحاطة عن هذه الفعلة الشنعاء؟ كنت أحسب أن الهول قد بلغ غايته عندما سقط شيخ القومية العربية، صلاح البيطار برصاص حكام عرب وها أنا أشهد بعدها مصرع شيخ كبير يقتل بدعوى تطبيق أكثر الشرائع سماحة، وأكثرها تكريماً للإنسان ـ ألا كبرت كلمة تخرج من أفواههم. إن يقولون إلا كذباً».

ـ الكويت:

تناولت الصحف الكويتية أخبار المحاكمة بصورة موسعة ناقلة الخبر، ومضيفة بالتعليقات والتحليلات، في موجة عامة من الاستنكار والإدانة الشديدة.

فقد أوردت جريدة القبس: «السودانيون في الكويت: إدانة ومناشدة بالتدخل».

أصدر السودانيون المقيمون في الكويت بياناً أدانوا فيه تنفيذ حكم الإعدام في الأستاذ محمود محمد طه وأحكام الإعدام ضد أربعة آخرين. وناشدوا الحكومة الكويتية وجمعيات النفع العام والمنظمات الإقليمية والدولية بالتدخل لوقف عمليات الإعدام في حق الآخرين.

ـ مجلة مرآة الأمة:

ونشرت مجلة «مرآة الأمة» الكويتية بتاريخ 23/ 1/ 1985 تحت عنوان «من القلب.. حنانيكم بالشريعة الإسلامية»!!

«هل عدم تطبيق الشريعة الإسلامية نصاً وروحاً يعني الإلحاد

والردة بل الكفر!! لكل دولة لا يشير دستورها صراحة إلى ذلك؟!!

هل كل الدول الإسلامية تأخذ بالشريعة كمصدر أساسي لتشريعاتها وقوانينها ومسيرتها؟!! إطلاقاً لا!!

إن كثيراً من الدول الإسلامية، لا تقتل بالضرورة القاتل حتى ولو اعترف وأدين بجريمة القتل. كذلك إن كثيراً من الدول الإسلامية لا تقطع يد السارق حتى لو أقر بارتكابه إثم السرقة وموبقاتها، العار!!

هذه الدول برغم ذلك بلا شك إسلامية ودين الدولة فيها الإسلام كما ورد في بنود دساتيرها ولا تلتصق بها من بعيد أو قريب صفة الردة والإلحاد والكفر.. بل الكافر من يصبغ عليها هذه الصفة جزافاً!!

إن المجاهرة أو التظاهر بسن أحكام الشريعة الإسلامية على الورق لا يعني إنطلاقها من القلوب، كما لا تعني أنها بعيدة عن الأهواء واستغلالها لمآرب ما أنزل الله بها من سلطان بل هي إلى منهج الشيطان أقرب.

ولو أن كل قاتل يقصد القتل اللامشروع، يقتل لوجدنا في الساحة الإسلامية رؤوس مسؤولين استغلوا الجاه والمركز للإطاحة بخصومهم، أطاحت بهم نصوص الشريعة الإسلامية السمحاء.

ولو أن كل سارق، قطعت يداه، بحكم الشريعة الإسلامية لرأينا أيادي كثيرة لمسؤولين على الساحة الإسلامية تنزف من جراء القطع

دماً لكثرة ما نهبت من أموال شعوبها وسرقت من خيرات أبنائها!!

إن كثيرين من المسؤولين عن الأمة الإسلامية الذين أتت بهم الصدف لأن يكونوا في هذه المناصب، يظهرون غير ما يبطنون ويعلنون ما لا يطبقون إلا بما يتوافق مع ما يهدفون!! ويا لسوء ما يهدفون.

وإن بعض الذين أخذوا بالشريعة الإسلامية كمصدر لأحكامهم وحكمهم لا ترتبط تصرفاتهم الرعناء مع الشريعة السمحاء من قريب أو بعيد!! هذا إن لم يكونوا قد طعنوا الشريعة في الصميم من خلال أعمالهم التي تتنافى وروح الشريعة. إن إمارة المؤمنين انتهت بانتهاء رجالها المستحقين لها قبل عشرات القرون.. ودَعِي من يدعي أنه أمير المؤمنين وخاصة في عصرنا هذا الذي اختلط فيه الحابل بالنابل.

لتستغل الإسلام كل نفس أمّارة بالسوء تضمر لغيرها حقداً ولخصومها ضغينة بهدف تصفيتهم باسم الدين والقضاء عليهم فرادى وجماعات!!

لو أننا أخذنا بالمبررات والتهم التي ألصقت بالمرحوم الشيخ محمود محمد طه زعيم الأخوان الجمهوريين الذي اقتيد إلى حبل المشنقة في السودان مكبلاً بالأصفاد والأغلال والقيود وعلق فيها وهو يبتسم ونزع الحبل روحه وهو يبتسم لأنه لم يأت أذى. لو أخذنا بهذه المبررات لأصبحت شريعة الغابة هي السائدة لا شريعة الإسلام السمحاء.

قتل الشيخ طه لأنه رفض أن تكون الشريعة الإسلامية اسماً على

ورق أو طبلاً أجوف أو أداة استغلال للمتهمين أرادها اسماً على مسمى، ولم يردها شعاراً للاستغلال فاتهم بالردة والإلحاد والكفر كما جاء في عرف القاتلين ليكون الشنق ظلماً جزاءه!! يقولون: «أيها القانون كم من أبرياء يقتلون باسمك» ويقولون: «كم في السجون من أبرياء».

إننا الآن نعيش عصر تآمر على الإسلام من أعداء الإسلام المسخرين، أدعياء الإسلام لمآربهم الشيطانية حتى يطيحوا بمبادئ الإسلام الحنيفة وحتى لا يقوى وينتشر الإسلام! يقول الرسول الأعظم ﷺ «أنا أعلم منكم بأمور دينكم وأنتم أعلم مني بأمور دنياكم». ورحم الله الشيخ طه حيث يرقد الآن في مكان غير معروف!!

لم يكف الجلادون في السودان قتل الشيخ المسن محمود محمد طه بل أحضروا من السجن رفاقه الأربعة مكبلين بالأصفاد والقيود أيضاً ليشهدوا رقبة رئيسهم وهي تنحني لأول مرة بفعل طوق الحبل الذي لو كان يملك حراكاً لما التف حول رقبة المرحوم طه ولما شدد خناقه حتى فاضت روح البري مرتفعة إلى بارئها في عليائه لترتاح من رؤية الدين وهو يُستغل على هذا النحو. أحضروا هؤلاء الرفاق مهددينهم بنفس المصير. إن لم يتوبوا لا أقول أين إسلام المسؤولين في السودان؟ بل أقول أين المسلمون في كل مكان؟! رحم الله الشيخ محمود محمد طه الذي يرقد الآن هاني البال مرتاح الخاطر في مكان جعلته السلطات السودانية مجهولاً حتى لا يكون للسودانيين مزاراً!!».

ـ القبس:

«شُنق طه وهو يبتسم»

وجاء في صحيفة «القبس» بتاريخ 19/ 1/ 1985 تحت عنوان: «رغم ضغوط مصر على نميري لتخفيف الحكم، شنق طه وهو يبتسم» ما يلي:

«نفذت السلطات السودانية حكم الإعدام أمس بزعيم حركة الأخوان الجمهوريين الإسلامية محمود محمد طه، بتهمة التحريض ضد نظام نميري».

ونقلت الصحيفة عن وكالة الصحافة الفرنسية، قولها «أنه عندما حانت ساعة تنفيذ الإعدام اقتاد حراس السجن طه من زنزانة قريبة حتى وقف أمام المشنقة التي طليت باللون الأحمر وأضافت أن يديه كانتا موثقتين خلف ظهره، وكانت قدماه ترسفان في الأغلال، واختفى وجهه وراء قناع أحمر».

ومضت الوكالة قائلة: «ومن ثم صعد إلى المشنقة بصعوبة، وكشف الحراس القناع عن وجهه لفترة وجيزة ليراه الموجودون في الساحة». وأضافت وكالة الصحافة الفرنسية تصف المشهد، «وعندئذ ابتسم طه وقرأ موظف في السجن الاتهامات الموجهة للإخوان الجمهوريين، ونص الحكم الذي صدّق عليه نميري».

وقالت: «في الساعة العاشرة صباحاً بالتوقيت المحلي سحب الحارس قطعتين من الخشب تشبهان باباً كان يقف عليهما المحكوم عليه، وعندئذ أصبح جسمه معلقاً في الهواء». واستطردت «وظل

الجثمان معلقاً لمدة 10 دقائق، وبعدها صعد أحد الأطباء وأكد أن المحكوم عليه قد فارق الحياة». وأضافت الوكالة الفرنسية «ثم حملت طائرة عمودية الجثمان إلى جهة غير معلومة لدفنه وفقاً لما أورده مصدر وثيق الصلة بالسجن!!».

ـ السياسة:

وجاء في صحيفة «السياسة» تحت عنوان «احتجاج أميركي على إعدام طه» ما يلي:

«نددت الولايات المتحدة بقوة بإعدام المفكر الإسلامي محمود محمد طه (75 عاماً) ووصفت ذلك بأنه انتهاك صريح لحقوق الإنسان».

ـ وكالة الصحافة الفرنسية:

قالت: «لقد كان لإعدام الأستاذ طه وقع المفاجأة على جميع المراقبين المحليين والأجانب في السودان.

وكان الأمل يراود الجميع في البداية أن يصدر نميري قراراً بتخفيف العقوبة مراعاة لكبر سنه ولأنه أصدر عفواً منذ بضعة أيام عن مجموعة اتهمت بالتآمر ضد الحكم يتزعمها الأب فيليب عباس غبوش».

وأضافت الوكالة أن المتشائمين ألمحوا بأن غبوش طلب العفو من نميري في حين أن طه رفض الإعلان عن التوبة وكانت آخر لفتة منه لدى صعوده إلى المشنقة ابتسامة ساخرة موجهة إلى الذين حضروا عملية تنفيذ حكم الإعدام.

ويرى المراقبون أن نميري سعى إلى تقديم نموذج رادع بإعدامه زعيم الجمهوريين في ذات الوقت الذي دخل فيه طه ـ داعية اللاعنف ـ دائرة شهداء الإسلام على حد قول أنصاره.

ويربط كثير من المراقبين بين إعدام طه والمآخذ الشخصية التي أخذها عليه نميري من حيث كان يعارض بشدة باسم الإسلام، محاولة الرئيس السوداني إصدار دستور إسلامي يجعل منه إماماً للسودان.

وذكرت مصادر مطلعة أن من بين الأعداء الآخرين لمحمود محمد طه داخل السودان اللواء عمر محمد الطيب نائب النميري.

ـ فرح الإخوان المسلمين:

«. . .ويذكر أن الإخوان المسلمين الذين حضر عدد كبير منهم المحاكمة قابلوا إصدار حكم الإعدام على طه بالتصفيق الحاد».

ـ مقال الدكتور منصور خالد:

نشرت صحيفة «القبس» الكويتية مقالاً للدكتور منصور خالد، كان من أبرز المقالات الممنوعة التي يتداولها الشعب بشغف شديد، بعد أن يجري تسريبها وطباعتها بالرونيو أو التصوير.

نقتطف هنا فقرات من ذلك المقال:

«إن اغتيال محمود محمد طه، شهيد الفكر، لرزء أكبر من أن توفيه الدموع السواجم. وما اغتال محموداً دهر خؤون، وإنما انتاشته سهام صدئة أطلقها قضاة تالفون ودعاة عاطبون وحاكم فاجر معتل العقل آن له أن يلجم. لقد ذهب محمود إلى رحاب سنية

وجناب حاني وهو راضٍ. وكيف لا يرضى بذلك الرجل الذي يودع فلذة كبده وعينه لا تدمع وهو يقول لمن جاء لعزائه «لقد ذهب ابني إلى أب أرحم»؟ نعم ذهب محمود إلى ذلك الأب الأرحم. وبقينا نحن من خلف شعور وزمان عقيم».

«وعلّ مثقفي السودان قد رأوا ما يمكن أن يقود إليه الهوس الديني، وشهدوا ما يمكن أن يؤدي إليه صمت الشياطين الخرس عن الحق. ويا ليت أهلي يعلمون! يعلمون أن الطاغية الذي لا يقتصد في محاسبته رجلاً مسالماً، هو أول الناس إجفالاً عندما يُلَوَّح له بالعصا. فما سلّ الإمام سيفه إلا أمام أعزل. وما طلب الطعن والنزال إلا في ساحة خلاء. ودون الناس توسله وتضرعه أمام الصنديد جون قرنق في أدغال الجنوب. ودون الناس انكساره أمام الأب فيليب عباس غبوش. ودون الناس تهالكه بالأمس أمام الأطباء وهو يكذب وفي لسانه لسع الحية. أوهناك من يصدق بعد كل هذا بأن هذا العاطب معتل العقل يتصرف من وحي دينه؟ فالله يعلم بأن إمام السودان الذي يتكئ اليوم على عصا مهترئة اهتراء منسأة سليمان، لظالم بلا إرادة، وصارم بلا عزم، وحليم بلا اقتدار، ومحارب بسيف من خشب، كسيف سميِّه أبي حبيسة النميري. وما غدره وطغيانه إلا طغيان ضعيف مرتجف».

ـ صحيفة «الصباح» التونسية:

تحت عنوان «خلصوا الإسلام من المشانق» بتاريخ 28/ 1/ 1985 كتبت صحيفة «الصباح» التونسية مقالاً تستنكر فيه الإعدام وترى أن الإسلام قد استغل لأهداف سياسية. فتقول:

«لو أخذنا بالحجة التي علقت في السودان محمود محمد طه زعيم جماعة الإخوان الجمهوريين في المشنقة وأعدمته لكان ملايين السودانيين وعشرات الملايين من المسلمين في مختلف البلاد الإسلامية معلقين على أعواد المشانق. بين حكام ومحكومين.. وليس محمود محمد طه أو جماعته هم وحدهم المنادون بالاجتهاد في تطبيق الشريعة الإسلامية.

لكن ليس أسهل من أن يرمى مسلم بالزندقة والكفر والردة في عصر ترتد فيه التصرفات باسم الإسلام. غير أن شريعة الله تبقى دائماً ناهية عن قتل النفس إلا بالحق وقد حرّم الله القتل بغير حق واعتبر أن من يقتل نفساً بغير حق فكأنما قتل الناس جميعاً».

ـ صحيفة البيان المغربية:

استنكرت صحيفة «البيان» المغربية في عددها الصادر في 20/ 1/ 1985 على السلطات السودانية إقدامها على إعدام المفكر الإسلامي الأستاذ محمود محمد طه زعيم حركة الأخوان الجمهوريين.

وقالت الصحيفة إنه «منذ إعلان تطبيق الشريعة في السودان ظلت ترتكب سلسلة من التجاوزات والإجراءات القمعية التي لا تمت بصلة للفهم الصحيح للشريعة الإسلامية».

ـ التايمز اللندنية:

تناولت صحيفة «التايمز» البريطانية الخبر بتاريخ 18/ 1/ 1985 و19/ 1/ 1985 وتاريخ 21/ 1/ 1985 تحدثت عن السيرة الذاتية

للأستاذ محمود وعن نشاطه السياسي خلال الأربعين سنة الماضية، وأوضحت أن تنفيذ حكم الإعدام يعني الملجأ الأخير لكبح جماح الشعب السوداني ولبلد تزداد مآسيه عمقاً يوماً بعد يوم.

- صنداي تايمز:

تحت عنوان: «نميري يلجأ إلى المشنقة»، كتبت صحيفة «الصنداي تايمز» أن إعدام الأستاذ محمود جاء نتيجة معارضته قانون الشريعة الإسلامية في منشور اعتبره الرئيس انتقاداً لحكمه.

- الشيخ محمود محمد طه في سطور:

ولد الشيخ محمود محمد طه عام 1910 وقد سجنه الإنجليز بسبب المشاكل التي سببها لهم في العام 1946 وأطلق سراحه بعد ثلاث سنوات، وفي فترة السجن تلك فرض على نفسه نظام للإطلاع والتفكير الروحي والصلاة وقد استمر على ذلك الحال لمدة عامين بعد إطلاق سراحه.

وكان مراده أن يعيد إسلام القرن السابع الميلادي إلى القرن العشرين الحالي بعد السنين الطويلة من النوم عبر العصور الوسطى وعصر إعادة ولادة المعرفة وعصر المنطق وعصر الإلهام وعصر الفردية وعصر العلم، إلى القرن العشرين النووي. هكذا أكمل حياته وأكمل ما كان يعتقد فيه بنفس الطريقة التي كان ينشر بها تعاليمه المطهرة من النقص البشري أو أي غرض شخصي وتلاميذه لا يملكون الآن شيئاً يحتفظون به أعظم من مثال الحياة الذي جسده لهم اسمه؟ محمود محمد طه لكن هذا غير مهم. إنه جزء من آلام المخاض المتأجج لأفريقيا الحديثة.

في يوم الجمعة 18/1/1985 بمدينة الخرطوم المغسولة بأشعة الشمس، وببرود تام، تم الشنق لشيخ كبير ومسالم، وكان الشنق علناً، وجزاء لجرأته على إخبارهم أنهم مخطئون.

لقد عرضنا في هذا الجزء من موسوعتنا لقرائنا الكرام بعض المقتطفات من ردود الفعل المحلية والعالمية حول حادث الاغتيال البشع والجريمة النكراء التي ارتكبت باسم الإسلام!! في حق الأستاذ محمود محمد طه وفي حق الإسلام!! وقد اتفقت الآراء التي جمعناها لكم من مصادر مختلفة وأنحاء متفرقة ـ اتفقت في جملتها ـ على إدانة هذا الجرم الفاضح الذي استغل فيه الدين استغلالاً سياسياً آثماً. الغرض منه إرهاب المعترضين السياسيين وإسكات كل صوت يخالف رأي سلطة أيار/مايو المستبدة، وهو أمر أكده الأستاذ محمود تأكيداً أمام تلك المحكمة المهزلة.

ولكن لا ضير فإن الأستاذ محمود قدم نفسه للمشنقة وهو يبتسم فداء للإسلام والسودان «الغايتين الشريفتين» اللتين ظل مكرساً حياته للعمل من أجل تحقيقهما. وقد جاء الطوفان فجرف غثاء السيل ليطهر أرض السودان من آثام تلك الفئة الباغية وينقي دين الله من أحقادها السوداء، وهكذا عجّل الله لها بعذاب الدنيا ولعذاب الآخرة أكبر لو كانوا يعلمون.

الشيخ جابر الأحمد الجابر الصباح

(1928 ـ 2006)

(محاولة اغتيال في العام 1985)

هو النجل الثالث للمغفور له الشيخ أحمد الجابر الصباح حاكم دولة الكويت الأسبق، والحاكم الثالث عشر من أسرة آل الصباح، وثالث أمير لدولة الكويت منذ عهد الإستقلال.

ولد الشيخ جابر الأحمد الجابر الصباح في الكويت عام 1928م، وتلقى تعليمه في المدرسة «المباركية» و«الأحمدية» و«الشرقية»، وكان مثالاً للطالب المجتهد، الحريص في تصرفاته، والخلوق مع زملائه من الطلبة، وإلى جانب تواضعه في علاقاته مع أقرانه من التلاميذ كانت تربطه علاقة احترام وود بأساتذته.

ونظراً لأن التعليم في الكويت آنذاك لم تكن قد اكتملت مراحله المتقدمة، فقد أتاح له والده الشيخ أحمد الجابر الصباح الفرصة لأن يتتلمذ على يد عدد من الأساتذة المتخصصين في مجالات مختلفة ومتعددة من المعرفة، وقد ساعده ذلك كثيراً في حياته العملية، فكان دائماً على مستوى الحدث، سواء كان سياسياً أو إقتصادياً أو إجتماعياً، كما أتاح له الفرصة لزيارة العديد من

بلدان العالم التي بدأت تخطو خطوات واسعة وسريعة في نهضتها، حيث رأى سموه عن كثب أحوال تلك المجتمعات وحياة شعوبها الحضارية، وما وصلت إليه من تقدم وتطور شامل في شتى مجالات الحياة وميادينها، والأخذ بأسباب التكنولوجيا الجديدة والتقنية الحديثة.

ـ قيادته:

كان الشيخ جابر الأحمد الجابر الصباح قيادياً حكيماً في إدارة شؤون البلاد، وقد استمد تلك الحكمة من المخزون النضالي العظيم الذي خلفه الآباء والأجداد الذين ركبوا الصعاب واعتركوا المخاطر بشتى ألوانها، ليحموا الكويت، ويحافظوا على إستقلالها، ويكرسوا سيادتها، وهي نعمة تتفيأ ظلها الأسرة الكويتية الواحدة.

ـ فكره:

إن فكر الشيخ جابر هو في الحقيقة محصلة نهائية لتجربة غنية وثرية، ممزوجة بالرؤية الواقعية لما حولنا اليوم من سباق في شتى المجالات لإحتلال أحد المقاعد الأمامية في قطار العصر السريع نحو حضارة القرن الواحد والعشرين، كما هو نتيجة لما استقصاه سموه وجمعه في أوقات وفترات زمنية متفاوتة، ومواقع ظروف مختلفة ومتباينة، بالإضافة إلى التاريخ الطويل من الممارسات العملية في العديد من المجالات المهنية والوظيفية والدبلوماسية، والقيادية المختلفة، فقد اكتسب من خلالها رؤية واضحة لعالم اليوم، وما يمكن أن يكون عليه عالم الغد.

- جهوده:

لقد انصبّت جهوده في تحقيق السلام، والأمن والأمان، وكفالة حقوق الإنسان، وتدعيم الديمقراطية، وحرية التعبير، والتطور المستمر نحو مزيد من التحديث والرقي، والدعوة إلى التنمية، والأخذ بأسباب التقنية الحديثة.

- دبلوماسيته:

تتضح ثمرة دبلوماسية سموه، في إقامته لعلاقات الود والتفاهم والمصالح المتبادلة مع أغلب شعوب العالم، تلك التي تجسدت بوضوح في الوقفة الرائعة لتلك الدول خلال فترة العدوان والإحتلال العراقي لدولة الكويت، كما اتضحت دبلوماسيته في تلاحمه مع قضايا المجتمع الدولي، وبالأخص المتمثلة في تلك المجموعة من المنظومة الفكرية، التي ألقاها في المحافل والقمم الدولية، التي يحرص دوماً على أن يكون حضوره متميزاً فيها.

- ممارساته العملية والسياسية:

أ - مرحلة ما قبل ولاية العهد:

1 - تولي رئاسة الأمن العام في مدينة الأحمدي:

بدأ الشيخ جابر الأحمد الجابر الصباح حياته العملية في كانون الثاني/ يناير عام 1949م رئيساً للأمن العام في مدينة الأحمدي، هذه المدينة التي جسدت وشهدت انتقال المجتمع الكويتي من مرحلة صعبة عانى فيها الشعب الكويتي شظف العيش وقساوة الحياة، إلى مرحلة

تميزت بالرفاه الإجتماعي، والتعامل مع أسباب الحضارة الحديثة.

وقد زودته هذه المرحلة بخبرات إدارية واسعة، ومعرفة ودراية بأمور فنية تختص بشؤون النفط وإقتصادياته على وجه الخصوص، مما جعل ذلك دوماً محور اهتمامه، وذلك لثقته بأن هذه المادة الإستراتيجية هي عصب الحياة في الكويت حاضراً ومستقبلاً.

2 ـ تولي رئاسة دائرة المالية:

في العام 1959م تولى الشيخ جابر منصب رئيس دائرة المالية، الذي جاء منسجماً مع اهتمامه بشؤون النفط، ومتساوياً مع تفكيره، وتجاربه وخبراته التي اكتسبها حين كان رئيساً للأمن العام في مناطق النفط الأمر الذي جعله ذا شأن ومكانة رفيعة في إقتصاديات النفط ومطالب المجتمع وحقوق الوطن لدى شركاته العاملة، وبخاصة في الكويت.

3 ـ تولي أول منصب وزاري:

تم تعيين الشيخ جابر في أول وزارة شكّلت بعد الإستقلال، وبالتحديد في 17/ 1/ 1962م عندما اختير كأول وزير للمالية والإقتصاد، حيث استمر على رأس هذا الجهاز خلال الفترة ما بين عام 1959 ـ 1965م، وهنا يجدر بالذكر أن سموه قد تولى بالإضافة إلى عمله وزيراً للجهاز المالي للدولة، مهام نائب رئيس مجلس الوزراء، كما ناب عن كل من الأمير آنذاك الشيخ عبد الله السالم الصباح وولي العهد رئيس مجلس الوزراء الشيخ صباح السالم الصباح في أثناء غيابهما في الخارج.

وفي الفترة التي تولى فيها الشيخ جابر الأحمد حقيبة الجهاز المالي حقق جملة من الإنجازات الكبيرة والمهمة نورد أهمها فيما يلي:

1 ـ إنشاء «بنك الائتمان» لتيسير الائتمان العقاري والزراعي والصناعي، وذلك من أجل زيادة دخل كل من الدولة والمواطنين، من حصيلة قيام الأفراد بإنشاء صناعات، ومشروعات زراعية وعقارية، وتأسيس الشركات المختلفة والمساهمة في رأسمالها.

2 ـ إصدار نقد كويتي لاستخدامه في التداول، بدلاً من النقد الهندي بغية عدم الارتباط بعملة دولة أخرى، مما قد يؤثر سلباً في كيان الدولة.

3 ـ إنشاء مؤسسة مهمة هي «مجلس النقد الكويتي» الذي أشرف على إصدار أوراق النقد والمسكوكات في الكويت.

4 ـ إعداد النظام الخاص بالصندوق الكويتي للتنمية الإقتصادية العربية، والذي باركه أمير البلاد آنذاك الشيخ عبد الله السالم الصباح، برأسمال قدره 50،000،000 دينار كويتي، ليكون دعامة من دعائم التنمية الإقتصادية في الدول العربية الشقيقة.

ب ـ ولاية العهد:

في تاريخ 30/ 11/ 1965م، صدر مرسوم أميري يقضي بتعيين سمو الشيخ جابر الأحمد الجابر الصباح رئيساً لمجلس الوزراء، وتكليفه بتشكيل الحكومة، وقد استمر في منصبه هذا حتى

بويع بالإجماع في مجلس الأمة ولياً للعهد، بالإضافة إلى عمله رئيساً لمجلس الوزراء، وصدور مرسوم أميري بذلك في 31/ 5/ 1966م.

ج ـ أميراً لدولة الكويت:

بويع الشيخ جابر الأحمد الجابر الصباح أميراً لدولة الكويت في 31/ 12/ 1977م، على أثر وفاة المغفور له الشيخ صباح السالم الصباح، ليصبح الأمير الثالث عشر في أسرة آل الصباح، وثالث أمير لدولة الكويت منذ إستقلالها.

ـ أبرز الأحداث التي حصلت أثناء توليه الإمارة:

مرت ولاية الشيخ جابر الأحمد الجابر الصباح بالعديد من الأحداث الهامة، أولها كانت محاولة اغتياله عام 1985، وثانيها كان الغزو العراقي على دولة الكويت عام 1990، ومن ثم تحررت دولة الكويت بتاريخ 26 شباط/ فبراير عام 1991.

ـ محاولة اغتياله:

في الساعة التاسعة والربع من صباح يوم السبت الموافق في 25 أيار/ مايو عام 1985 كان الموكب المعتاد لصاحب السمو أمير البلاد الشيخ جابر الأحمد الجابر الصباح قادماً من قصر دسمان في طريقة إلى قصر السيف متخذاً طريقه إلى شارع الخليج العربي.

وكان الموكب مؤلفاً من عدة سيارات تتقدم وتلي سيارة الأمير، بحيث كانت في المقدمة سيارة تابعة لإدارة المرور تليها إحدى

سيارات الحرس الأميري ومن خلفها سيارتان أخريان ثم تأتي سيارة الأمير حيث كان سموه يجلس كعادته في المقعد المجاور لسائقه ويحف بهذه السيارة من جانبيها وإلى الخلف قليلاً سيارتان من سيارات الحرس الأميري إحداهما من الناحية اليمنى والأخرى من الناحية اليسرى، ثم تأتي من بعد إحدى السيارات وحدة الأمن الخاص التابعة للحرس الأميري وتليها السيارة الاحتياطية للأمير وأخيراً كانت سيارة الإسعاف.

وقد جرت الترتيبات الأمنية الخاصة بسير موكب الأمير على أن تصدر الأوامر قبل أن يغادر الموكب قصر دسمان بإغلاق إشارات المرور الضوئية في وجه السيارات التي تغدو وتروح على جانبي الطريق الذي يسلكه الموكب دائماً.

بحيث يضحى خالياً إلا من بعضها التي تتسرب من فتحات جانبية فيما بين الإشارات الضوئية، وتكون مهمة السيارات المرافقة للموكب مراقبة هذا الأمر والعمل على تجنب أي اعتراض لمسير الموكب إلى أن يصل غايته.

وفي ذلك اليوم جاء موكب الأمير إلى أن شارف الوصول إلى قصر السيف، ولدى اقترابه من موقع محطة البنزين لاحظ سائق سيارة المرور الأمامية أن هناك سيارة بيضاء من طراز نيسان يابانية الصنع قادمة من الجانب الآخر من الطريق، وقد أعطى سائقها إشارة ضوئية تشير إلى اعتزامه دخول فتحة الرصيف الأوسط لينعطف إلى الجانب الأيمن الذي يمر به الموكب، فكان طبيعياً وفي نطاق الإجراءات الأمنية المتبعة في مثل هذه الحالات أن تندفع

سيارة المرور نحو فتحة الانعطاف للحيلولة دون دخول تلك السيارة إلى مسار الموكب.

ولكن السيارة لم تكن قد بلغت بعد فتحة الانعطاف فمضت سيارة المرور في حين تولت السيارة التالية وهي سيارة الحرس الأميري بقيادة العريف محمد استكمال المهمة مسرعة نحو فتحة ولوج السيارة مستخدمة وسائل التحذير من المضي في الانعطاف. فتوقفت السيارة بداخل الفتحة لحظات استغرقها مرور مقدمة سيارة الحرس الأميري، ثم ما إن لبث قائد السيارة الدخيلة أن اندفع ليقتحم مسيرة الموكب فاصطدمت سيارته بالمؤخرة اليسرى لسيارة الحرس فدوى انفجار هائل أعقبه اندلاع النيران في مكان الاصطدام ودخان كثيف خيم على تلك البقعة المنكوبة بالشظايا والأشلاء البشرية التي تطايرت وتناثرت هنا وهناك.

وترتب على شدة الانفجار أن اندفعت سيارة الحرس الأميري الجانبية اليسرى نحو سيارة الأمير واصطدمت من جانبها الأيسر فدفعتها بدورها إلى الناحية اليمنى من الطريق بعيداً عن مكان الانفجار واللهب إلى أن توقفت إلى جانب الرصيف الأيمن قريباً من موقع محطة البنزين حيث كان يقف العريف بالمباحث الجنائية المنوط به مراقبة موكب الأمير في ذلك المكان تاركاً سيارته خلف محطة البنزين في منطقة رملية تجاه الخليج والذي ما إن رأى صاحب السمو من الباب الأيمن لسيارته حتى ركض لمساعدته بمعاونة الملازم أول عبد الوهاب والنقيب جعفر والرقيب سليمان والجندي حسين.

سارع الجميع إلى نقل الأمير بسيارة رجل المباحث إلى المستشفى الأميري، حيث تم اتخاذ الإسعافات اللازمة له.

فقد شاءت عناية الله جلت قدرته أن تكلأ سمو الأمير على نحو لا قبل لأية قوة بشرية أن تتخذه.

ـ كلمة سمو الأمير:

ولم تهدأ نفوس المواطنين والمقيمين الذين هز مشاعرهم خبر الحادث إلا عندما ظهر الأمير على شاشة التلفزيون وقد بانت على وجهه آثار الحادث. ولأول مرة شاهد المواطنون أميرهم وهو يتحدث لهم دون أن يرتدي العقال، وذلك من مركز العناية في المستشفى الأميري بالجناح الثالث.

وبكثير من العفوية والحب التف المواطنون والمقيمون حول شاشات التلفزيون والإذاعة ليسمعوا كلمة الأمير التي جاء فيها: «بسم الله الرحمن الرحيم... الحمد لله رب العالمين.. والصلاة والسلام على سيد المرسلين.. إخواني وأبناء بلدي ﴿**قل لن يصيبنا إلا ما كتب الله لنا**﴾، صدق الله العظيم.

فهو الحافظ وبيده كل شيء وأود أن أطمئنكم جميعاً إنني الآن بخير والحمد لله ومهما نتعرض له من حوادث فإن ذلك لن يثنينا ويثني الكويت عن السير في طريق الخير للجميع وأن نعمل من أجل الخير لأبنائنا ولأمتنا العربية والإسلامية. إنني أشكركم جميعاً لما أظهرتم من مشاعر صادقة وأدعو الله سبحانه أن يبعد عنكم كل مكروه، كما أود أن أشكر إخواني الرؤساء الذين اتصلوا بي معربين

عن مشاعرهم الأخوية التي أعتز بها، حفظ الله الجميع من كل مكروه ورحم الله الذين ذهبوا ضحية هذا الحادث الأليم.. وشفى الله المصابين والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته».

توفي الأمير جابر الأحمد الجابر الصباح في 15 كانون الثاني/ يناير عام 2006 في الكويت، وشيع جثمانه بعد صلاة العصر.

- نعي الأمير:

نعى الديوان الأميري الكويتي أمير البلاد الشيخ جابر الأحمد الصباح صبيحة الأحد 15 كانون الثاني/يناير 2006، عن 78 عاماً، بعد صراع مع المرض طال سنوات.

أُعلن خبر الوفاة في بيان تلاه وزير الإعلام الكويتي أنس الرشيد، قبل أن يقطع التلفزيون الكويتي إرساله العادي ليبث آيات من القرآن الكريم، وأشار البيان إلى إعلان الحداد لمدة 40 يوماً، على أن تغلق الدوائر الرسمية أبوابها لثلاثة أيام.

وحكم الشيخ جابر الكويت منذ العام 1978، لكنه عانى من المرض منذ 5 سنوات، إثر إصابته بنزيف في المخ في أيلول/ سبتمبر عام 2001.

«إنا لله وإنا إليه راجعون».

السيد محمد حسين فضل الله
(1935 - ...)
(محاولة اغتيال في العام 1986)

هو السيد محمّد حسين ابن السيد عبد الرؤوف ابن نجيب الدين ابن السيد محيي الدين ابن السيد نصر الله ابن محمد بن فضل الله (وبه عرفت الأسرة وإليه نسبت) ابن محمد بن محمد بن يوسف بن بدر الدين بن علي بن محمد بن جعفر بن يوسف بن محمد بن الحسن بن عيسى بن فاضل بن يحيى بن حوبان بن الحسن بن ذياب بن عبد الله بن محمد بن يحيى بن محمد بن داود بن إدريس بن داوود بن أحمد بن عبد الله بن موسى بن عبد الله بن الحسن المثنى ابن الحسن السبط ابن الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام.

- الولادة والنشأة:

ولد سماحة العلامة المرجع السيد محمد حسين فضل الله في النجف الأشرف/ العراق في 19/ شعبان/ 1354هـ الموافق في 15/ 12/ 1935م، حيث كان والده آية الله السيد عبد الرؤوف فضل الله قد هاجر إليها لتلقّي العلوم الدينية، وأمضى مع أسرته فترات طويلة في

الدرس والتدريس، ضمن الحاضرة العلمية الأبرز في العالم آنذاك.

- الدراسة العلمية:

ترعرع السيد فضل الله في أحضان الحوزة العلمية الكبرى في النجف الأشرف، وبدأ دراسته للعلوم الدينية في سنّ مبكرة جداً. ففي حوالي التاسعة من عمره، بدأ بالدراسة على والده، وتدرّج حتى انخرط في دروس الخارج في سنّ السادسة عشرة تقريباً، فحضر على كبار أساتذة الحوزة آنذاك، أمثال: المرجع الديني السيد أبو القاسم الخوئي، والمرجع الديني السيد محسن الحكيم، والسيد محمود الشاهرودي، والشيخ حسين الحلي (قدّهم)، وحضر درس الأسفار عند الملاّ صدرا البادكوبي.

وقد كان سماحة السيد فضل الله من الطلاب البارزين في تحصيلهم العلمي في تلك المرحلة، ويُذكر في هذا المجال أن السيد الشهيد محمد باقر الصدر (ره) قد أخذ تقريرات بحث السيد فضل الله إلى السيد الخوئي لكي يُطلعه على مدى الفضل الذي كان يتمتع به سماحته، هذا الأمر الذي انعكس فيما بعد ثقة كبيرة من المرجع الخوئي تجاه السيد فضل الله، فكانت وكالته المطلقة له في الأمور التي تناط بالمجتهد العالم.

وقد أثر عن سماحة السيد فضل الله أنه كان من الأوائل البارزين في جلسات المذاكرة، حتى برز من بين أقرانه ممن حضروا معه، فتوجّهت إليه شرائح مختلفة من طلاب العلم في النجف آنذاك، فبدأ عطاءه العلمي أستاذاً للفقه والأصول.

ـ العطاء العلمي:

حضر عند سماحته في النجف الكثير من طلاب العلم، من اللبنانيين والعراقيين والسوريين، مما يسمى بالمقدمات وحتى السطوح، حتى درّس عدة دورات في كتابي «المكاسب» و«الرسائل» للشيخ مرتضى الأنصاري، وكتاب «كفاية الأصول» للآخوند الخراساني.

وقد كان كل أقرانه يشهدون له بالمكانة العلمية والتحصيل، حتى افتقدته الساحة الإسلامية في العراق عندما عاد إلى لبنان في العام 1966م، وهذا ما عبّر عنه السيد محمد باقر الصدر حين قال: «كل من خرج من النجف خسر النجف إلا السيد فضل الله، فعندما خرج من النجف خسره النجف».

وكما اهتم سماحته بالدراسة الدينية الحوزوية، اهتم بالنشاط الثقافي في النجف، فانتُخب عضواً في المجمع الثقافي لمنتدى النشر، وقد شارك في الحفلات الأدبية، وكان على اطلاع على الثقافة العصرية، فكان يقرأ المقالات التي يكتبها الأدباء والمفكّرون في المجلات المصرية واللبنانية التي كانت تصل إلى النجف آنذاك، فكان يقرأ ـ في سن العاشرة ـ مجلة «المصوّر» المصرية، ومجلة «الرسالة» التي كان يصدرها حسن الزيّات، ومجلة «الكاتب» التي كان يصدرها طه حسين، وغيرها.

وهذا الأمر أوحى إليه، مع بعض زملائه، ومنهم السيد محمد مهدي الحكيم، نجل المرجع السيد محسن الحكيم، بإصدار مجلة خطّية باسم «الأدب». يقول العلامة المرجع السيد فضل الله في هذا

المجال: «وكنا نحررها في سن العاشرة أو الحادية عشرة في ذلك الوقت، وكنا نكتب عدداً كلما زاد مشترك، وكنا نعيش هذا الهاجس في أنفسنا».

وعندما أصدرت جماعة العلماء في النجف الأشرف مجلة «الأضواء» سنة 1380هـ 1960م، وهي مجلة ثقافية إسلامية ملتزمة، كان سماحته أحد المشرفين عليها مع السيد الشهيد محمد باقر الصدر والشيخ محمد مهدي شمس الدين.. يقول سماحته: «كان السيد محمد باقر الصدر، في السنة الأولى منها، يكتب افتتاحيتها بعنوان «رسالتنا»، وكنت أكتب أنا الافتتاحية الثانية بعنوان «كلمتنا»، وقد جمعت هذه الافتتاحيات في كتابي «قضايانا على ضوء الإسلام».

وعندما عاد سماحة السيد فضل الله إلى لبنان في العام 1966م، على إثر دعوة وجّهها إليه مجموعة من المؤمنين الذين أسسوا جمعية «أسرة التآخي» التي تهتم بالعمل الثقافي الإسلامي الملتزم، من خلال شعورهم بمدى حاجة الساحة الإسلامية اللبنانية إلى سماحته، لم ينقطع عن العطاء العلمي، فأسس حوزة «المعهد الشرعي الإسلامي»، وشكّل بذلك نقطة البداية لكثير من طلاب العلوم الدينية، وقد تخرج على يديه كثير من العلماء البارزين في الوسط اللبناني، وما يزال المعهد قائماً حتى وقتنا الراهن.

شرع سماحته بإلقاء دروس الخارج في الفقه والأصول على طلاّب العلم منذ ما يزيد عن العشرين عاماً، ويحضر درسه في بيروت ما يزيد عن المائة طالب من اللبنانيين والعراقيين وغيرهم،

وقد درس على يديه العديد من أهل العلم والفضل وأساتذة الحوزة، وقد صدرت تقريرات لبعض أبحاثه في النكاح والرضاع والوصية والمواريث والقضاء، وغيرها، بالإضافة إلى مئات أشرطة التسجيل الصوتي في الأبواب الفقهية والأصولية المتنوعة.

وبالإضافة إلى درس الخارج في بيروت، شرع سماحته بتدريس الخارج في «حوزة المرتضى» في دمشق ـ سوريا، في يومي السبت والأحد من كل أسبوع، يحضره العديد من طلاب العلم وأساتذة الحوزة، من العراقيين والخليجيين بشكل خاص، ممن هاجروا إلى الشام وأقاموا في جوار السيدة زينب عليها السلام وقد درّس سماحته في أبواب مختلفة من الفقه، وطبع من تقريراته كتاب «فقه الإجارة»، وفقه الشركة، ويتابع حالياً التدريس في فقه مناسك الحج.

ـ المنهج الفقهي الأصولي:

تميّز سماحة السيّد (دام ظلّه) بتجربة فقهية وأصولية متميّزة جعلت منه مجدداً في هذا العالم، متابعاً لمسيرة السلف الصالح من الفقهاء، وممهّداً الطريق نحو اجتهاد أصيل في فهم الكتاب والسنّة، وقد ساعده على ذلك فهمه العميق للقرآن الكريم، إنطلاقاً من تفسيره «من وحي القرآن»، وذوقه الرفيع في اللغة العربية وآدابها، والذي يُعتبر الركن الأساس في فهم النصّ، ويمكن لنا أن نذكر عدة مميّزات في هذا المجال:

1 ـ اعتماد سماحته على الرؤية القرآنية كأساس في الاجتهاد والاستنباط بوصفه الأساس التشريعي والدستوري الأول في

سلّم مصادر التشريع، وقد مكّنه ذلك من الوصول إلى معطيات فقهية جديدة تمثّل فهماً قرآنياً أصيلاً.

2 ـ محاولة تخليص الفقه من التعقيدات التي أفرزها تأثّر الممارسة الاستنباطية والتنظير الأصولي بالفلسفة التجريدية، ما أدى إلى تشويش الفهم العرفي في تعامله مع النصّ في دلالته ومعطياته. وليس ذلك إنكاراً لأهمية الأصول كما توهّم الكثيرون، وإنما هو العمل على التوفيق بين النظرية والتطبيق التي خالف فيها كثيراً من الفقهاء لسبب وآخر.

3 ـ الشمولية في الرؤية الفقهية، حيث تتحرّك العملية الاستنباطية لتجمع كل المفردات المترابطة التي تشكّل المنظور الإسلامي المتكامل، خلافاً للمنهج التجزيئي الذي يعمل على تقطيع أوصال الأحاديث التي تنتمي إلى وادٍ واحد.

4 ـ الذوق الأدبي الراقي، والقدرة اللغوية المتميّزة عند سماحته، أعطى لممارسته الاستنباطية عمقاً وأصالة وصفاءً من جهة، ووفّر له فهماً أدق وأعمق للنصوص الشرعية من جهة أخرى.

وبالإضافة إلى كل ذلك، امتلك سماحة السيد (دام ظلّه) الجرأة العلمية على طرح نظرياته الفقهية عندما يتوصل إلى قناعة ثابتة بها، ورأى أنه في ظل وضوح الرؤية لدى الفقيه، ليس ثمة مبرر له في الاحتياط، لأن الاحتياط لا بد أن يرتكز على دراسة واقعية لظروف المكلّفين لا لظروف المجتهد، لأن الاحتياطات التي لا أساس علمياً

لها، أوقعت المكلّف بالحرج والمشقة في كثير من المجالات الابتلائية، ولذا أفتى سماحته بطهارة كل إنسان، وبجواز تقليد غير الأعلم، وباعتماد علم الفلك والأرصاد في إثبات الشهور القمرية، وغير ذلك، وقد قال بعض الفضلاء وهو يشير إلى بعض الفتاوى السابقة، إنه وصل إلى نفس النتائج، والفرق أن «السيّد كان أجرأ منا».

ـ الحركية الإسلامية:

آمن سماحة العلامة المرجع السيد محمد حسين فضل الله بأن على الإنسان المسلم، خصوصاً إذا كان في المواقع القيادية، أن يستلهم حركته من حركة النبي الأكرم ﷺ، ومن أئمة أهل البيت عليهم السلام، الذين لم يقتصروا في حياتهم وعطائهم على جانب دون جانب، بل عملوا على سدّ الفراغ في كل ما يحتاجه الناس والمسلمون في حياتهم السياسية والثقافية والجهادية والروحية، وما إلى ذلك، ولذا آمن سماحته بأن على الداعية والعالم الديني أن يتحرك من موقع الفعل، لا من موقع ردّ الفعل، وأن يطرح الإسلام في كل ما يهم الإنسان المعاصر، باللغة التي يفهمها، من دون أن يتنازل عن مبدأ من مبادئه، أو تفصيل من تفاصيله، لأنه رأى أن مشكلة الإسلاميين مع الجيل المعاصر ليس في المضمون الذي يقدمه هؤلاء، بل في الأسلوب الذي يطلقون فيه الفكرة، والمفردات التي يصوغون فيها النظرية، فيحدّثون الجيل بغير لغته الثقافية، فيرى بأن همومه شيء، وأن الإسلام شيء آخر ينتمي إلى القرون الوسطى وما قبلها في الذهنية والعقلية.

ولذلك عرف سماحته الانفتاح على قضايا المسلمين السياسية في وقت مبكر جداً، وقد كانا جنباً إلى جنب هو والسيد الشهيد محمد باقر الصدر، وذلك في الاهتمام بالحركة الإسلامية في العراق. يقول سماحته: «كنت من أوائل الذين شاركوا في ولادة الحركة الإسلامية الشيعية الملتزمة في العراق إلى جانب السيد محمد باقر الصدر، وكنا نلتقي معاً ونخطط معاً لولادة حركة إسلامية في الواقع الإسلامي الشيعي، لأن الحركات الإسلامية كانت تتحرك في الوسط السنّي، كحركة «الإخوان المسلمين»، و«حزب التحرير الإسلامي»، وبهذا شاركت في ولادة وتفعيل الحركة الإسلامية في العراق، التي امتدت إلى أغلب مواقع العالم العربي والإسلامي على الأقل.

حضر سماحة السيد فضل الله إلى الساحة اللبنانية دون أن تعتريه الأوهام من صعوبة المهمة التي وجدها بانتظاره، فالأحزاب العلمانية استدرجت الشباب المسلم، والشيعي تحديداً، إلى ساحتها، والأحزاب الطائفية تقاسمت الشرائح الأخرى تحت عناوين عصبية بعيدة عن الدين. وكان العمل في هذه الأجواء من الصعوبة، بحيث كان يراد حرث أرض أشبه بصحراء قاحلة، وكان استصلاح هذه الأرض هي الخطوة الأولى التي لا بد منها للمباشرة بنشر بذور الإسلام من جديد.

كان واضحاً لسماحة السيد منذ البداية، أن الإرادة الصلبة والعزيمة القوية والإيمان بقدرة الإسلام على إحياء النفوس الجدباء، هي المقدمات الطبيعية لمباشرة عمل رسالي لا يبقي لصاحبه شيء

لذاته أو لحياته الشخصية الخاصة، وكان التحدي الكبير أمام سماحته هو قبول التحدي وبدء التحرك في ظروف أقلّ ما يُقال فيها إن الدين بات مما يزدريه الشباب الناشئ، ويتبنى تجاهه المقولة الحزبية الرائجة آنذاك، أنه سبب «تخلّف العرب والمسلمين»، وإنه «أفيون الشعوب».

اختار السيد أن يبدأ خطواته الأولى في المشوار الطويل من «وكر الدبابير»، من منطقة النبعة، ذات الأغلبية الشيعية الفقيرة، والتي تقع جغرافياً على تخوم مناطق من طوائف أخرى. تختلف عنها بالعقيدة والتقاليد ومستوى المعيشة.

أصرّ سماحته منذ البداية على إقامة صلاة الجماعة في المسجد الصغير الذي بدأ يجد له أنصاراً يدعمونه ببعض المعونات (التبرّعات) التي كانت في يد الله تنمو، فيتّسع معها المسجد ليصبح مركزاً ثقافياً إجتماعياً يضمُّ إليه حوزةً علمية ومكتبة عامة وقاعة محاضرات وصفوف تدريس ومستوصفاً خيرياً وأسرة إسلامية جنينية هي «أسرة التآخي».

وسرعان ما لفت سماحة السيد نظر الشباب المسلم في تلك المنطقة، وبدأت محاضرات سماحته تتحوّل إلى حديث الناس في المجالس الخاصة والعامة، فأخذت أفئدة من الشباب الطالع تهوي إليه وتتحلّق حوله في المسجد الذي ضمّ العصبة الأولى من الشريحة الشابة التي لفتها الإسلام.

اشتغل سماحة السيد من مركزه في النبعة على خطين: الأول رعاية شؤون العامة من الناس، وتصويب اعتقاداتهم وتمتين ثقتهم

بعقائدهم ودينهم، وحثّهم على المثابرة على القيام بالتزاماتهم الدينية دون خوف من تهويلات العقائد الحزبية ذات السطوة في حينه. وعلى خطٍّ آخر، عمل سماحته على إعداد شريحة شابة في ريعانها الأول، من خلال برنامج متكامل من المحاضرات التي تناولت شتى صنوف المعرفة الإسلامية المركّزة. وعلى هذا الخطّ، عمل سماحته على إعداد مجموعة من طلاّب العلوم الدينية بحسب المنهاج الحوزوي المتّبع في الحوزات الكبرى.

هؤلاء الشباب الذين اهتدوا إلى إسلام يدفعهم إلى لجّة الحياة بدل الانعزال عنها، أغراهم أسلوب سماحته في التعمّق فيه بشكل مكثّف، وأصبحوا في وقتٍ قصير فريقاً متماسكاً ينتهج أسلوب الدعوة إلى الله، ويجاهر بالتزامه بالإسلام الحركي الذي واجه التحدي الكبير في حينه، واستطاع أن يصمد أمام رياح التغريب والتشريق العاتية في آن، وأن يمتد في مرحلة لاحقة ليشمل مناطق جديدة من لبنان، فمن النبعة إلى المحيط ـ الدكوانة ـ ومنه إلى مدينة بيروت، كان صوت الإسلام يصدح من خلال أشرطة التسجيل والمحاضرات المركّزة لسماحته في كامل مناطق تواجد المسلمين في لبنان، وبالأخص في منطقتي الجنوب والبقاع.

ـ المشروع الإسلامي المتكامل:

كان واضحاً أمام سماحة السيد منذ اللحظة الأولى لمجيئه إلى لبنان، أنه لا بد من العمل للإسلام في إطار مشروع متكامل، وأن العدّة التي لا بد من مباشرة العمل بها هي الإخلاص والإصرار والمزيد من الصبر على المكاره، وقد أعان سماحته على استيعاب

صعوبات العمل في الساحة اللبنانية، ما أكسبته إياه الساحة العراقية من خبرة، وهي ساحة تتمتع بالغنى في جميع مجالاتها، حيث كانت الأنشطة التي زاولها في مناطق شاسعة من العراق، والتي انفتح فيها على شرائحها الشعبية والثقافية والإجتماعية المتنوعة تأثراً وتأثيراً، كانت له عوناً وخبرةً على معالجة ساحة هي في غاية التعقيد كالساحة اللبنانية..

حين حضر سماحة السيِّد موسى الصدر إلى لبنان، وأراد أن يباشر حركته السياسية، كان سماحة السيِّد قد أهّل نخبةً كبيرةً من الشباب كانوا نواة العمل السياسي الإسلامي الذي انطلق في تلك المرحلة.. ومع ذلك، فإن سماحته أراد أن يبقي على المشروع الفكري الإسلامي حاكماً للمشاريع الأخرى، باعتبار أن العمل الفكري الإسلامي العام يمكن أن يشكّل خيمة كبيرة لكل المشاريع الأخرى، وأيضاً الرافد الأساسي لكل المشاريع المتصلة بالإسلام على صعده السياسية والإجتماعية المتنوّعة.

ترجم سماحة السيد فضل الله توجهه الإسلامي العالمي عن طريق طرح الإسلام كفكر عام غير حزبي وغير طائفي وغير مذهبي، وسعى إلى أن يكون عامل جذب متنوع لكل من أراد التزام الإسلام بلا عقد وحواجز، ولكل من أراد التعرف إلى الإسلام بدون تعقيدات المذاهب والطوائف والأحزاب.

فكان روّاد محاضراته ودروسه منذ البداية، شباب لبناني من مختلف الطوائف، وإن غلب عليه اللون الشيعي، فلأن الساحة الأساسية لجهاده ونشاطه كانت إنطلاقتها من هذه البيئة المعروفة.

وقد عمد سماحته إلى ترجمة البعد العالمي لمشروعه الإسلامي الأممي ميدانياً، عن طريق تلبية الدعوات المكثّفة التي كانت تأتيه من مختلف دول العالم الإسلامي والغربي، فكانت له جولات سنوية على دول إسلامية، وأخرى غربية التقى خلالها نخبة من الشباب الإسلامي الملتزم الواعي المدرك لأهمية التمسّك بالإسلام في الحياة، وخاصة في بلاد الاغتراب، ومنها الولايات المتحدة الأميركية وفرنسا وبريطانيا ودول غربية أخرى.

ذاع صيت سماحته في مختلف أصقاع العالم، وبدأ الطلب على محاضراته وخطبه يتوالى بشكل عكس الحاجة الشبابية الملحّة إلى إسلام متحدٍّ غير منعزل، وإسلامٍ قابل للحياة يتعامل مع الواقع بأدوات الواقع، ويتحرك بثقة كبيرة، كغيره من الأفكار التي كانت رائجة في العالم آنذاك ويعمل لها منظرون أفذاذ، كالماركسية والرأسمالية والإشتراكية والقومية.

وهكذا أفلح سماحة السيّد في طرح الإسلام كفكر إنساني عالمي، كما يطرح المفكرون العلمانيون والقوميون أفكارهم على مستوى العالم، ولعلّه أول علماء الدين في العصر الحديث الذي اعتبر أن إسلامنا لا بد من أن نطرحه بقوة، لأنه يمتلك ذاتياً تلك القوة، وأن العالم يحترم الفكر القويّ. والمهم أن أصحاب هذا الفكر يجب أن يتوفروا على ما يجعلهم قادرين على خوض غمار المواجهة والتحدّي.

من هنا اعتمد السيّد ـ وعلّم الشباب ـ على أسلوبين في الطرح الإسلامي العام: أسلوب الحوار الهادئ الذي يجعل الآخر يستمع

للإسلام ليتعرف إليه من أبنائه ومن مصادره بعيداً عن الأحكام المسبقة، وأسلوب القوة في الطرح الذي يجعل الآخر يحترم الإسلام حتى ولو لم يعجبه أو يغريه الالتزام به. ولهذه الغاية، كتب سماحته أول كتبه حول «أسلوب الدعوة في القرآن»، و«الإسلام ومنطق القوة»، وكتب في بيان المنهج القرآني للحوار كتاب «الحوار في القرآن»، كما نظّر للعمل الإسلامي في كتابه «خطوات على طريق الإسلام» الذي ظلّ لفترات طويلة تتناقله أيدي الطلاب والمدرّسين.

ـ في الحرب الداخلية اللبنانية (1975م):

الأحداث الأمنية التي عصفت بلبنان مع مطلع العام 1975م، وضعت مشروع سماحته التوعوي الفكري أمام تحدٍّ من نوع آخر. ولوهلة، أحسّ الجميع أن الأمور ستعود إلى نقطة البداية، إلى نقطة الصفر، خاصة بعد أن وقعت النبعة، حيث المركز الإسلامي لسماحة السيد وقاعدة نشاطه، في أيدي فريق لبناني كان يقاتل فريقاً آخر يمسك أمنياً بتلك المنطقة.

لكن شخصية السيد الديناميكية الحركية الفاعلة، ما كانت لتستسلم لمنطق الحرب وحصارها، فكان أن أصبح محور الاستقطاب حيث يكون سماحته، فعاد يتحلق حوله الشباب الحركي ويفتحون معاً ثغرة كبيرة في جدار الحرب، انطلقوا عبرها إلى جميع المناطق الإسلامية، إلى أن كانت المحطة التالية بعد الهدوء النسبي للأوضاع الأمنية في لبنان، في منطقة شعبية شبيهة بالنبعة هي حي السلم، في ضاحية بيروت الجنوبية، التي أخذ النازحون يتجمعون

فيها قادمين من المناطق اللبنانية التي حالت الأوضاع الأمنية فيها دون استقرار أوضاعها بشكل مريح ومقبول.

من الضاحية الجنوبية للعاصمة اللبنانية بيروت انطلق نوع آخر من نشاط السيد، ومستوى آخر من العمل الإسلامي الحركي المتميِّز كماً ونوعاً، إذ بعد مرور ما يقرب من السنتين على الحرب التي عصفت بأربع رياح لبنان، بدأت الأحزاب العلمانية تفقد مصداقيتها العقائدية والسياسية، وبدأ الشباب اللبناني يفقد الثقة بها ويبتعد عنها بشكل كبير، وانهار الهيكل الطوباوي من حولها، فأخذت تدخل في إطار الحركة التي بدأها سماحته، وأسسها على الخير والتقوى، أفواجاً تسبِّح بحمد ربها وتستغفره على ما اقترفته من آثام بعيداً عن الإسلام الأصيل وعن علماء أثبتوا بحق مصداقيةً وثباتاً لم يعهدوا له مثيلاً عند معظم قيادات الساحة اللبنانية.

شكّلت هذه العودة المكثفة للشباب المسلم إلى حضن الإسلام تحت رعاية سماحة السيد، عامل استفزاز كبير للأحزاب القومية والعلمانية في المناطق اللبنانية. ولا بد من الإشارة هنا، إلى أن عدداً من هذه الأحزاب والتنظيمات قد استقوى على التيار الإسلامي الذي بدأ عوده يصلب، فكان أن حدثت عدة محاولات لاغتيال سماحته، إحداها بقذيفة مدفع أصابت غرفة نومه، حيث كان يسكن في منطقة الغبيري بعد انتقاله من مسكنه السابق، إضافةً إلى محاولات اغتيال أخرى جرت على الطريق التي كان يسلكها سماحته إلى درس تفسير قرآني في منطقة الشياح، وأخرى على الطريق التي كان يسلكها إلى خطبة يوم الجمعة في بئر العبد.

لم تنل هذه المحاولات الفاشلة من عزيمة سماحة السيد، وكان لسان حاله دائماً «إنني قد نذرت نفسي للإسلام ولا عودة إلى الوراء حتى لو أدى ذلك إلى استشهادي. . ونحن قومٌ الموت في عُرفِنا عادة وكرامتنا من الله الشهادة». ولكن، وأمام إلحاح المؤمنين الطيبين والشباب المتديّن الواعي الحركي، انتقل سماحته للسكن في منطقة بئر العبد، خاصة بعد أن طلب إليه والده المقدس آية الله السيد عبد الرؤوف فضل الله ذلك، لأن انتقاله من منطقة تشكل خطراً أكيداً عليه إلى منطقة أكثر أمناً يُعَدّ تكليفاً شرعياً وليس خياراً نضالياً.

ومنذ تلك المرحلة، رعى سماحة السيد نشوء عدد من الجمعيات والمؤسسات الإسلامية الشبابية والطلابية، ودعمها معنوياً وفكرياً بكل ما أمكنه، فكان معظم الشباب الحركي المتدين في حركة «أمل» و«الإتحاد اللبناني للطلبة المسلمين»، وفيما بعد جمعيات إسلامية أخرى، يتدارسون على فكره ومحاضراته، وكان عدد كبير من الذين اختاروا الدراسة الحوزوية يتتلمذون عليه في معهد شرعي ـ أسّسه في منطقة النبعة كما أسلفنا ـ وفي منزله وبشكل يومي. ولم يكن سماحته ليقاطع دعوة توجه إليه يلقي فيها محاضرة فكرية أو درساً عقائدياً أو ندوة تفسير قرآن، بل أكثر من ذلك، كان معظم هؤلاء الشباب الحركي الواعي يتحلّق حول سماحته في المسجد الذي كان خلية روحية رائعة في رحاب دعاء كُمَيْل، الذي استمرّ سماحته في ترداده بصوته الشجيّ إلى وقت متأخر قبل أن تلمّ به وعكة صحية مؤسفة.

ـ الاجتياح الإسرائيلي وإنطلاق المقاومة:

عشية الاجتياح الإسرائيلي للبنان عام 1982، كانت الكتلة الشابة من المتدينين الحركيين قد بلغت شأناً لا يستهان به، خاصة وأن هذه الكتلة التي نشأت وترعرعت في كنف سماحته، شكّلت النواة الأولى لهيئة دعم الثورة الإسلامية في إيران، حيث كان سماحته أول من دعا إلى التعاطف مع شعاراتها، وإلى ضرورة التفاعل مع قياداتها، وعلى رأسهم الإمام الخميني (قده)، دون تحفظات، باعتبارها البشارة والشرارة التي يمكن أن تتشكل على أساسها الجمهورية الإسلامية التي كانت محطّ تطلّع وآمال العلماء والشباب الحركيين في لبنان والعالم.

وأخذ سماحة السيد على عاتقه التنظير للاستراتيجيات الإسلامية للثورة، والتفاعل المنتج مع قياداتها، كما قام سماحته في هذا السياق بتلبية العديد من الدعوات التي وجهت إليه من قيادات الثورة الإسلامية، حيث كانت هذه اللقاءات مناسبات مثلى للتداول بشؤون الإسلام والمسلمين، وتدارس الخطط الكبرى للمشروع الإسلامي الذي راح يأخذ أبعاداً مميزة له إنطلاقاً من الجمهورية الإسلامية في إيران.

وقد شارك سماحته في مؤتمرات عديدة كانت تعقد في أنحاء مختلفة من العالم، في أميركا وأوروبا وشرق آسيا وغيرها.

ـ محاولة اغتياله:

مع بداية الاجتياح الصهيوني للبنان، أخذت الكوادر الشابة التي انطلقت من مسجد الإمام الرضا عليه السلام في بئر العبد تتوافد زرافاتٍ

ووحداناً لتنال توجيهات سماحته بالنسبة للمهمّات الجهادية في مواجهة القوات الصهيونية الغازية. وفي حين كانت دعواتٌ في لبنان تنحو منحى إعطاء هوية المواجهة مع العدوّ صفة «المدنية»، كان سماحته على قناعة تامة بأن المقاومة المسلحة هي السبيل الوحيد والمثالي لمقارعة عدوٍّ لئيم لا يفهم إلا لغة القوة.

وعلى قاعدة أن سماحة السيد هو مرشد مجموعات الشباب التي انبرت للمقاومة والجهاد والاستشهاد في سبيل الله، ولغاية دحر العدو وقواته من المناطق اللبنانية المحتلة، بدأت أجهزة الاستخبارات المحلية والإقليمية والدولية، وعلى رأسها الـ(سي. آي. إيه)، التخطيط لاغتيال رأس الحالة الإسلامية الجهادية في لبنان، وأُخذ القرار، ووضعت سيّارة مفخّخة في العام 1986 بجوار منزله في بئر العبد ذهب ضحيتها ما يزيد على المئة والخمسين بين قتيل وجريح، معظمهم من الأطفال والنساء والشيوخ، وقد أدلى بهذه المعلومات وليم كايسي رئيس جهاز الاستخبارات الأميركية آنذاك، ونشرت في جريدة «الواشنطن بوست».

قبل محاولة الاغتيال الآثمة والفاشلة، تحوّل منزل سماحة السيد فضل الله إلى محجة لكل وسائل الإعلام العالمية والإقليمية والمحلية، تتسابق لمقابلة سماحته كونه الشخصية المركزية في لبنان التي تملك القول الفصل في جملة القضايا الساخنة على الساحة اللبنانية. وجدير بالذكر، أن هذه الهجمة الإعلامية العالمية على سماحة السيد، كانت تجري في وقت عمدت الدول الاستكبارية

جميعها إلى إنشاء مراكز الدراسات المتخصصة لدراسة الإسلام الحركي، وكانت تحتاج إلى شخصية إسلامية قيادية مميزة تستطيع من خلالها أن تتعرف الإسلام الحركي ـ المقاوم الفاعل، الذي بدأ يصبح حديث الناس في الشرق والغرب.

وكان سماحة السيد مصدراً أساسياً للتعرف على الإسلام الحركي الذي بدأت أصداؤه تتردّد في طول العالم الإنساني وعرضه. وهنا، لا نغفل عن ضميمة أخرى كان يضمرها بعض الإعلاميون الذين توافدوا من أكثر من دولة غربيّة إذ كان العديد منهم مرتبطاً بأجهزة استخبارات دولية. وربما كانوا يعتقدون قبل محاولة الاغتيال الفاشلة، أنهم سيكون لهم سبق بنشر آخر ما تحدث به السيد قبل رحيله!!

في هذه الأثناء، انفتحت خطوط التواصل بين سماحة السيد وكبريات الحركات الإسلامية العالمية سنيّها وشيعيّها، وبات فكر السيِّد وتوجّهاته وإرشاداته السياسية والإستراتيجية، مناهج تتداولها قيادات وكوادر التيارات الإسلامية في العالم، خاصةً بعد أن حالت الهجمة الاستكبارية والاستخباراتية على سماحة السيد دون سفره إلى دول العالم الإسلامي والغربي، فأصبح هذا التواصل يتمّ عبر الزيارات المباشرة إلى سماحته من شتى أقطار العالم، وعبر متابعة أخباره وأفكاره ومقابلاته في الصحف والمجلات ومختلف الوسائل الإعلامية الأخرى.

منذ ذلك الوقت، بدأت قطاعات واسعة من الشباب المثقف الواعي، تطلب من سماحته الإفتاء في أمور التكاليف الشرعية،

لأنهم يرونه أهلاً للتقليد كما هو أهلٌ للقيادة، إلا أن سماحته كان يأبى أن يتصدى لهذا الموقع، احتراماً لمراجع التقليد من الصنف الأول، كالسيد الخوئي (قده)، والإمام الخميني (قده)، والسيد الكلبيكاني (قده). إلا أن سماحته، لم يكن ومنذ مجيئه من النجف الأشرف، وبالرغم من كل انشغالاته الجهادية والفكرية، لم يكن ليترك التدريس ومواصلة الأبحاث في المجالات الشرعية والفقهية والقرآنية على تنوعها، بل كان يعتبر أن من أولى مهمّات عالم الدين هي بقاؤه منتجاً في دائرة عمله العلمي، كي يستطيع أن يطوِّر معارفه، وبالتالي المعارف الإسلامية في دائرة أبحاثه الفقهيّة وغيرها، وكان سماحته ـ كما كان في النجف ـ لا يترك فرصة للمذاكرة العلمية مع الفقهاء والمجتهدين الذين كان يلتقيهم في سفراته إلى إيران، أو الذين يأتون إلى لبنان أو سوريا وحتى عبر الهاتف، وكان يشجّع طلاب العلم بالمذاكرة العلمية الدائمة فيغريهم بمناقشته.

الشيخ الدكتور صبحي الصالح

(1927 ـ 1986)

الشيخ صبحي الصالح كان علامة جيله في أدب الدين والدنيا، أوقف حياته لمحراب العطاء في المجال الحضاري، العلمي والفقهي والتشريعي والتراثي، التاريخي والسياسي واللغوي والأدبي.

جمع الشيخ الصالح منذ بدايات دراسته الثانوية بين العلوم الشرعية والمدنية في دار التربية والتعليم الإسلامية في طرابلس، ولمع نجمه وهو ابن الثانية عشرة من عمره خطيباً مفوهاً في مساجد طرابلس، يتنادى لسماع هذا الشيخ الفتي أهالي طرابلس مشدوهين معجبين.

سافر الشيخ الصالح إلى الأزهر الشريف من أجل متابعة علومه العالية في كلية أصول الدين، فحصل منها على كل من الشهادة العالية (الإجازة) سنة 1947، وعلى الشهادة العالمية (الدكتوراه) سنة 1949 ثم انتسب في الوقت نفسه إلى كلية الآداب في جامعة القاهرة وحصل على الإجازة في الأدب العربي بإمتياز سنة 1950.

ـ في جامعة السوربون:

بعد أن استوفى الثقافة الإسلامية فكراً ومنهجاً وإيماناً، كان عليه أن يقتحم جامعة السوربون طوال أربع سنوات دارساً وقارئاً ومنقباً في مكتباتها ومراقباً ومتأملاً وباحثاً، وحصل على دكتوراه في الآداب إثر أطروحتين باللغة الفرنسية: الأولى بعنوان «الدار الآخرة في القرآن الكريم» والثانية «الإسلام وتحديات العصر»..

لم يكن طوال إقامته الباريسية لينثني عن الدعوة، فأنشأ مع صديقه الباحث الإسلامي الشهير محمد حميد الله الحيدر أبادي أول مركز ثقافي إسلامي في باريس، وظل يخطب في تلك الفترة في صلاة الجمعة في جامع باريس، وشارك في تعليم اللغة العربية للأفارقة المسلمين، وحاضر في الأندية الثقافية الباريسية، ليستمع الفرنسيون إلى أسلوب جديد في طرح الإسلام.

ـ الإنطلاقة في التجديد:

عاد الشيخ الصالح إلى طرابلس عام 1954 ليبدأ إنطلاقة في التجديد ومسيرة تطواف تتلقفه منابر الجامعات العربية ومنتديات الفكر وقاعات المؤتمرات، وتحلّق حوله تلاميذه يستلهمون منهجه، ويتنسمون عذوبة بيانه ولطيف مجلسه وأنيس معشره.

خاض العلاّمة الشيخ في العلوم الإنسانية واللغوية كلها وفي الدراسات الأدبية والفلسفية بصورة عامة، وعمل في شرح وتحقيق ودراسة العديد من الكتب التراثية كما كتب باللغة الفرنسية وترجم وأشرف على تعريب عدد من المؤلفات والبحوث، وظل على امتداد أكثر من نصف قرن يزود كبرى المجلات الإسلامية والفكرية

والعلمية بمئات البحوث والدراسات المستفيضة في كل شأن ومجال، كما كانت الموسوعات العربية والعالمية تستكتبه في أجزائها وخصوصاً فيما يختص بأبواب الحضارة الإسلامية والفكر واللغة والأدب..

ـ مؤلفاته:

لقد أضاف الشيخ د. الصالح إلى نتاج من سبقه من المباحث الإسلامية واللغوية ما يثري المكتبة الإسلامية بالكثير من البحوث والمؤلفات نذكر منها:

1 ـ النظم الإسلامية نشأتها وتطورها.

2 ـ مباحث في علوم القرآن.

3 ـ دراسات في فقه اللغة.

4 ـ الإسلام والمجتمع العصري.

5 ـ معالم الشريعة الإسلامية.

6 ـ المرأة في الإسلام.

7 ـ الإسلام ومستقبل الحضارة.

8 ـ علوم الحديث ومصطلحه عرض ودراسة.

ـ اغتياله:

اغتيل رئيس المجلس الإسلامي الشرعي الأعلى الشيخ صبحي الصالح بإطلاق الرصاص عليه وهو خارج من الجامع بعد تأديته لصلاة الظهر في محلة ساقية الجنزير في بيروت في السابع من

تشرين الأول/أكتوبر عام 1986، ولم يستطع التحقيق كشف هوية مطلق النار وشريكه، ولا هوية الجهة المحرضة على هذا الاغتيال. ولم يستطع التحقيق كشف هوية مطلق النار وشريكه، ولا هوية الجهة المحرضة أو المتدخلة في هذا الاغتيال. وقد طلب النائب العام الاستئنافي في بيروت القاضي منيف حمدان إلى قاضي التحقيق حفظ الأوراق وتسطير مذكرة تحرّ دائم.

الشيخ حسين مروّة

(1908 - 1987)

ولد الشيخ حسين مروة عام 1908 في قرية حداثا قضاء بنت جبيل، تلقى دروسه الأولى في المدرسة الرسمية في حداثا.

هاجر إلى العراق عام 1924 لدراسة العلوم الإسلامية في جامعة النجف، وعاد منها عام 1938 مكملاً شروطها العلميّة.

بدأ اهتماماته بالكتابة الأدبية منذ سنوات دراسته الأولى في العشرينات، فكتب المقالة والقصة والنقد والبحث، وكتب القليل من الشعر.

بداية اطلاعه على الفكر الماركسي كانت عام 1948 عبر قراءة «البيان الشيوعي» الذي أعاره إياه الشهيد حسين محمد الشبيبي وهو أحد مؤسسي الحزب الشيوعي العراقي، فوجد فيه الطريق إلى الإنسانية والعدالة الإجتماعية.

شارك أدبياً وإعلامياً وعملياً في أحداث الوثبة الوطنية العراقية عام 1948، التي أسقطت معاهدة «بورستموث» البريطانية مع حكومة العهد الملكي.

أُبعد من العراق عام 1949 بعد عودة نوري السعيد إلى الحكم.

استأنف الكتابة الأدبية في لبنان بعد عودته مباشرةً، ظلّ سبع سنوات متواصلة يكتب زاويته اليومية المعروفة «مع القافلة» في جريدة «الحياة».

تعرّف عام 1950 على فرج الله الحلو وأنطون تابت ثم على محمد دكروب، نتج عن هذا التعارف تأسيس مجلة «الثقافة الوطنية»، والتي أصبح الشيخ حسين مديراً لتحريرها إلى جانب دكروب.

انتظم رسمياً في الحزب الشيوعي اللبناني عام 1951، وانتظم في صفوف قوات أنصار السلم - تجمعّ الأحزاب الشيوعية العربية لتحرير فلسطين - عام 1952.

انتخب عام 1965 عضواً في اللجنة المركزية للحزب، وبعدها عضواً في المكتب السياسي.

ترأس تحرير مجلّة الطريق الثقافيّة من العام 1966 حتى شباط/ فبراير 1987 - تاريخ اغتياله -.

كان عضواً في مجلس تحرير مجلة «النهج» الصادرة عن مركز الأبحاث والدراسات الإشتراكية في العالم العربي. درّس مادة فلسفة الفكر العربي في الجامعة اللبنانية في بيروت.

تزوّج من ابنة بنت عمّه فاطمة بزّي، أولاده: نزار، أحمد، حسان وسحبان.

اغتيل في بيته في منطقة الأونسكو في شباط/ فبراير عام 1987

من قبل أعداء الفكر والثقافة والديمقراطيّة، أدوات الرجعيّة والامبرياليّة.

ـ مؤلفاته:

ـ الثورة العراقية.

ـ قضايا أدبية.

ـ دراسات نقدية في ضوء المنهج الواقعي.

ـ النزاعات المادية في الفلسفة العربية والإسلامية (ثلاثة أجزاء).

ـ من النجف دخل حياتي ماركس.

ـ تراثنا كيف نعرفه.

ـ ولدت شيخاً وأموت طفلاً (سيرة ذاتية).

ـ كُتب عنه:

ـ شهادات في فكره ونضاله (عدد من المفكرين الماركسيين والأدباء).

ـ سلسلة مقالات في مجلات «الطريق» و«النهج» و«الوقت».

ـ حسين مروّة الموقف والفكر، مهدي عامل، وقد اغتيل مهدي قبل أن يكمل كلمته هذه في رفيق دربه أبو نزار.

حسن عبد الله حمدان
(مهدي عامل)
(1936 - 1987)

ولد في بيروت عام1936، ابن بلدة حاروف الجنوبية قضاء النبطية. متزوج من إيفلين بران وله ثلاثة أولاد: كريم وياسمين ورضا.

تلقى علومه في مدرسة المقاصد في بيروت وأنهى فيها المرحلة الثانوية. نال شهادة الليسانس والدكتوراه في الفلسفة من جامعة «ليون» فرنسا.

درس مادة الفلسفة بدار المعلمين بقسنطينة (الجزائر)، ثم في ثانوية صيدا الرسمية للبنات - لبنان.

انتقل بعدها إلى الجامعة اللبنانية معهد العلوم الإجتماعية كأستاذ متفرغ في مواد الفلسفة والسياسة والمنهجيات.

كان عضواً بارزاً في إتحاد الكتّاب اللبنانيين والمجلس الثقافي للبنان الجنوبي، ورابطة الأساتذة المتفرغين في الجامعة اللبنانية.

انتسب إلى الحزب الشيوعي اللبناني عام 1960، وانتخب عضواً في اللجنة المركزية للحزب في المؤتمر الخامس عام 1987.

اغتيل في شارع الجزائر في بيروت، في 18 أيار/مايو عام 1987.

ـ من مؤلفاته:

- مقدمات نظرية: لدراسة أثر الفكر الإشتراكي في حركة التحرر الوطني. الطبعة الأولى 1972، الطبعة الخامسة 1986.
- أزمة الحضارة العربية أم أزمة البرجوازيات العربية. الطبعة الأولى 1974، الطبعة الثالثة 1989.
- النظرية في الممارسة السياسية. بحث في أسباب الحرب الأهلية. الطبعة الأولى 1979. الثالثة 1989.
- مدخل إلى نقض الفكر الطائفي ـ القضية الفلسطينية في إيديولوجية البرجوازية اللبنانية. الطبعة الأولى 1980. الطبعة الثالثة 1989.
- هل القلب للشرق والعقل للغرب. الطبعة الأولى 1985. الطبعة الثالثة 1990.
- في عملية الفكر الخلدوني. الطبعة الأولى 1985. الطبعة الثالثة 1990.
- في الدولة الطائفية. الطبعة الأولى 1986.
- نقد الفكر اليومي. الطبعة الأولى 1988. لم ينتهِ.

- له العديد من المساهمات النظرية المنشورة والتي ستنشر ضمن الأعمال الكاملة.

- في الشعر:

- تقاسيم على الزمان. الطبعة الأولى 1974.
- فضاء النون. الطبعة الأولى 1984.

ناجي العلي

(1936 ـ 1987)

ناجي العلي المثقف الثائر، هو شهيد فلسطين ولبنان والعروبة، المناضل الطبقي، القلم المسؤول في زمن الانحلال.

في 30 آب/أغسطس من كل عام تمر ذكرى فنان فلسطيني عربي عبقري هو ناجي العلي، الذي اغتالته إسرائيل عام 1987 في لندن، فرحل عن عالمنا وقد تجاوز الخمسين عاماً بقليل. وليس سر الحب والولاء الذي نشعر به نحو الفنان الكبير أنه مات على أرض المعركة فحسب، ولكن لأن القيمة التي ذهبت كانت عظيمة جداً فنياً وثقافياً ووطنياً وإنسانياً.

لقد أضاف رسام الكاريكاتير ناجي العلي إلى تاريخ الشخصيات التي تمثل علامة بحد ذاتها شخصية جديدة هي حنظلة الذي يقف على قدم المساواة مع شخصية المواطن الصغير التي خلقها تشارلي شابلن، أو «روميو» الذي صوره شكسبير، أو «روبنسون كروزو» أو «دون كيخوت» لسرفانتس، وغير ذلك من الشخصيات التي أصبحت تجسد بحد ذاتها نموذجاً دالاً وعاماً. ويكفي أن تنطق كلمة روميو ليعرف الجميع أن المقصود

هو المحب الخيالي الرومانسي. أصبح روميو مفهوماً إنسانياً مجرداً.

يكفي أن تنطق ذلك الاسم روبنسون كروزو ليدرك الجميع أنك تتحدث عن البطولة الفردية التي تخلق كل شيء اعتماداً على ذاتها في مواجهة الطبيعة أو المجتمع، حسبك أن تقول «سي السيد» من ثلاثية نجيب محفوظ ليصل إلى المتلقي أنك تشير إلى مفهوم عام هو الاستبداد الشرقي. هذه الشخصيات أصبحت مفاهيم عامة مجردة بفضل إحكام وعبقرية وجدة الخلق الفني وطابعه التعميمي الإنساني. الآن أيضاً يكفي أن تقول حنظلة: إنه يعني كل الأحلام البريئة للبشرية بالوطن والسعادة، أحلام الطفولة التي يجبرها العالم على أن تدير ظهرها إليه بغضب وعتاب لأنها لم تعد ترجو شيئاً من العالم. حنظلة ذلك الخليط العجيب من الأمل واليأس، والبراءة والإدراك، والقنوط والرجاء.

لقد وصف شارلي شابلن كيف ظل لفترة طويلة يتخير ملابس شخصية المواطن الصغير، وكيف بحث طويلاً ليجد تلك الجاكتة الفضفاضة، والسروال الضيق، والحذاء بمقدمته العريضة. ناجي العلي استطاع أن يجد لحنظلة ما يميزه كشخصية فنية لكي تتجاوز تلك الشخصية حدود الطفل الفلسطيني وحده وتصبح رمزاً عالمياً للطفولة التي تتشرد في الدنيا. خلق ناجي العلي شخصية حنظلة دون وجه، ظهره للعالم. نحن لا نرى وجهه، ولا دموعه، ولا غضبه، لكننا نحبه ونشفق عليه إلى درجة قد تفوق محبتنا لأطفالنا وإشفاقنا عليهم. ويذكرنا ذلك بما قام به المخرج فيكتور فلمنج في

فيلم «ذهب مع الريح» عن رواية مارجريت ميتشيل. في الفيلم الذي ظهر عام 1939 تحل على البطل «رد باتلور» كارثة وفاة طفلته الوحيدة. والمألوف في هذه الحالات أن يرينا المخرج دموع الأب وعلامات الحزن القاتل على ملامحه. لكن المخرج فيكتور فليمنج على العكس من ذلك اعتبر أن أفضل وسيلة لنقل الأحزان لن تكون بإظهار وجه الوالد، بل بإخفاء ذلك الوجه تماماً. هكذا ما أن تموت الطفلة في الفيلم حتى يندفع الأب إلى غرفة منعزلة فلا نراه ولا نشاهد وجهه. نحن لا نرى وجهه، ولهذا تحديداً ينطلق خيالنا دون قيد لتصور مدى معاناة الوالد. إنه تخيل مفتوح بلا نهاية.

ووجه لا تشاهده ـ وتعلم أن صاحبه معذب ـ أقوى تأثيراً من أية دموع حقيقية تراها أمامك. هكذا أيضاً خلق ناجي العلي شخصية حنظلة الصغير: متبرماً، لا يثق في أحد، ويعلم أن الدنيا كلها ظلمته، ولا يحول قلبه عن فلسطين. خلق ناجي العلي حنظلة بلا وجه لكي يتخيل كل منا عذابه إلى المدى الذي يسمح به خياله.

كان لناجي العلي قبل اغتياله بفترة كاريكاتير يصور دبابة كاملة مصنوعة من الأحجار أراد أن يقول بها إن الحجارة سلاح الشعب الفلسطيني ودبابته. ولم تكن انتفاضة الحجارة قد بدأت بعد. انقضى شهران ثم اندلعت الانتفاضة التي شارك فيها عشرات الآلاف من أخوة حنظلة الصغار الذين يؤرقهم الشوق إلى الوطن والكرامة. ومع مطلع كل عام دراسي جديد في فلسطين يعبر الصغار إلى مدارسهم وهم يواجهون نقاط التفتيش والحصار والمراقبة والنيران

في أحيان كثيرة. ومع ذلك يواصلون طريقهم نحو العلم والمعرفة، الطريق التي تحولت إلى إحدى أخطر الطرق في العالم. يمشي حنظلة معهم، حقيبته على كتفه تفتش عيناه الصغيرتان عن درب وراء الأشجار والإحتلال بعد أن تيتم عام 1987 بوفاة والده ناجي العلي.

لعل حنظلة وحده يحيي في نفسه كل عام ذكرى رحيل والده: ناجي العلي الذي ولد عام 1936 في بيت الشجرة بمرتفعات الجليل، ثم هاجر من هناك وهو في العاشرة، واستقر مع أسرته في مخيم عين الحلوة بجنوب لبنان. وفي الجنوب اعتقلته القوات الإسرائيلية وهو صبي وذلك لنشاطه الثوروي، فقضى أغلب وقته داخل الزنزانة يرسم على جدرانها. من تلك الزنزانة، ومن طفولة جائعة مطاردة، ومن أقمشة المخيمات، ومن المقاومة، خرج حنظلة، لا وجه له، ولا عينان، ولا فم، لكي نفكر إلى ما لانهاية: أي وجه يحمل هذا الطفل؟. هل مازال يحمل من علامات البراءة شيئاً؟ أم أننا سنرى ـ إذا ما التفت إلينا حنظلة ـ وجهاً مترفعاً من شدة الظلم والكبرياء؟

ـ ناجي العلي في سطور:

ولد في قرية بيت الشجرة عام 1936، وهي قرية تقع بين الناصرة وطبريا في الجليل الشمالي، فلسطين.

أُبعد عن فلسطين عام 1948 بعد النكبة مع عائلته، نحو الجنوب اللبناني إلى مخيم عين الحلوة. ساكن الذل والفقر منذ أيامه الأولى في المخيم.

دخل عام 1960 أكاديمية الفنون في لبنان، إلا أنه تركها نتيجة ملاحقته من قبل الشرطة.

سافر عام 1963 إلى الكويت ليعمل رساماً كاريكاتيرياً في مجلة «الطليعة» الكويتية ومخرجاً فنياً. وهناك بدأ توقيع رسومه برمز الطفل الصغير وعلى رأسه نبتة الحنظل، الذي أصبح فيما بعد المناضل حنظلة.

عمل عام 1977 في جريدة «السفير» اللبنانية وكانت له رسوم كاريكاتيرية يومية.

انتخب عام 1979 رئيساً لرابطة الكاريكاتير العربي، وعمل عام 1983 في جريدة «القبس» الكويتية بعد أن أُبعد من لبنان، وتركها عام 1985 في «القبس» الدولية في لندن.

أصدر ثلاثة كتب في الأعوام 1976 ـ 1983 ـ 1985.

نشر أكثر من 40 ألف لوحة كاريكاتيرية طيلة حياته، أقام عدداً من المعارض الداخلية وشارك في العديد من المعارض العربية والدولية. تعرض في 12 تموز/يوليو عام 1987 لمحاولة اغتيال في العاصمة البريطانية لندن أمام مبنى مجلة «القبس» الدولية ودخل في غيبوبة. في 29 آب/أغسطس عام 1987 رحل ناجي العلي الجسد بعد أكثر من شهر في الغيبوبة، لكن بقي الفكر وبقي الرسم وبقي حنظلة.

منح الشهيد الفنان ناجي العلي جائزة «قلم الحرية الذهبي» من قبل الإتحاد الدولي لناشري الصحف، بتاريخ 8 شباط/فبراير عام 1988.

ـ ناجي العلي بقلمه:

اسمي ناجي العلي.. ولدت حيث ولد المسيح، بين طبرية والناصرة، في قرية الشجرة بالجليل الشمالي، أخرجوني من هناك بعد 10 سنوات، في 1948 إلى مخيم عين الحلوة في لبنان.. أذكر هذه السنوات العشر أكثر مما أذكره من بقية عمري، أعرف العشب والحجر والظل والنور، لا تزال ثابتة في محجر العين كأنها حفرت حفراً. لم يخرجها كل ما رأيته بعد ذلك.

أرسم.. لا أكتب أحجبة، لا أحرق البخور، ولكنني أرسم، وإذا قيل أن ريشتي مبضع جراح، أكون حققت ما حلمت طويلاً بتحقيقه.. كما أنني لست مهرجاً، ولست شاعر قبيلة ـ أي قبيلة ـ إنني أطرد عن قلبي مهمة لا تلبث دائماً أن تعود.. ثقيلة.. ولكنها تكفي لتمنحني مبرراً لأن أحيا.

متهم بالانحياز، وهي تهمة لا أنفيها.. أنا لست محايداً، أنا منحاز لمن هم «تحت».. الذين يرزحون تحت نير الأكاذيب وأطنان التضليلات وصخور القهر والنهب وأحجار السجون والمعتقلات، أنا منحاز لمن ينامون في مصر بين قبور الموتى، ولمن يخرجون من حواري الخرطوم ليمزقوا بأيديهم سلاسلهم، ولمن يقضون لياليهم في لبنان شحذاً للسلاح الذي سيستخرجون به شمس الصباح القادم من مخبئها.. ولمن يقرأون كتاب الوطن في المخيمات.

كنت صبياً حين وصلنا زائغي الأعين، حفاة الأقدام، إلى عين الحلوة.. كنت صبياً وسمعت الكبار يتحدثون.. الدول العربية..

الإنكليز.. المؤامرة.. كما سمعت في ليالي المخيم المظلمة شهقات بكاء مكتوم.. ورأيت من دنت لحظته يموت وهو ينطلق إلى الأفق في اتجاه الوطن المسروق، التقط الحزن بغيون أهلي، وشعرت برغبة جارفة في أن أرسمه خطوطاً عميقة على جدارن المخيم.. حيثما وجدته مساحة شاغرة.. خفراً أو بالطباشير.

وظللت أرسم على جدران المخيم ما بقي عالقاً بذاكرتي عن الوطن، وما كنت أراه محبوساً في العيون، ثم انتقلت رسوماتي إلى جدران سجون ثكنات الجيش اللبناني، حيث كنت أقضي في ضيافتها فترات دورية إجبارية.. ثم إلى الأوراق.. إلى أن جاء غسان كنفاني ذات يوم إلى المخيم وشاهد رسوماً لي، فأخذها ونشرها في مجلة «الحرية» وجاء أصدقائي بعد ذلك حاملين نسخاً من «الحرية» وفيها رسوماتي... شجعني هذا كثيراً.

حين كنت صبياً في عين الحلوة، انتظمت في فصل دراسي، كان مدرّسي فيه أبو ماهر اليماني.. وعلّمنا أبو ماهر أن نرفع علم فلسطين وأن نحيّيه، وحدثنا عن أصدقائنا وأعدائنا.. وقال لي حين لاحظ شغفي بالرسم «ارسم.. لكن دائماً عن الوطن».

وتوجهت بعد ذلك إلى دراسة الفن أكاديمياً، فالتحقت بالأكاديمية اللبنانية لمدة سنة، أذكر أنني لم أحاول خلالها إلا شهراً أو نحو ذلك، والباقي قضيته كما هو العادة في ضيافة سجون الثكنات اللبنانية.. كانوا يقبضون علينا بأية تهمة، وبهدف واحد دائماً: هو أن نخاف، وكانوا يفرجون عنا حين يملون من وجودنا في السجن، أو حين يتوسط لديهم واحد من الأهل أو الأصدقاء.

ولأن الأمور كانت على ما كانت عليه، فقد فكرت في أن أدرس الرسم في القاهرة، أو في روما، وكان هذا يستلزم بعض المال، فقررت أن أسافر إلى الكويت لأعمل بعض الوقت. . وأقتصد بعض المال. . ثم أذهب بعدها لدراسة الرسم.

ووصلت بالفعل إلى الكويت عام 1963، وعملت في مجلة «الطليعة» التي كانت تمثل التيار القومي العربي هناك في ذلك الوقت. . كنت أقوم أحياناً بدور المحرر والمخرج الفني والرسام والمصمم في آن واحد. . وبدأت بنشر لوحة واحدة. . ثم لوحتين. . وهكذا. . وكانت الاستجابة طيبة. . شعرت أن جسراً يتكون بيني وبين الناس، وبدأت أرسم كالمحموم، حتى تمنيت أن أتحول إلى أحد آلهة الهند القدامى. . بعشرين يداً. . وبكل يد ريشة ترسم وتحكي ما بالقلب. . عملت بصحف يومية بالإضافة إلى عملي، ونشرت في أماكن متفرقة من العالم.

كنت أعمل في الكويت حين صدرت جريدة «السفير» في بيروت. ولقد اتصل بي طلال سلمان وطلب مني أن أعود إلى لبنان لكي أعمل فيها. وشعرت أن في الأمر خلاصاً، فعدت ولكني تألمت وتوجعت نفسي مما رأيت، فقد شعرت أن مخيم عين الحلوة كان أكثر ثورية قبل الثورة، كانت تتوفر له رؤية أوضح سياسياً، يعرف بالتحديد مَنْ عدوه وصديقه، كان هدفه محدداً: فلسطين، كامل التراب الفلسطيني.

عندما عدت، كان المخيم غابة سلاح، صحيح، ولكنه يفتقد إلى الوضوح السياسي، وجدته أصبح قبائل، وجدت الأنظمة غزته

ودولارات النفط لوثت بعض شبابه، كان هذا المخيم رحماً يتشكل داخله مناضلون حقيقيون، ولكن كانت المحاولات لوقف هذه العملية. وأنا أشير بإصبع الاتهام لأكثر من طرف، صحيح أن هناك تفاوت بين الخيانة والتقصير، ولكني لا أعفي أحداً من المسؤولية، الأنظمة العربية جنت علينا، وكذلك الثورة الفلسطينية نفسها.

وهذا الوضع الذي أشير إليه يفسر كثيراً مما حدث أثناء غزو لبنان.

وبدأ الغزو... عندما بدأ الغزو كنت في صيدا، الفلسطينيون في المخيمات شعروا أنه ليس هناك من يقودهم، اجتاحتنا إسرائيل بقوتها العسكرية، انقضت علينا في محاولة لجعلنا ننسى شيئاً اسمه فلسطين، وكانت تعرف أن الوضع عموماً في صالحها، فلا الوضع العربي، ولا الوضع الدولي ولا وضع الثورة الفلسطينية يستطيع إلحاق الهزيمة بها، والأنظمة العربية حيدت نفسها بعد «كامب ديفيد».

في الماضي كانت الثورة الفلسطينية تبشر بحرب الأغوار بالرجب الشعبية، العدو جاء باتجاهنا وكل قياداتنا العسكرية كانت تتوقع الغزو، وبتقديري، ورغم أنني لست رجلاً عسكرياً ولم أطلق رصاصة في حياتي، أنه كان من الممكن أن تجتاح إسرائيل لبنان بخسائر أكبر بكثير، وهنا تشعر أن المؤامرة كانت واردة من الأنظمة ومن غير الأنظمة، أقصد مؤامرة تطهير الجنوب والقضاء على القوة العسكرية الفلسطينية وفرض الحلول «السلمية» وتشعر أنه مقصود أن تقدم لنا هذه «الجزرة» لكي نركض وراء الحل الأميركي.

هذا هو الوضع العربي والوضع الفلسطيني جزء منه، بتقديري أنه كان يمكن أن نسدد ضربات موجعة لإسرائيل، ولكن مخيماتنا ظلت بلا قيادة، وكيف لأهاليها أن يواجهوا الآلة العسكرية الإسرائيلية!

الطيران والقصف اليومي من البر والبحر والجو، بالإضافة إلى أن الوضع كان عملياً مهترئاً، قيادة هرمت، ومخيمات من زنك وطين، اجتاحها الإسرائيليون وجعلوها كملعب كرة قدم، ومع ذلك وصل الإسرائيليون إلى بيروت وحدود صوفر، والمقاومة لن تنقطع من داخل المخيمات وبشهادات عسكريين إسرائيليين وبشهادتي الشخصية اعتقلت أنا وأسرتي كما اعتقلت صيدا كلها وقضينا 3 أو 4 أيام على البحر.

بعد أن تم الإحتلال، كان همي أن أتفقد المخيم لأعرف طبيعة المقاومة والقائمين بها، أخذت معي ابني وكان عمره 15 سنة وذهبنا في النهار، كانت جثث الشهداء ما زالت في الشوارع والدبابات الإسرائيلية المحروقة على حالها على أبواب المخيم لم يسحبها الإسرائيليون بعد، تقصيت عن طبيعة المقاومين فعرفت أنهم أربعون أو خمسون شاباً لا أكثر، كان الإسرائيليون قد حرقوا المخيم والأطفال والنساء كانوا ما زالوا في الملاجئ، وكانت القذائف الإسرائيلية تنفذ إلى الأعماق وكان قد سقط مئات الضحايا من الأطفال في المخيم وفي صيدا. وبشكل تلقائي عاهد هؤلاء الشباب أنفسهم أنهم لن يستسلموا وأنها الشهادة أو الموت، وفعلاً لم تستطع إسرائيل أن تأسر أي واحد من هؤلاء الشباب. في النهار، في ضوء

الشمس كانت إسرائيل تنقض عليهم. وفي الليل يخرجون هم بالـ «آر بي جي». فقط.

هذه صورة مما حدث في مخيم عين الحلوة، وأنا شاهد ولكني أعرف أن هناك صوراً أخرى في مخيمات صور والبرج الشمالي والبص والرشيدية.

كان الناس في الملجأ وفي الشارع يدعون لله ويسبون الأنظمة وكل القيادات ويلعنون الواقع ولا يبرئون أحداً، ويشعرون أنه ليس لهم إلا الله ويتحملون مصيرهم.

جماهير الجنوب بما فيها جماهيرنا الفلسطينية المعترة (الفقيرة) هي التي قاتلت وهي التي حملت السلاح ووفاء لهذا الشعب العظيم الذي أعطانا أكثر مما أعطانا أي طرف آخر، وعانى وتهدم بيته، لابد من أن يقول المرء هنا إن مقاومي الحركة الوطنية اللبنانية قد جسدوا روح المقاومة بما يقارب الأسطورة. وفي رأيي أن الإعلام العربي مقصر في عملية توضيح روح المقاومة الحقيقية.

ـ دور النساء:

في عين الحلوة تبعثر الناس بين البساتين مع أطفالهم، أما إسرائيل فلمّت كل الشباب (أنا مثلاً انفرزت 4 أو 5 مرات) ثم اعتقلت ونقلت معظمهم إلى أنصار.

وهنا بدأ دور النساء. ولا أعتقد أن بإمكان أي فنان أن يجسد ذلك الوضع الذي عاش في ظله أهالي الجنوب، على الفور بدأت

النساء - والجثث مازالت في الشوارع - تعود إلى بيوت الزنك الذي انصهر وتعمل مع أطفالها على إصلاح البيت، بالأحجار، وبالخشب، تظلل أولادها من الشمس، تعمل كالنمل تعيد بناء عششها التي تهدمت. وكان شاغل إسرائيل والسلطة اللبنانية أيضاً أن تختفي هذه المخيمات لأنها هي البؤرة الحقيقية للثورة، ولكن النساء والأطفال في غيبة الرجال في معسكرات الاعتقال أو المختفين من الرصد الإسرائيلي، قاموا بإعادة بناء مخيم عين الحلوة.

شاهدت كيف كان الجنود الإسرائيليون يخشون من الأطفال (الشبل ابن العاشرة أو الحادية عشرة كان لديه القدر الكافي من التدريب الذي يمكنه من حمل مدفع الـ «آر بي جي». والمسألة ليست معقدة، دباباتهم أمامك وسلاحك في يدك). كان الإسرائيليون يخشون من دخول المخيم وإن دخلوه فلا يكون ذلك إلا في النهار.

عندما تركت لبنان منذ أكثر من سنة، كان مخيم عين الحلوة قد عاد. الحائط الذي ينهدم يعاد بناؤه ويكتب عليه «عاشت الثورة الفلسطينية، المجد للشهداء».

وفي تقديري أن هذا العمل لم يكن بتوجيه من أحد بل جاء تلقائياً وكنوع من الانسجام مع النفس. كانت كبرياء الناس وكرامتهم هي التي تملي عليهم تلك المواقف، لأنه في حالات كثيرة كان الإنسان يتمنى الموت. والإسرائيليون أوصلونا إلى حالة نفسية من هذا النوع كنا قد تجاوزنا مرحلة الخوف والهلع، وكان الخط الفاصل بين الحياة والموت قد سقط.

أصيبت ابنتنا الصغيرة جودي من قصف عشوائي من جماعة سعد حداد وكان ذلك سنة 1981، قبل الاجتياح كنت نائماً وسمعت الصراخ ثم حملتها وهي تصرخ وأجرينا لها عملية جراحية، ولا نزال نعالجها.

ولكن مصيبتنا تتضاءل أمام مصائب الناس، فهناك عائلات فقدت خمسة أو ستة شباب من أبنائها وأصبح البيت خاوياً، همّنا الشخصي لا يذكر. وكان يؤرقني طوال الوقت إحساس بالعجز عن الدفاع عن الناس، فكيف أدافع عنهم برسم؟ كنت أتمنى أن أستطيع أن أفدي طفلاً واحداً. إن ظروف الاجتياح من قسوتها أفقدت الناس صوابهم. مرة وأنا عائد إلى البيت مع ابني خالد وجدت رجلاً عارياً، كان الناس ينظرون إليه باستغراب، ناديت على وداد، زوجتي، طلبت منها أن تنزل لي قميصاً وبنطلوناً. كان الرجل حجمه كبير فأحضرت قميصاً من عندي وبنطلوناً من عند جارنا وألبسناه، كان الرجل في وضع مأساوي جداً حاولت أن أسأله لكنه لم يتكلم. سألت عنه فعرفت أنه من صيدا وأنه عندما استمر القصف عدة ليال اضطر للخروج ليحضر لأولاده خبزاً أو شيئاً يأكلونه على أمل أن يجد دكاناً مفتوحاً، لأن صيدا القديمة شوارعها مشققة وبالإمكان أن يسير فيها الإنسان بقدر نسبي من الأمان. لم يجد الرجل أي دكان مفتوح فعاد إلى بيته. ولكنه وجد البيت وقد تهدم على زوجته وأطفاله السبعة أو الثمانية ففقد توازنه.

وعندما أخذنا الإسرائيليون باتجاه البحر، مررت من أمام هذا البيت فوجدت لافتة مكتوباً عليها بالفحم «انتبه هنا ترقد عائلة فلان»

(للأسف نسيت الاسم) هذه اللافتة كتبها هو بنفسه، لأن الجثث كانت لا تزال تحت الردم. فقد الرجل عقله وسار في الشارع عارياً.

هذه صورة من صور المآسي وهي عديدة. كان البعض يسير أمام الدبابات الإسرائيلية ويهتف «تعيش الثورة، تسقط إسرائيل، يسقط بيغن» في حالة فقدان التوازن.

بجوار بيتنا هناك ساحة، جاءت جرافات كبيرة وتصورنا أن الإسرائيليين سيقيمون مواقع دبابات لهم ولكنهم كانوا قد لملموا الجثث في الشوارع وأتوا بها لدفنها في هذا المكان الذي أصبح مقبرة جماعية.

كل من عاش هذه التجربة رأى حجم المأساة، البعض استطاع استيعابها والبعض الآخر فقد اتزانه. ومع ذلك لم يعد هناك خيار. كانت المرأة تدافع عن زوجها، تعيد بناء بيتها، تؤمن ماءها، تطمئن على الأولاد في أي معتقل، تخرج في المظاهرات، تطالب بالإفراج عن الرجال المعتقلين. وكانت إسرائيل تحصدهم حصداً بالرصاص. وهناك صديقة إيطالية صورت مشهد النساء اللاتي سقطن برصاص الجنود واستشهدن، لاحقها الإسرائيليون ومرغوها في الوحل ولكنها استطاعت الهروب وجاءت إلى البيت عند وداد زوجتي وغسلت الكاميرا ونشرت الصور التي التقطتها في مجلات غربية.

وفي هذه المرحلة كان الجيش الإسرائيلي يأتي بصحفيين إلى صيدا ويجعلهم يشاهدون كيف أن الجيش الإسرائيلي يقدم مياهاً للشرب للأطفال. ولم تكشف الصحافة المجازر التي جرت في

صيدا. صحيح أن بعض الصحفيين كشفوا الذي حدث في صبرا وشاتيلا ولكن حتى هذا تم جزئياً في سياق هدف سياسي.

لم يكن الهدف من هذه المجازر البشعة قتل الآلاف من الفلسطينيين، إنما كان الهدف زجرنا بالمعنى النفسي. ولكن حتى إن مل البعض من النضال، فهناك أجيال آتية وكما كنا نتعلم من الحزن في عيون آبائنا، سوف يلتقط منا من يأتي بعدنا رسالة. جيلنا أعطى ولكن حجم المؤامرة علينا كان أكبر. الواقع العربي خدم أعداءنا، الواقع الدولي ومسائل أخرى كثيرة... شعبنا لا ينقصه قيادة بل حزب، حزب يملك دليلاً نظرياً كاملاً يبدأ من نقطة الصفر. لو فهم من كلامي أني غير راض عن الثورة سأقول لك نعم أنا غير راض. أشعر أن فلسطين بحاجة إلى ملائكة، جند الله، ألف غيفارا، أنبياء تقاتل، قيادات حقيقية واعية تعرف كيف ترد. وبتقديري أن الأنظمة العربية أجهضت ثورتنا، وبتقديري أيضاً أن المقولة القائلة أن الفلسطينيين وحدهم هم الذين عليهم تحرير فلسطين، هي مقولة خائنة، فكلنا نعرف ما هي طموحات إسرائيل بالنسبة لمصر ولبنان وسوريا.

وبعد الاجتياح بقيت شهراً في صيدا حاولت مثلي مثل غيري أن أرمم البيت وأن أواسي الناس وأعزيهم، أملأ ماء، أنقل أشياء للناس، إلخ.. ولكني كنت أفكر ماذا أفعل، وانتهيت إلى ضرورة الذهاب إلى بيروت حيث جريدة «السفير» وحيث بإمكاني أن أرسم.

ـ ما زلنا أحياء... بالصدفة!

مر وقت ظن فيه الناس أني مت، إلى أن مرت إحدى

الصديقات في صيدا واكتشفت أني موجود فأعطيتها رسومات لي لكي يطمئنوا في «السفير» ويتأكدوا من أني ما زلت حياً.

وكنت طوال الوقت أفكر: ماذا أفعل؟ وانتهى بي تفكيري إلى ضرورة الذهاب إلى بيروت، فودعت زوجتي وأولادي وذهبت، كان من الصعب أن أصل ليس فقط بسبب الإسرائيليين ولكن أيضاً بسبب الكتائب الذين كانت معرفتهم بأني فلسطيني سبباً كافياً لقتلي.

بدأت رحلتي ذات صباح باكر في سيارة، ثم نزلت بين أشجار الزيتون في منطقة اسمها الشويفات واتجهت إلى بيروت مشياً، ويومها التقيت بالكاتب المسرحي السوري سعد الله ونوس الذي كان طالعاً باتجاه دمشق وكان لديه أخبار أني ميت، ثم وصلت «السفير».

في بيروت التقيت بالكاتبين الفلسطينيين حنا مقبل (رحمه الله) ورشاد أبو شاور، وكانا يصدران مجلة اسمها «المعركة» فصرت ارسم في «السفير» وأرسم في «المعركة» وأتساءل ما الذي بإمكان المرء أن يفعله في مواجهة هذا القصف من الجهات الستة (من الأربع جهات ومن الجو والسيارات المفخخة). وكما يقول الفلسطينيون «هنا يكون الموت موجب كثير» كان المواطن منا يشعر بالتقصير والعجز ويرحب بالموت.

وعشنا معاً نحن العاملين في «السفير» في تلك الفترة. وحتى البنات مرة طبخن معكرونة بلا لحم طبعاً ولا شيء ولكننا وجدناها أشهى أكلة. وكان معنا شاب مصري يعمل في الكانتين ويظل ساهراً معنا ويأتينا بالشاي والقهوة.

كانت تجربة خاصة وحميمة وكان شغلنا هو رفع معنويات الناس بالكلمة، وبالمانشيت، بالرسم.

«السفير» قدمت لشبابها، كما قتل الشاعر علي فودة وهو يوزع مجلة «الرصيف» التي كان يصدرها. كانت المسألة قدرية، القذائف تصل الأطفال في الملاجئ.. وهكذا يشعر الإنسان أن بقاءه حياً محض صدفة، إذا جاءت القذيفة جاءت وإن لم تأتِ فذلك مجرد صدفة، لم تكن هناك الفرصة أمام أحد ليحزن أو ليبكي. وأنا بكيت مرة واحدة بعد خروج المقاومة ومجزرة صبرا وشاتيلا. ولم يكن بكائي قهراً بقدر ما كان إعلاناً أني فلسطيني وأني أبكي الشهداء وأبكي الوضع. كنت أشعر بالوحشة. كثير من أصدقائي الحميمين كانوا قد ذهبوا وكنت أشعر أن البيوت من حولي فارغة. قبل ذلك كنت ألتقي في نفس تلك الشوارع بالمناضل المصري مع المناضل اللبناني مع المناضل الفلسطيني مع المناضل العراقي. والمرء يشعر بوجودهم ويتحامى فيهم ويستظل بهم، ومع ذلك صار لبيروت بعد خروج المقاومة تقدير خاص في نفسي.

وكنت أسأل نفسي كيف أعبِّر؟ كنت أشعر بالعجز وأتصور أنه لا يوجد أي شاعر يقدر على تجسيد أي مشهد أو لحظة واحدة من لحظات بيروت، ومع ذلك كنت أرسم.

وفي يوم كان القصف فيه عنيفاً جداً على بيروت، من الجهات الست، وتوقفت كل الصحف ما عدا «السفير» وأين نلجأ؟ لجأنا إلى الدور الأرضي محل المطابع. واستمر القصف طوال الليل ولم يتركوا زاوية أو بيتاً إلا وقصفوه. وعندما خرجت فوجدت كل

البيوت مصابة من فوق ومن تحت وانضافت إليها شبابيك جديدة. رسمت زهرة مقدماً لبنت ـ رمز بيروت ـ من الفجوة التي أحدثتها القذيفة مع عبارة «صباح الخير يا بيروت».

إن «صباح الخير» لليلة حالكة بهذا الشكل تكتسب معنى خاصاً تصور القارئ، وبعد كل هذا القصف والموت، يفتح الجريدة في الصباح، فيرى الرسم، ويرى أحداً يصبِّح على بيروت. كان ذلك كلقائنا في الشارع بعد القصف نقبِّل بعضنا ونبتهج أننا ما زلنا أحياء وكل شيء يهون مادمنا ما زلنا أحياء!.

وعندما بدأ الرحيل ـ وبالمناسبة لم أستطع رؤية هذا المشهد الذي ربما يكون فيه مقتلي.

لم أستطع الخروج لتوديع المقاومة ورؤية الناس وهي ترش الزهور والأرز على المقاتلين. أقول عندما بدأ الرحيل ومع أول سفينة غادرت الميناء، رسمت فدائياً يترك السفينة الراحلة ويسبح عائداً إلى الشاطئ، وهو يقول: «اشتقت لبيروت».

ـ قصّة ناجي العلي وحنظلة:

لم يكن يوقع ناجي العلي رسومه الكاريكاتيرية، بل كان يكتفي دائماً بتوقيع اسمه الحركي «فلسطين»، فأسلوبه هو توقيعه، ولو وجدت رسماً في مكان لقرأت أسلوب ناجي العلي لا توقيعه.

ظهر حنظلة لأول مرّة على رسوم ناجي العلي في الكويت، ولهذا الرمز قصة منفصلة عن صاحبه. ففي فلسطين والأردن خاصةً وبلاد برّ الشام عامةً ينبت ثمر من فصيلة الصبار يدعى «الحنظل»

وهو من النوع المر جداً. ورأس الطفل الصغير في رسوم ناجي مثل ثمرة الحنظل، وهو يرمز إلى الرفض والمعارضة المرة التي لا تهادن، ولذلك من النادر جداً وبحدود صورة من الألف يدير فيها حنظلة وجهه إلى القرّاء، مثلاً عند الإنتصار في معركة الكرامة، وانسحاب إسرائيل من بيروت. أما إذا اختفى من الصورة، فهذا يعني أنه يخاطب الأنظمة العربية، مثلاً إخراج الفدائيين من عمان ومن بيروت.

والواقع، أن حنظلة هو نفسه ناجي العلي يسوق على لسانه ما يريد أن يقول هو، ويأخذ من مواقفه ما يريد أن يعبّر عنه، أو يوحي به على الأقل. فهو الضمير الحاضر الغائب، ضمير المخاطب والمتكلم، ضمير المفرد والجمع... والذين حاكموا ناجي العلي، وحكموا عليه بالتشرد بين بيروت والكويت ولندن أدانوا حنظلة ذلك الضمير الذي لم يساوم لا في قضية فلسطين، ولا في أي قضية عربية. عجزوا عن محاكمته في محاكم الأحداث باعتباره قاصراً، فحكموا على ضمير الفعل وطاردوه في كل مكان إلى أن أصابوا منه شيئاً في لندن.

كان يقول ناجي العلي: هذا المخلوق الذي ابتدعته حنظلة لن ينتهي من بعدي بالتأكيد وربما لا أبالغ إذا قلت أنني قد أستمر عبره بعد موتي.

رشيد كرامي

(1921 ـ 1987)

صاحب المواقف الراسخة، مستقيم العقيدة، فولاذي الإرادة، كمبيوتري الذاكرة، ممتلئ الحضور، سيِّد منبر صريح وجريء، دامغ الحجة، واسع الإطِّلاع والثقافة، خطيب مفوه. مجل في حديثه، لا يُثار أو يُستفز، يواجه التجني والاستفزاز بالبسمة الساخرة، يخاطب خصومه محاولاً تحريك الضمير عندهم وإثارة المشاعر الإنسانية فيهم، واستفزاز حسهم الوطني. دائم الحضور سواء في الحكم أم خارجه، حريص على هيبة الدولة ومؤسساتها وأجهزتها وأموالها، حرصه على أن يكون في طليعة المطالبين والساعين نحو التحديث والتغيير والإصلاح. ينتقل بحكمة نادرة من موقع المولاة إلى موقع المعارضة، يعارض دون أن يعادي ويقاطع دون أن يخاصم، حاضر البديهة أبداً يختزن تلالاً من الأسرار ومع ذلك لم ينفعل يوماً ولا انزلق في هفوة لسان مرة واحدة. لا يدلي بدلوه إلا في المكان المناسب والوقت المناسب. يعرف كيف يختار الكلمات لتصريحاته وأحاديثه السياسية التي يعبِّر عنها بلغته العربية الفصيحة الني أحبها وتضلّع بها، وأتقن معها اللغتين الفرنسية والإنكليزية.

جمع رشيد كرامي خلال حياته السياسية بين البساطة المدهشة والزعامة الفذة، فكان زعيماً لبنانياً بامتياز، وأحد القادة العرب البارزين، مثال الأصالة القومية والوطنية والاعتدال والتعقل والإخلاص. رفض استبدال الوطنية بالطائفية والديمقراطية بالبندقية والشرعية بالفوضى والعروبة بالتطرف الديني أو التعصب المذهبي، ستة وثلاثون عاماً من حياته، زهرة شبابه ومعظم عمره أمضاها في معترك العمل السياسي الدؤوب والمثابر فكان السياسي المميز ورجل الدولة الكبير.

قلة هم رجالات الدولة، أمثال رشيد عبد الحميد كرامي، رجل استثنائي، جاء إلى الحكم، وإنما في ظروف استثنائية، وما تردد يوماً في الإقدام.

- رئيساً للوزراء:

رَأَسَ عشر حكومات شكّلت في معظمها مفاصل أساسية في تاريخ لبنان خلال أربعة عقود من القرن العشرين، وتحديداً في الأعوام 1955، و1958، 1969، و1975، 1984. وهي على الشكل التالي:

1 - من 19/ 09/ 1955 إلى 19/ 03/ 1956 في عهد فخامة الرئيس كميل شمعون.

2 - من 24/ 09/ 1958 إلى 14/ 10/ 1958 في عهد فخامة الرئيس فؤاد شهاب.

3 - من 14/ 10/ 1958 إلى 14/ 05/ 1960 في عهد فخامة الرئيس فؤاد شهاب.

4 ـ من 31/ 10/ 1961 إلى 20/ 02/ 1964 في عهد فخامة الرئيس فؤاد شهاب.

5 ـ من 25/ 07/ 1965 إلى 09/ 04/ 1966 في عهد فخامة الرئيس شارل حلو.

6 ـ من 06/ 12/ 1966 إلى 08/ 02/ 1968 في عهد فخامة الرئيس شارل حلو.

7 ـ من 15/ 01/ 1969 إلى 25/ 11/ 1969 في عهد فخامة الرئيس شارل حلو.

8 ـ من 25/ 11/ 1969 إلى 13/ 10/ 1970 في عهد فخامة الرئيس شارل حلو.

9 ـ من 01/ 07/ 1975 إلى 09/ 12/ 1976 في عهد فخامة الرئيس سليمان فرنجية.

10 ـ من 30/ 04/ 1984 إلى 01/ 06/ 1987 في عهد فخامة الرئيس أمين الجميل.

وبعد اغتيال الرئيس رشيد كرامي في 01/ 06/ 1987 تسلم الرئيس سليم الحص رئاسة الحكومة بالوكالة.

ـ وزيراً:

1 ـ وزير العدلية: 07/ 06/ 1951 ـ 11/ 02/ 1952 في حكومة عبد الله اليافي في عهد الرئيس بشارة الخوري.

2 ـ وزير الإقتصاد: 16/ 08/ 1953 ـ 01/ 03/ 1954 في حكومة عبد الله اليافي في عهد الرئيس كميل شمعون.

3 ـ وزير الشؤون الإجتماعية: 16/ 08/ 1953 ـ 01/ 03/ 1954 في حكومة عبد الله اليافي في عهد الرئيس كميل شمعون..

4 ـ وزير الإقتصاد: 01/ 03/ 1954 ـ 16/ 09/ 1954 في حكومة عبد الله اليافي في عهد الرئيس كميل شمعون.

5 ـ وزير الشؤون الإجتماعية: 01/ 03/ 1954 ـ 16/ 09/ 1954 في حكومة عبد الله اليافي في عهد الرئيس كميل شمعون.

6 ـ وزير الإقتصاد الوطني: 16/ 09/ 1954 ـ 09/ 07/ 1955 في حكومة سامي الصلح في عهد الرئيس كميل شمعون.

7 ـ وزير الشؤون الإجتماعية: 16/ 09/ 1954 ـ 09/ 07/ 1955 في حكومة سامي الصلح في عهد الرئيس كميل شمعون.

8 ـ وزير الإقتصاد الوطني: 09/ 07/ 1955 ـ 19/ 09/ 1955 في حكومة سامي الصلح في عهد الرئيس كميل شمعون.

9 ـ وزير الشؤون الإجتماعية: 09/ 07/ 1955 ـ 19/ 09/ 1955 في حكومة سامي الصلح في عهد الرئيس كميل شمعون.

10 ـ وزير التصميم العام: 19/ 09/ 1955 ـ 19/ 03/ 1956 في حكومته في عهد الرئيس كميل شمعون.

11 ـ وزير الداخلية: 19/ 09/ 1955 ـ 19/ 03/ 1956 في حكومته في عهد الرئيس كميل شمعون.

12 ـ وزير الداخلية: 24/ 09/ 1958 ـ 14/ 10/ 1958 في حكومته في عهد الرئيس فؤاد شهاب.

13 ـ وزير الدفاع الوطني: 24/ 09/ 1958 ـ 14/ 10/ 1958 في حكومته في عهد الرئيس فؤاد شهاب.

14 ـ وزير الإقتصاد الوطني: 14/ 10/ 1958 ـ 07/ 10/ 1959 في حكومته في عهد الرئيس فؤاد شهاب.

15 ـ وزير الأنباء: 14/ 10/ 1958 ـ 07/ 10/ 1959 في حكومته في عهد الرئيس فؤاد شهاب.

16 ـ وزير الدفاع الوطني: 14/ 10/ 1958 ـ 14/ 05/ 1960 في حكومته في عهد الرئيس فؤاد شهاب.

17 ـ وزير المالية: 14/ 10/ 1958 ـ 14/ 05/ 1960 في حكومته في عهد الرئيس فؤاد شهاب.

18 ـ وزير المالية: 31/ 10/ 1961 ـ 20/ 02/ 1964 في حكومته في عهد الرئيس فؤاد شهاب.

19 ـ وزير الدفاع الوطني: 25/ 07/ 1965 ـ 21/ 12/ 1965 في حكومته في عهد الرئيس شارل حلو.

20 ـ وزير المالية: 25/ 07/ 1965 ـ 09/ 04/ 1966 في حكومته في عهد الرئيس شارل حلو.

21 ـ وزير المالية: 06/ 12/ 1966 ـ 08/ 02/ 1968 في حكومته في عهد الرئيس شارل حلو.

22 ـ وزير الخارجية والمغتربين: 15/ 01/ 1969 ـ 22/ 01/ 1969 في حكومته في عهد الرئيس شارل حلو.

23 ـ وزير المالية: 22/ 01/ 1969 ـ 25/ 11/ 1969 في حكومته في عهد الرئيس شارل حلو.

24 ـ وزير المالية: 25/ 11/ 1969 ـ 13/ 10/ 1970 في حكومته في عهد الرئيس شارل حلو.

25 ـ وزير الإعلام: 01/ 07/ 1975 ـ 15/ 09/ 1976 في حكومته في عهد الرئيس سليمان فرنجية.

26 ـ وزير الدفاع الوطني: 01/ 07/ 1975 ـ 15/ 09/ 1976 في حكومته في عهد الرئيس سليمان فرنجية.

27 ـ وزير المالية: 01/ 07/ 1975 ـ 15/ 09/ 1976 في حكومته في عهد الرئيس سليمان فرنجية.

28 ـ وزير الإسكان والتعاونيات: 15/ 09/ 1976 ـ 09/ 12/ 1976 في حكومته في عهد الرئيس سليمان فرنجية.

29 ـ وزير الزراعة: 15/ 09/ 1976 ـ 09/ 12/ 1976 في حكومته في عهد الرئيس سليمان فرنجية.

30 ـ وزير السياحة: 15/ 09/ 1976 ـ 09/ 12/ 1976 في حكومته في عهد الرئيس سليمان فرنجية.

31 ـ وزير الخارجية والمغتربين: 30/ 04/ 1984 ـ 01/ 06/ 1987 في حكومته في عهد أمين الجميل.

ـ نائباً عن لبنان الشمالي:

1 ـ في الدور التشريعي السابع من 1951 إلى 1953.

2 ـ في الدور التشريعي الثامن من 1953 إلى 1957.

3 ـ في الدور التشريعي التاسع من 1957 إلى 1960.

4 ـ في الدور التشريعي العاشر من 1960 إلى 1964.

5 - في الدور التشريعي الحادي عشر من 1964 إلى 1968.

6 - في الدور التشريعي الثاني عشر من 1968 إلى 1972.

7 - في الدور التشريعي الثالث عشر من 1972 إلى 1976.

8 - في الدور التشريعي الرابع عشر من 1976 إلى 1980.

9 - في الدور التشريعي الخامس عشر من 1980 إلى 1984.

10 - في الدور التشريعي السادس عشر من 1984 إلى 1988.

- من هو الرئيس رشيد كرامي:

ولد الرئيس رشيد كرامي في مرياطه عام 1921 من عائلة عريقة في الوطنية والعروبة، ولأب من صانعي الإستقلال في لبنان.

والزعامة فيه وراثة وتقليد وعادة، هو ابن بيت حاكم طرابلس في ظل حكومة فيصل العربية، محامٍ درس أصول القانون في جامعات مصر عام 1947 بعد أن أكمل دراسته في كلية التربية والتعليم الإسلامية في طرابلس.

عام 1951 انتخب رشيد كرامي للمرة الأولى نائباً في البرلمان اللبناني، أمّا الوزارة فقد دخلها لأول مرة في عهد الرئيس كميل شمعون في العام 1951، كوزير للعدل، وكان يومها أصغر الوزراء سناً، وقد تم اختياره بعد ذلك وزيراً للإقتصاد والشؤون الإجتماعية عام 1953.

في 19 أيلول/سبتمبر عام 1955 شكل حكومته الأولى محتفظاً بوزارتي الداخلية والتصميم، وكذلك الأمر قي حكومته الثانية عام 1958 وكان آنذاك أصغر رؤساء الحكومات عمراً في تاريخ لبنان.

وفي العام 1958 شكل الرئيس كرامي حكومته الثالثة (حكومة الإنقاذ الوطني) محتفظاً بوزارات المالية، الإقتصاد، الدفاع، الإعلام، وفي العام 1965 شكل كرامي حكومته الخامسة محتفظاً بوزارة المالية، أما حكومته السادسة فشكلها عام 1966، والحكومة السابعة عام 1969، واستقال مع وزرائهِ بسبب الأحداث الداخلية التي جرت ـ تأييداً للمقاومة الفلسطينية ـ وبقيت الأزمة الوزارية حوالي ستة أشهر انتهت بتوقيع إتفاقية القاهرة بين لبنان والمقاومة الفلسطينية.

في العام 1969 شكل الرئيس كرامي حكومته الثامنة، وفي أول تموز/ يوليو عام 1975 شكل حكومته التاسعة، وفي 30 نيسان/ أبريل عام 1984 وعلى إثر مؤتمر الحوار الوطني في لوزان شكّل حكومته العاشرة واحتفظ بوزارة الخارجية حتى العام 1987. وفي الأول من حزيران/ يونيو عام 1987 وعشية الذكرى الخامسة للاجتياح الإسرائيلي للبنان سقط رئيس الوزراء رشيد كرامي شهيداً.

ـ عملية الاغتيال:

رجل الدولة، رجل الحل، ورجل الأيام الصعبة والمهمات الصعبة والوزارات الصعبة، رجل المفاصل التاريخية في مسيرة الإستقلال اللبناني.

تمت عملية الاغتيال أثناء توجهه من طرابلس إلى بيروت على متن طوافة عسكرية تابعة للجيش اللبناني، فيها عبوة مضادة للأفراد إلى جانب المقعد الذي يجلس عليه عادة الرئيس كرامي أثناء تنقّله في الطوافة.

ـ آخر كلمات قالها الشهيد رشيد كرامي:

شعبنا اللبناني أصيل، محب لبعضه البعض ولبلده، وليس لأحد الفضل في ذلك، طبيعي أن يتعلق الإنسان بأرضه وسيادته وكرامته ولكن لا ننسى أن هناك فئة من الناس تعتقد بأن كل شيء يتحقق بالقوة.

ـ يحمل الرئيس الراحل العديد من الأوسمة اللبنانية والشرق أوسطية، وتقديرات عالمية منها:

ـ وسام الصليب البرازيلي عام 1967.

ـ وسام الصليب الأكبر من إيطاليا.

ـ وسام الاستحقاق من لبنان عام 1967.

ـ وسام الشرف.

ـ وسام الوشاح الأكبر لمنظمة فرسان مالطا في 25/ 3/ 1987.

وباغتياله طوى التاريخ صفحة رجل عظيم، رجل الاستقامة والخط الواضح رجل السلام والحوار والوفاق والاختيار التوحيدي.

مضى زعيماً وطنياً شهيداً تاركاً خلفه ألف علامة استفهام وألف سؤال عن اليد والجهة وعن المستفيد؟ وعن من وأين ولماذا وكيف وإلى أين لبنان من بعده؟!

ولأن المؤامرة عجزت عن أن تطاله على الأرض، أمسكت به في الجو، فتم تفجير الطوافة العسكرية التي أقلته من طرابلس، من دون أن توصله إلى بيروت.

وبقيت الروايات عن الجريمة كثيرة، وكذلك البيانات والمعلومات المسربة والمدسوسة والصحيحة، إضافة إلى روايات الشهود الذين كانوا في الطائرة وضبطوا المؤامرة بالجرم المشهود، وأبرزهم الوزير الدكتور عبد الله الراسي الذي نجا مِثل بقية الركاب، الأربعة عشر وسقط الرئيس كرامي وحده في الحادث شهيداً.

وأجمعت معظم الروايات على أن الجريمة حصلت بتفجير عبوة ناسفة موقوتة وضعت بعناية فائقة في جسم الطوافة، بعد ثماني دقائق من إقلاعها من طرابلس، فقذف الانفجار بالجدار الأيسر للطائرة، حيث كان يجلس كرامي الذي تهشم ظهره وخرج منه قلبه وتوفي على الفور، وهو بين يدي الوزير الراسي.

وانتقل رئيس الجمهورية أمين الجميل إلى مدرج حالات حيث هبطت الطوافة وأشرف على بدء التحقيق وعلى معالجات الجرحى في مستشفى جبيل، ثم رأس إجتماعات عسكرية وقضائية وعدلية مستعجلاً جلاء ملابسات الجريمة، فيما شكل المجلس العسكري لجنة فنية عسكرية باشرت تحقيقاتها ـ في نفس اليوم الذي حصلت فيه الجريمة ـ مع قائد قاعدة أدما الرائد درويش حبيقة. والطيارين اللذين قادا الطائرة رغم أن أحدهما أصيب بجروح بالغة.

ـ الجريمة ـ المؤامرة:

كانت الطوافة العسكرية، وهي من نوع «بوما» أقلعت من مهبط الطائرات المروحية في أدما حوالي التاسعة وخمس دقائق بقيادة الرائد الطيار أنطوان بستاني يعاونه الرائد الطيار وليم مليس وهبطت

في زغرتا بعد حوالي عشر دقائق وصعد إليها وزير الداخلية الدكتور عبد الله الراسي يرافقه نائب القائد العام للواء «المردة» وهيب الخواجا لإجراء فحوصات طبية في بيروت وإميل غالب فرنجية وزوجته منتورة اسكندر، ورئيس مكتب البريد في الشمال فايز أبو ضاهر والطاهية سلطانة بو منيّة، ثم أقلعت الطوافة في اتجاه طرابلس، وهبطت في باحة معرض طرابلس الدولي، صعد إليها الرئيس كرامي، ثم تبعه عدد من مرافقيه وهم: الملازم الأول في الجيش جمال مواس، والملازم الأول في قوى الأمن الداخلي خالد علم الدين، وسائقه طلال بارودي، والرقيب الأول خالد ريمة، والرقيب إبراهيم القاضي والطاهية هلا.

ثم أقلعت الطوافة بقيادة الرائد بستاني وجلس إلى جانبه الرائد مليس وخلفهما جلس معاون فني، فيما جلس كرامي، في مقعده المعتاد خلف مقصورة القيادة لجهة اليسار، والملاصق لجسم الطائرة قرب الباب الجرار، وجلس في مواجهته الوزير الراسي وبقية الركاب الأحد عشر.

وحسب معلومات جريدة «السفير» فإن كرامي كان يتبادل الحديث مع الراسي حين دوى انفجار في داخل الطائرة، دفع بكرامي من مقعده إلى أعلى ولامس رأسه سقف الطوافة، ثم ارتطم بالمقعد الذي يجلس عليه الفني، قبل أن يهوي بين يدي الراسي الذي لم يشعر لهول الصدمة أنه يحتضن جسد كرامي.

في هذه الأثناء تولى الرائد مليس قيادة الطوافة التي كانت فوق شاطئ سلعاتا بعد أن تعذر على الرائد بستاني قيادتها نتيجة رضوض

أصابته في أنحاء جسمه وجروح في وجهه وكتفه، فيما سارع الوزير الراسي إلى الإمساك باليد اليسرى للرئيس كرامي، للتأكد من نبضات قلبه وتبين له أنه فارق الحياة.

وأكمل الرائد مليس التحليق على ارتفاع منخفض فوق البحر واستطاع بصعوبة السيطرة على الطائرة بعدما تطاير زجاجها وبابها الأيسر الذي كان يجلس إلى جانبه الرئيس كرامي، إضافة إلى فجوة أحدثها الانفجار في مكان بالقرب من باب الطائرة.

وكادت الطائرة تسقط في البحر، حسب تأكيد عدد من ركاب الطائرة لـ «السفير»، بسبب توقف أحد محركيها عن العمل، لولا براعة معاون قائد الطوافة الذي تعاون مع قائدها الجريح على قيادتها والهبوط بها بأعجوبة وعلى بطن الطائرة في حقل حالات، بعد ست دقائق ونصف من الطيران في ظروف بالغة الخطر والصعوبة.

وأكد أحد ركاب الطائرة لـ «السفير» أن الانفجار أصاب مباشرةً الرئيس كرامي، فيما تطايرت بعض الشظايا من حطام نوافذ الطائرة وأصابت الوزير الراسي في بعض أنحاء جسمه وتسببت له بجرحاً في أنفه وحروقاً في وجهه إضافة إلى احتراق جزء من شعره.

وأضاف، إن مرافق الرئيس كرامي الملازم الأول جمال مواس أصيب برضوض وكدمات، وأن ثيابه تلطخت بالدم، عندما حاول إسعافه، وأوضح بأن مواس لم يكن يجلس إلى جانب رئيس الحكومة، إذ بقي كالعادة المكان الذي إلى جانبه فارغاً ولا يجلس فيه أحد إلا إذا صودف عودة شخصية سياسية من الشمال على الطائرة.

وأشار أحد الركاب إلى أن حقيبة الرئيس كرامي لم تكن تحت مقعده أو خلفه وإنما كانت بيد مرافقه الملازم أول مواس، أما الأمتعة، فقد وضعت في مؤخرة الطوافة ولا صحة لما تردد بأنها وضعت على مقربة منه.

وأكد بأن الأمتعة العائدة للرئيس كرامي لم تصب بأي أذى، مما يوحي بأن العبوة كانت موضوعة في الطوافة.

ورداً على سؤال قال إن الرئيس كرامي اعتاد الجلوس على المقعد الذي استهدفه الانفجار ووصف المقعد بأنه عبارة عن قطعة قماش مغطاة بالنايلون ومشدودة من أسفل إلى أعلى، ولا يمكن بالتالي وضع عبوة في داخل المقعد أو تحته. مشيراً إلى أن العبوة وضعت داخل جسم الطائرة خلف مكان جلوس كرامي بالذات.

واستبعدت جهات أمنية أن يكون التفجير ناتجاً عن قنبلة موقوتة، ورجحت أن يكون تم بواسطة جهاز لاسلكي لأن الجهة التي ارتكبت الجريمة استهدفت حياة كرامي وبالتالي عمدت إلى تدارك أي تأخير يحصل على موعد إقلاع الطائرة من طرابلس وهذا لا يتم إلا عبر اللجوء إلى تفجير لاسلكي.

ـ رواية المنطقة الشرقية:

إلى ذلك نقلت وكالة «الأنباء المركزية» عن مصادر عسكرية تفاصيل أخرى عن ملابسات الحادث فأوضحت أن مروحية عسكرية من طراز «بوما» أقلعت صباحاً من مهبط «أدما» بعدما أجريت لها

عملية التفتيش الروتينية التي ترافقت مع الكشف الفني وترتيبات الصيانة لدى إقلاع أي طائرة مروحية في أي مهمة، علماً أن الأوامر لا تصدر إلى طائرة محددة للإقلاع إلا قبل دقائق.

وقد توجهت المروحية بقيادة الرائد أنطوان بستاني إلى زغرتا أولاً، حيث أقلت الوزير عبد الله الراسي وبعض معاونيه ولم تمكث في زغرتا سوى ثلاث دقائق وأكملت طريقها إلى طرابلس لنقل الرئيس كرامي، وقد تأخرت الطوافة في مهبط طرابلس ثماني دقائق عن موعد إقلاعها في انتظار رئيس الحكومة الراحل الذي تأخر وصوله هذه الدقائق وقد أقلت الطائرة من طرابلس رئيس الحكومة ومعاونيه وبعض الركاب بينهم نسوة والعديد من الحقائب وبلغ مجمل عدد المنقولين في الطوافة 15 راكباً.

وبعد إقلاع الطائرة بدقائق ولدى وصولها فوق منطقة الهري في شكا حصل الانفجار فيها. وتبين من الكشف على المروحية أن الانفجار ألحق ثغرات في سقفها فوق المقعد الذي كان يجلس فوقه الرئيس كرامي وتحت المقعد نفسه في أرضية الطائرة، علماً أن هذا المقعد كان وراء مقعد قائد الطائرة مباشرة. وذكرت الوكالة نفسها أن التحقيقات الأولية تميل إلى الاستنتاج بأن عبوة ناسفة وضعت في حقيبة أو دست في حقيبة أحد الركاب ووضعت أمام مقعد الرئيس كرامي، الذي كان المستهدف الأساسي بالانفجار، وقد أصيب الرئيس كرامي إصابات قاتلة في صدره وبطنه وظهره أودت بحياته فوراً، في حين أصيب الوزير الراسي بإصابات طفيفة وحروق في وجهه وأصيب أيضاً قائد الطائرة وجميع الركاب ولم يتمكن

الرائد بستاني من الاستمرار في قيادة الطوافة التي اختل توازنها فتولى مساعده وليم مليس قيادتها بصعوبة بالغة وتمكن من قيادتها لست دقائق كانت كافية للوصول إلى مطار حالات حيث حاول الهبوط بها، ولما لم يتمكن من تشغيل إطاراتها هبط بها على مسطحها الأسفل.

ونقلت وكالة «أسوشيتدبرس» عن مصادر عسكرية قولها أن العبوة كانت موضوعة في حقيبة ربطت تحت مقعد كرامي، ورجحت أن تكون القنبلة موقوتة.

أما وكالة «اليونايتدبرس» فذكرت نقلاً عن مصادر الشرطة أن القنبلة زرعت داخل حقيبة كرامي الشخصية التي وضعت تحت مقعده، لكن تقريراً آخر للشرطة قال، حسب رواية الوكالة الأميركية نفسها، أن كرامي كان يضع الحقيبة «تحت إبطه».

ورجحت وكالة «فرانس برس» أن تكون الشحنة الناسفة المضادة للأفراد انفجرت بعد خمس دقائق من إقلاع الطائرة. وقالت إن حريقاً اندلع داخل الطائرة بعد الانفجار.

أما «الوكالة الوطنية للإعلام» الرسمية، فنقلت عن الخبير العسكري المعاون أول يوسف بيطار تقديره أن وزن العبوة الناسفة حوالي 300 غرام، ورجح أن تكون العبوة وضعت خلف مقعد الرئيس كرامي. وهو ما أكده الطبيب الشرعي في مستشفى البترون الدكتور جوزف ضوطو، الذي أفاد لمندوب «الوطنية» أن جثمان الرئيس كرامي نقل إلى مستشفى البترون الحكومي وهناك عاين الجثمان فتبين أن لا تشويه في الوجه والأطراف والبطن، إلا أن

الظهر من الأعلى إلى الأسفل كان مشوهاً وخرجت من الصدر الأنسجة والقلب والكلى.

وأكد الطبيب ضوطو ترجيح المعاون بيطار أن تكون العبوة موضوعة خلف المقعد وليس تحته بدليل أن الأنسجة والعظام تهشمت وتفتتت. وأشار إلى أنه جرى في مستشفى البترون تضميد الجروح وتحنيطها لمدة 24 ساعة ليصار إلى غسلها حسب الشريعة الإسلامية تمهيداً للدفن.

وكان الطبيب الشرعي الدكتور سليم نجم أفاد أنه كشف على جثمان كرامي في مدرج حالات، وكان ما يزال داخل الطوافة المتضررة.

ورجح المعاون بيطار أن جلوس الوزير الراسي في مواجهة الرئيس كرامي أنقذه من شظايا الانفجار.

وقالت الوكالة أن كرامي قضى في ظروف ما تزال ملابساتها غامضة وموضع تساؤلات كبيرة وعلامات استفهام أكبر.

وذكرت أن الانفجار في الطائرة حصل بعد ثماني دقائق من إقلاعها من باحة معرض طرابلس، وقد استطاع معاون قائد الطائرة الهبوط بها اضطرارياً على بطن الطوافة في مدرج حالات بعدما تعذر عليه استعمال العجلات التي أصيبت بأعطال.

ورجحت مصادر على صلة بالتحقيق لـ «السفير» أن تكون عملية اغتيال كرامي مدروسة بعناية فائقة، بحيث وضعت عبوة واحدة، وفي مكان معين، كانت كافية لقتله لوحده من دون سائر ركاب

الطوافة، مما يشير أن اليد المجرمة خبيرة وعلى مستوى من المهارة والدقة في استهدافها[1].

ـ من اغتال رشيد كرامي؟

في 1 حزيران/ يونيو عام 1987 اغتيل رئيس الحكومة اللبناني رشيد كرامي، شقيق رئيس الوزراء عمر كرامي بتفجير عبوة في طائرة هليكوبتر كان يستقلها من طرابلس إلى بيروت. وبعد اثني عشر عاماً من الاغتيال حكم المجلس العدلي بناءً على نتائج التحقيقات بإعدام قائد «القوات اللبنانية» سمير جعجع بتهمة اغتيال كرامي وخفض العقوبة إلى الأشغال الشاقة المؤبدة وإعدام العميد الطيار خليل مطر وخفض العقوبة إلى الأشغال الشاقة لعشر سنين.

وفي 21 تموز/ يوليو عام 2005 صدر قرار العفو عن جعجع في الجريدة الرسمية إثر تصويت مجلس النواب على العفو وتحوله إلى مرسوم بتوقيع رئيس الجمهورية.

ـ ماذا قال الرئيس أمين الجميل في اغتيال رشيد كرامي[2]:

ـ تولي رشيد كرامي رئاسة الوزراء واغتياله:

*** بعد مؤتمر لوزان سنة 1984 تشكّلت الحكومة برئاسة الرئيس كرامي.**

ـ اسمح لي بدي ضيف شيء.

---

(1) «**أشهر الاغتيالات السياسية في العالم**»، هاني الخير، دار الكتاب العربي، دمشق، ج3، ص 244 ـ 250.

(2) الرئيس أمين الجميل في حوار مع قناة «**الجزيرة**»، تاريخ 12/ 03/ 2004، حاوره سامي كليب.

*** لا ما راح اسمح لك قبل ما اسأل سؤالي وبرجاء لو سمحت.**

ـ تفضل.

*** تشكّلت حكومة الرئيس رشيد كرامي وكان رئيس الوزراء الحالي رفيق الحريري هو لولب أو أحد الذين عملوا بجهد من أجل المؤتمرين يعني جنيف ولوزان للمصالحة الوطنية، لماذا لم يأتِ هو رئيساً للحكومة وهل اقترحته في دمشق؟**

ـ ما كان مطروح، يعني كان دور الرئيس الحريري بذاك الوقت وسيط بيننا وبين الملك فهد.

*** رشيد كرامي رئيس الوزراء السابق اغتيل في عهدك بطوافة عسكرية، من الذي اغتاله ولماذا؟**

ـ في قضاء يمكن قال كلمته بهذا الموضوع وأنا بترك الأمور للقضاء يعني.. ما حصلت التحقيقات استكملت التحقيقات بعد ما سافرت إلى باريس يعني، إنما كانت مأساة كبيرة اغتيال الرئيس رشيد كرامي.

*** بس بنذكر فخامة الرئيس يعني طبعاً نرجع إنه في مشاهدين ربما نسوا من كان رشيد كرامي، ماذا قال القضاء؟**

ـ القضاء حكم الدكتور سمير جعجع اعتبره أنه هو الذي دبر عملية الاغتيال.

*** سمير جعجع فيما بعد كان في مرحلة معينة حليفاً لك ثم عدواً أيضاً في مرحلة معينة سنعود إليها لو سمحت لي ولكن.**

ـ نعم بس ما كان فيه، ما بتذكر أننا مررنا بمرحلة تحالف.

*** ضد إيلي حبيقة في مرحلة معينة.**

ـ ما كان في، يعني تقاطعت الظروف بس ما كان فيه تحالف..

*** شو السبب ما كان فيه تحالف؟**

ـ ما كان فيه تحالف لأنه مشروعي أنا كان مشروع قيامة الدولة إعادة تركيب الدولة اللبنانية وتعزيز النظام اللبناني، العودة إلى لغة الحوار والميثاق الوطني وتعزيز الديمقراطية في لبنان على حساب المنطق المليشيوي، بينما كان فيه «القوات اللبنانية» من ميل وبعض الأحزاب الثانية بالمقلب الآخر كذلك الأمر كانت ضد قيام مشروع الدولة لأسباب هلأ ما راح ندخل فيها، أنا ما بدي أدخل بعد مرة قلت إنه بالنسبة لاغتيال الرئيس رشيد كرامي القضاء هو اللي حكم بهذا الاتجاه، فأنا ما بدي أؤكد هذا الأمر أو أنفيه يعني أنا ما أنا قاضي أحكم على الدكتور سمير جعجع ولا على غير الدكتور سمير جعجع، إنما هون ما في شك بدنا نتوقف على ظاهرة إنه في لبنان بهالحقبة هذه كان فيه قضاء استنسابي، إذا فقط بحب أحط هذه النقطة.

*** طيب باختصار أنت برأيك فخامة الرئيس ما هو سبب اغتيال رشيد كرامي؟**

ـ كان فيه رغبة أو هدف، كان خلق فراغ، خلق فراغ اغتيال رشيد كرامي أو إذا بنتذكر كان في محاولة اغتيالي بالأول قضية الطائرة اللي.

* **إلى صنعاء.**

- إلى اليمن فكان الهدف هو خلق فراغ على الساحة اللبنانية.

- موقف الرئيس عمر كرامي من قانون العفو عن قاتل أخيه:

غداة إطلاق سمير جعجع وسفره إلى باريس صرح الرئيس عمر كرامي لجريدة «السفير» بالتالي: وصف الرئيس عمر كرامي يوم إطلاق سراح قائد «القوات اللبنانية» سمير جعجع أمس بأنه بمثابة قتل للرئيس الشهيد رشيد كرامي مرة ثانية، وقال لـ «السفير»: نحن وكل محبي رشيد كرامي من مسلمين ومسيحيين وأهل ضحايا المجازر التي ارتكبها جعجع شعرنا أن رشيد قُتل مرة ثانية، وهؤلاء جميعاً على ما نسمع ونشاهد من زوار واتصالات غير راضين عن الإفراج عنه، وهذا شعور عام وليس شخصياً. وأضاف كرامي: شعور الناس أن الإفراج عن جعجع هو موضوع سياسي تم بوعود وعهود وحتى بطلب وضغوط من الخارج. وقد رتبوا له دوراً مستقبلياً في لبنان لا أستطيع أن أحدده لكن الأيام ستكشفه، لذلك لا نستطيع إعتباره انه من ضمن ما يحكى عن مصالحة وطنية، فالمصالحة لا تتم بين فئات محددة واستبعاد فئات، والدليل أن أياً من القيادات الإسلامية الروحية والسياسية باستثناء أحمد فتفت وبعض نواب الحريري وجنبلاط على ما علمنا، لم يحضر الاستقبال الذي جرى لجعجع في المطار. وفي اعتقادي أن جنبلاط والحريري هما أكثر من ساهم في عملية إطلاق جعجع ونتيجة أوامر من الخارج. علماً أن جنبلاط كان أكثر من زايد علي قبل نحو ثلاث سنوات عندما زارني في منزلي وقلت أني أسامح قتلة

الرشيد إذا سامح تياره الكبير في لبنان، فرفض قائلاً أنه لن يسامح قتلة الرشيد. وأكد أن الجرح لا يشفى إذا أقفل على زعل، مشيراً إلى أن إظهار جعجع على انه بريء ومظلوم هو منتهى التحقير للقضاء، مضيفاً أن أكبر قضاة لبنان أدانوا جعجع وبالإجماع في أكثر من تهمة فهل نشكك بأعلى مرجعية قضائية لدينا؟ وهل نشكك بأكبر قضية في لبنان وبالجسم القضائي كله عبر إطلاق سراح جعجع؟ لقد أظهروه كأنه قديس ولم يرتكب شيئاً مع أن جرائمه واضحة من رشيد كرامي إلى ميشال المر إلى داني شمعون والزايك وسواهم، ليطلقوه إذا أرادوا لكن ليحترموا شعور الناس وعقلها، لقد أصبحنا نحن القتلة وهو الضحية، وعلى كلٍ «ما في شي بيدوم».

ورأى أن إعتبار جعجع موقوفاً أو مسجوناً سياسياً فيه طعن بالقضاء اللبناني كله وهذا عيب، فهل كل القضاة الذين حكموا عليه هم مرتشون وفاسدون؟

وحول مقتضيات الوفاق والمصالحة التي فرضت العفو عن جعجع والحديث عن إمكانية إقرار عفو عام آخر في المجلس النيابي، قال كرامي: إن الخطأ في مكان يجر إلى أخطاء في كل الأمكنة، وطالما أن الخطأ حصل فليعمم على الكل وليتم إقرار العفو عن قتلة بشير الجميل ورينيه معوض وسواهما.

وعن رأيه في العفو عن موقوفي أحداث الضنية قال: إنها قضية مختلفة، لم تصدر فيها أحكام قضائية ولم تنته التحقيقات فيها ولا يعرف أحد أين الحق من الباطل فيها، وحصلت فيها مداخلات

سياسية واضحة وتهم ظالمة، عدا عن أن المحاكمة استمرت ست سنوات من دون صدور حكم.

ـ عائلة كرامي تندد بالعفو:

انتقدت عائلة الرئيس الشهيد رشيد كرامي، بشدة، قانون العفو عن جعجع، وقالت في بيان «لقد صدر قانون العفو العام عن مجلس النواب الذي اسقط التهم والأحكام عن سمير جعجع في جريمة اغتيال الرئيس الشهيد رشيد كرامي، تحت عنوان «المصالحة الوطنية». وأي مصالحة وطنية هذه عندما تتجاوز هذه المصالحة دم الضحية وتتجاوز عائلته، لتتم بين أطراف سياسية لا علاقة لها بالقضية ومن أجل مصالح انتخابية سياسية وعلى حساب دم رئيس وزراء لبنان ودوره الوطني؟» وتابع البيان «إن سمير جعجع هو قاتل رشيد كرامي كما أثبتت التحقيقات والاعترافات والمرافعات والحكم الذي صدر عن أعلى محكمة في لبنان والتي تضم خيرة القضاة اللبنانيين. والعفو لن يغير هذه الثابتة التاريخية. إن القول بأن الأجهزة هي التي ركبت التهم لجعجع هو قول باطل لأن الأدلة التي استند إليها الحكم واضحة وقاطعة بثبوت ارتكاب الجريمة». أضاف «إننا نتوقف طويلاً أمام موقف المطالبين بكشف الحقيقة والمجرمين بجرائم مماثلة ذهب ضحيتها رموز لبنانية كثيرة، مذكرينهم بأن الحقيقة كل لا يتجزأ وأن قانون العفو الذي تحمسوا له وأصدروه يؤسس لمزيد من الاعتداءات ويشجع الإجرام على حساب قيمنا الوطنية والدينية والأخلاقية، ويعرض قياداتنا ومسؤولينا للخطر، فإننا نقدر بعمق موقف الرئيس سليم الحص، الذي أثبت فعلاً أنه ضمير

لبنان وكذلك مواقف النواب الذين تغيبوا، بعد أن لمسوا التعقيدات والحساسيات الكبيرة لهذه القضية على المستوى الوطني العام».

وعلى سبيل المثال لا الحصر: لم يعد اغتيال الرئيس الشهيد رشيد كرامي جريمة نكراء، ولم يعد المخطط والمحرض والمنفذ «قاتلاً» ولا عاد عمله جريمة موصوفة، بل صارت عدالة الألفية الثالثة تقضي بمساءلة رشيد كرامي، لماذا اختار الحوّامة وسيلة انتقال إلى بيروت؟ بل لماذا قرر أن يجيء إلى ديوانه ومهماته في رئاسة الحكومة؟ كذلك صارت المساءلة تتوجه إلى أسرة الرئيس الشهيد رشيد كرامي مع استنكار إلحاحها على محاكمة القتلة، وممانعتها في العفو الشامل عنهم جميعاً مخطّطين ومحرّضين ومنفّذين ومتستّرين على الاغتيال.

خليل الوزير (أبو جهاد)

(1935 ـ 1988)

لقد كانت حياة أبي جهاد سريعة. . ولكنها كانت عميقة ومؤثرة كانت باستمرار محافظة على اتجاهها وكانت بوصلتها دوماً نحو فلسطين. . وكل تفاصيل حياة الرجل تُقرأ بسهولة على ضوء هذا المغطي الكبير.

بتأمل شخصيته ودونما إعياء، نرى أنها عاشت حياة خاصة جداً، حياة متواضعة للغاية، ومثابرة دؤوبة حتى النخاع، ومقاتلة ضد الوهن والعجز والإحباط والتخريب والاتكالية وضد العدو. . حياة تنظيمية منضبطة وجدية ملتزمة. . وعسكرية صارمة. . مؤدية الواجب المقتنعة به وكما هو الواجب كاملاً.

ومع هذه الخاصية الذاتية كان إيمانه العميق بضرورة بناء المؤسسة على أسلم المناهج العلمية وأدق تفصيلاتها، وإعطائها الفرصة للوصول إلى كل منابع الجهد الفلسطيني واستيعاب كل الفعل الوطني، لبلورة معادلة «الكل الوطني».

كانت حياة أبو جهاد السريعة عناويناً لكل ما سبق وبتكثيف جعل الوقوف أمام إحداها يتطلب من الجهد والوقت الكثير لإبراز

ما كان للرجل من دور في صياغة المشروع الوطني المعاصر.

إنها حياة نقرأ فيها بوضوح دليل الكفاح الوطني الفلسطيني بعد نكبة فلسطين والرد العملي الميداني لرسم خارطة فلسطين في الوعي والواقع على ذرات الوطن.. ذرة ذرة بعيداً عن قيود اللغة وسجن الشعارات والكلمات التي ليس لها قيمة والفاقدة معانيها (حتى) على الأوراق.. ذهب لمهمته التطوعية تسبقه مناقبيته فاتحاً باب الفعل الإيجابي لإنجاز الهدف الوطني مؤمناً وبعمق أن شلال الدماء المتدفق من شرايين وأوردة الثوار والمتدافع في ساحات المواجهة مع العدو سيحفظ ديمومة الثورة حتى النصر.. وأن دماء الشهداء عهداً وقَسَماً في ذمة الثوار ونبراساً لهم نحو الهدف لاستمرار ديمومة الثورة.

كان اندفاعه نحو هدفه بكل ذلك العنفوان ولأنه كان على قدر عظيم من نبل المشاعر ورهافة الحس تكفي أن يذوب في (العام - الموضوع الوطني)، فقط كان أبو جهاد كتاب الفلسطيني الخاص والمقدس جداً الذي لا يصعب على قارئه أن يردد ترانيمه السهلة الممتنعة: وطن اسمه فلسطين، مقاومة أداتها الإستراتيجية بندقية، بكل إيمان المناضلين وعناد الثوار وشفافية الشعراء ونقاء القديسين.. بكل الوعي نواصل مسيرنا نحو هدفنا.

- أبو جهاد المشروع:

لقد كان أبو جهاد معلماً لأجيال من المناضلين الفلسطينيين ولعله من أبرز معلمي المشروع الوطني المعاصر.. ولقد كان كذلك مَعْلَماً للوطنية الفلسطينية.

كان صاحب خيار القتال للخروج من «دُوّار» النكبة نحو مرحلة كانت فيها كل التيارات الفكرية والسياسية الفلسطينية منشغلة بالصياغات الفكرية أو اللغوية في محاولة الرد على النكبة. بينما أبو جهاد المتجاوز لمرحلة التردد والفوضى يسير نحو الفعل الإيجابي في الاتجاه الصحيح فكان أول الرصاص. الرصاص لإنهاء مرحلة الانتظار.. انتظار أن يأتي الحل من خارج الفلسطيني المعني مباشرة بالوقوف ضد الهجمة الصهيونية والمشروع الصهيوني. فكانت الطلقة الأولى تعني بالنسبة له فتح عناوين العمل كله من أجل بناء المشروع الوطني فالكيان الوطني، وهذا يعني تلازم التعليمات بالممارسة فكانت أفكاره منصبة على جعل التواصل سلوكاً تلقائياً للمناضلين، وديمومة الثورة هدفاً مقدساً لكل الثوار، كما كان وعي العلاقات السليمة بين الإنسان والمكان وعلاقتهما بالزمان تقود للفعل الإيجابي المستند على الصمود أمام العدوان ورده بالصدام المباشر وغير المباشر.

كان أبو جهاد الرمز يجزم بحتمية الاشتباك لرد العدوان والعنف الدموي لهجمة المشروع الاستعماري الصهيوني، هذه الهجمة التي تفتق عنها هذا الصراع المفتوح والدائر رحاه على أكثر من جبهة، لقد حسم أبو جهاد بأن هذا الصراع سيقود في كل الاحتمالات إلى استبدال خارطة «سايكس ـ بيكو» بخارطة الطريق للوطن العربي الكبير لأننا نكون قد أنجزنا خارطة المشروع الوطني الفلسطيني وهكذا اختصر أبو جهاد جدلية الوحدة والتحرير عملياً. فالوحدة تصبح برنامجاً عملياً وسلوكاً يومياً عندما تتجه كل الجهود من كل المواقع لدحر الغزوة الصهيونية على فلسطين. إن الوحدة حينذاك

تكون قد عبدت بالدم وتعمدت بآيات التكامل والتعاضد والتآخي في جبهة واحدة من أجل هدف واضح.

لقد كانت الخمسينات شاهدة على ميلاد اللحظة الأولى للخيار العسكري. ففي حين كانت الفوضى تلف الجميع تحرك أبو جهاد مع نفر من أصدقائه في أول عملية عسكرية تستهدف مؤسسات الغزو الصهيوني. وتم نسف خزان «زوهر للمياه» في 25/ 2/ 1955 وجاء رد الفعل الصهيوني بعملية عسكرية في 28/ 2/ 1955 على مثلث الشهداء في مدخل مدينة غزة الجنوبي استهدفت النجدة الآتية من الجنوب حيث استشهد في تلك الواقعة 38 شهيداً.

كانت هذه الحادثة منعطفاً قلب المنطقة، حيث وجدت مصر ضرورة التحرك نحو الكتلة الشرقية وكانت صفقة السلاح الروسية والمعروفة بصفقة السلاح التشيكي. ودخلت المنطقة إلى ساحة الصراع وأبعاده ونتائجه.

ـ أبو جهاد الفتح:

في أتون التحولات المهمة في المنطقة وتولد مناخ جديد كان التحرك نحو صناعة أداة التغيير الأهم وصناعة ذراع رافعة المقاومة والثورة الأطول والأهم في التاريخ الفلسطيني المعاصر، فكانت الخطوات الأولى نحو ذلك سارياً جنباً إلى جنب مع «الختيار» وإخوانهما في الخلية الأولى. وكان ميلاد حركة التحرير الوطني الفلسطيني «فتح».

ومنذ بناء الخلية الأولى انتشر أبو جهاد في كل مكان لبناء

الخلايا داعياً لمقاومة منظمة ومحرضاً لمقاومة عسكرية، فكما أنه رجل الخيار العسكري بكل معنى الكلمة وبكل أنواع الأسلحة ومن كل مواقع الجغرافيا، كذلك فإنه القائد السياسي الذي ينبع وعيه ومعالجاته من حقيقة إيمانه بعدالة قضيته، التي جعلت منه المحاور الوطني والقومي والأممي القادر وبمنتهى السهولة على إيصال وجهة نظره إلى محاوره إسهاماً في صياغة الفكرة المتقاربة لترسيخ مبدأ التكامل والانتقال إلى الفكرة الأرقى الأكثر خدمة للمصلحة الوطنية العليا. باختصار العمل بكليته وبأقصى قدراته وإمكانياته من أجل القضية.

لقد تمثل أبو جهاد «فتح» في كل همسة وحركة وكلمة وفعل وكان يحسب كل ذلك في ميزان فتح، همه كله أن يزيح من أمامها ما يعيقها عن التقدم لصناعة الموقف الإيجابي وتكريس خارطة الوطن على الجغرافيا. ويجعل منها قوة القاطرة القادرة على جر عربات القطار الوطني على سكة الفعل المتجه نحو محطة الحرية والإستقلال، وتسلح أبو جهاد طيلة سنوات نضاله بسمات كادت أن لا تتضح بمثل ما اتضحت فيه.

ـ أبو جهاد الثوري:

كان الرافض للأحكام المسبقة والتحليل بالظن، والتفسيرات الملتوية المنغلقة. وكان المستقبل للآخر، والأصيل في تحركه نحو التكامل مع الآخر على أرضية العمل الوطني، وكان القادر على الانتقال للموقع الآخر أكثر فعالية وإيجابية، فإن المعيار الوطني الثوري في وجهة نظر أبو جهاد هو الأفضل للقضية.

ـ المُنظِّر التنظيمي:

كان أبو جهاد بعيداً عن الانفعال، هذا الانفعال الذي يذهب بصاحبه بعيداً عن دقة جوهر المسألة، وكان الرافض للنمطية والصنمية المنبثقة عن نمطية أحكام القوالب الإيديولوجية الجاهزة.

ـ المثابر:

كان أبو جهاد هو الحافر في الصخر بالأظافر من أجل رسم لوحة الغد التي تليق بكمّ التضحيات ونوعها. تضحيات شعبنا وأمتنا وأحرار وثوار وشرفاء العالم. حافراً في الصخر لبناء الخلايا، ولبناء المؤسسة، ولبناء العلاقة، وتوفير مستلزمات النضال.

كان أبو جهاد الباسم الثغر، الحاسم أبداً، والمؤكد أن التردد هو الأب الشرعي للفشل، وكان أبو جهاد «عتّال» الهم الوطني وجسر التوحد الفصائلي وصمام أمان الفعل التكاملي. كان ذلك كله لتقديره حجم خطورة الهجمة الصهيونية ومعرفته لحقيقة عنفها الدموي، ولإطلاعه على أسرار المشروع الصهيوني وتحالفاته وولعه بحقيقة الجغرافيا وأهميتها في الصراع، وأهمية التحالفات الإستراتيجية وكيف تُبْنى، وكان تحركه الدائم إنطلاقاً من جملة هذه المعطيات نحو كسر وضع قائم وخلق وضع ملائم.

وكان وعيه بطبيعة الصراع مع المشروع الصهيوني يندرج تحت المقولة الآتية: «إنك قد ترى المسائل تسير في اتجاه الخطر بالنسبة لك، ولكن لا تفقد أعصابك، تأكد أن هناك أخطار أخرى كبيرة تتهدد عدوك». أي إذا وجدت نفسك في وضع حرج فليس معنى

ذلك أن عدوك في وضع آمن أو مريح. وهكذا كان تحركه وفعله وقوله يرتكز دوماً إلى قاعدة حتمية النصر، النصر للحل الإنساني الأمثل القائم على الحق في المُواطَنة، كانت حركته في كل تفضيلاتها وتفصيلاتها متشبعة بروح النصر والتأكد من إنجازه، لأنه كان مؤمناً بإنتصار قوة الإرادة، أجل كان مؤمناً بقانون التاريخ «الدم دوماً ينتصر على السيف».

آمن أبو جهاد بأهمية الانفتاح على كل حركات التحرر الوطني في العالم وذلك منذ البدايات، مؤمناً بأن المضطهدين جبهة واحدة ضد الإمبرياليين المستعمرين، وكان يرى طبيعة التحالفات بين الاستعماريين. وفي مقابل ذلك كان داعية عظيماً لتعاون وتعاضد حركات التحرر الوطني العالمية، وكان المبادر دوماً ليقاسمها ذخيرته ولقمة خبز المقاتلين الفلسطينيين، آخذاً بعين الاعتبار الإفرازات الضاغطة بخصوصية قضيته في صراعه المفتوح والخاص جداً ضد المشروع الإحتلالي الاستيطاني الصهيوني. وكان يدرك أبو جهاد أن كثيراً من حركات التحرر هذه ستنال أهدافها قبل أن تنال حركة التحرر الفلسطيني أهدافها، فتحرك بروح السياسي البصير لحركة المستقبل يعزز علاقاته متأكداً أن هذه الحركات المناضلة ضد الاستعمار تمثل رصيداً ثابتاً وداعماً له بعد انتزاعها وإنجازها لإستقلالها الوطني، وهذا ما كان فعلاً رحّل الاستعمار واستقلت المستعمرات وأصبحت دولاً مستقلة صديقة وثابتة في صداقتها مع قضية الشعب الفلسطيني.

كان تماس هذه الأفكار المباشر الأول مع الأصدقاء في كوريا

وفيتنام والصين وغيرها. واستمرت هذه الصداقات ظهيراً ومعيناً لا ينضب لدعمه سياسياً وعسكرياً ولدعمه بكل أشكال الإسناد.

لقد كانت بصماته واضحة في علاقات الثورة الفلسطينية مع حركات التحرير في آسيا وأميركا اللاتينية وأفريقيا، وقدَّر هؤلاء الأصدقاء (لأبي جهاد) دوره في خلق روحية التعاون بين الوطنيين الأحرار في العالم ضد المستعمرين الإمبرياليين.

ولعل ما قام به الجنرال نجوين جياب بما يمثله من رمزية وطنية فيتنامية وأممية عندما توجه في مثل هذا اليوم عند سماع الدنيا نبأ استشهاد أبي جهاد، توجه الجنرال جياب إلى سفارة منظمة التحرير الفلسطينية في هانوي ليكتب في سجل التعازي ما نصه: «قدم الرفيق أبو جهاد دائماً الدعم النشيط للشعب الفيتنامي وإني لأكن له المشاعر الأخوية الحميمة، لقد ترك لي الرفيق أبو جهاد الذكريات العميقة، لقد كان قائداً عبقرياً خلاقاً وله ثقة كبيرة بالإنتصار النهائي للثورة الفلسطينية».

- أبو جهاد ركن في حالة قيادية خاصة:

إن الثقة الكبيرة بإنتصار الثورة الفلسطينية هي الخلفية العميقة للثورة منذ منتصف الخمسينات وصولاً للأشهر الأخيرة في نهاية القرن العشرين عندما انبعثت الـ «لا» الكبيرة على لسان «الختيار» في كامب ديفيد.

إنها الأرضية الواحدة التي أنبتت الشجرة الواحدة شجرة أصلها ثابت في الأرض، متعددة المأكل تؤتي أكلها كل حين، إنها شجرة

الثورة الفلسطينية، وإن كان هذا صحيح على مستوى عموم الثوار فكيف سيكون على مستوى قيادات تاريخية خاصة، موغلة في الخصوصية الثورية استطاعت أن تصنع مركز استقطاب للهم والهمة الفلسطينيين، حالة قيادية خاصة، قل مثيلها في حركات التحرر الوطني وَأَدَت التناحر ورفضت التنافر، وعمدت إلى التكامل والتلاحم فحرّمت الاقتتال وجعلت الدم الوطني حرام في كل الساحات، حرام في كل الأزمنة، حرام في كل الظروف، حرمت الاستقواء بآخرين على الثورة، ودفعت بالحوار إلى أرقى المصاف.

هذا الحوار أصبح يُعرف بحوار غابة البنادق وديمقراطيتها، تناغم هذا الارتقاء النوعي في الأداء القيادي بين أبو جهاد وجميع إخوانه على مستوى القيادة وتمايز في ظاهرة ثنائية قل نظيرها عبر قرن كامل، قرن التحرر الوطني، إنها ثنائية القائد ونائبه القائد، القائد الرمز الوطني للمشروع الوطني الفلسطيني المعاصر، والقائد الفذ نائبه، فكانا وجهان لحقيقة واحدة.

ـ أبو جهاد المدرسة:

إنها مدرسة تتضح معالمها في مبادئ أساسية كانت الممارسة أكثر جلاءً وتميزاً بها من الأقوال:

ـ دع الأعمال تتحدث عن نفسها.

ـ تحرير الأرض والإنسان.

ـ البرنامج المرحلي هو الابن الشرعي للمشروع الوطني النابع من الشرعية التاريخية.

- التعامل بالممكن، بالمتوفر باليد، وصولاً للتعامل مع المطلوب توفره وذلك لإحداث التغيير المطلوب.
- إنها مدرسة لا تدع الواقع أمراً مسلّماً به، ادرسه وتمحصه وقلّبه على كل الوجوه والأبعاد فمعرفة تاريخ الظاهرة جزء من النجاح لإحراز وإنجاز حلها، وكذا الواقع إنه ظاهرة، وهو كالظلام، ولا تلعنه، بل أشعل شمعة لتبدد أستاره، ونشّط أبو جهاد وفَعّل الممارسة العملية لتغيير الواقع وذلك بتجميع النقاط بالتراكم لصالح نضال شعبه الوطني في ساحات الصراع، والتدرج والتقدم لمربعات جديدة. فما دُمْنا لا نحوز عناصر وعوامل القوة وغير قادرين على إحداث التغيير بالضربة القاضية، فلما لا يكون ذلك بالتراكم التدريجي في جميع ميادين ساحة الصراع.
- إنها مدرسة اللقاء على أرض المعركة، وهذا يكون على أرضية الشعار المركزي لشعبه في مرحلة التحرر الوطني ألا وهو - الوحدة الوطنية - بما تمثل من أهم الضرورات المطلقة التي لا يمكن القفز عنها أو التهاون حيالها، وكذا فإن هذا اللقاء وفي هذه المواقع - أرض المعركة -، يؤكد توظيف كل الطاقات لتفجير الكفاح المسلح وديمومته، ويفرض حتمية القتال على صعيد واحد، على جبهة واحدة، لرص وحدة القوى المكافحة في محصلة فعل وفعالية، لكي لا يفتت الجهد والدماغ.
- إنها مدرسة التركيز على قومية المعركة، وبأن الثورة الفلسطينية تقاتل وتناضل في خندق الدفاع الأول عن العروبة، وهذا

لم يمنع من الدعوة لإستقلالية قرار الثورة ورفض وصاية النظام العربي الرسمي، والتركيز على الدور الفلسطيني وتنشيطه وتفعيله في كل الميادين.

- إنها مدرسة وعي التعامل مع المستجدات من المعطيات، خدمة لإدارة الصراع، توافقاً مع الشرعية السياسية، خدمة للشرعية التاريخية، ورفض القولية والمضي للإبقاء على القاعدة الصلبة اللازمة لتطور الفعل الوطني الثوري.
- إنها مدرسة المبادرة النضالية والمثابرة العملية للحفاظ على ديمومة العطاء على أرض الصراع الحقيقي والعمل على ديمومة التطوير المتصاعد في جوهر الأداء، لإحداث التغيير المرتقب.
- إنها مدرسة وعي العلاقة بين الثابت والمتغير، بين الاستراتيجي والتكتيكي وجدلية العلاقة بينهما، وكذا انسجامهما لتحقيق الهدف المقدس - تحرير الأرض والإنسان -، وهي مع كل ذلك متمسكة بالحل الإنساني للقضية الفلسطينية القائم على حق المواطن الفلسطيني.
- إنها مدرسة التمترس في خندق الثوابت والتشبث بالصلابة الإستراتيجية والتحلي بأعلى درجات المرونة التكتيكية.

- أبو جهاد في سطور:

ولد خليل إبراهيم محمود الوزير المعروف بـ «أبو جهاد» في نهاية العام 1935م في بلدة الرملة بفلسطين، وغادر بلدته إلى غزة إثر حرب العام 1948م مع أفراد عائلته.

درس أبو جهاد في جامعة الإسكندرية، ثم انتقل إلى السعودية فأقام فيها أقل من عام، ومن السعودية توجه إلى الكويت، حيث ظل بها حتى عام 1963م. وهناك تعرف على ياسر عرفات وشارك معه في تأسيس حركة «فتح».

في العام 1963 غادر الكويت إلى الجزائر حيث سمحت السلطات الجزائرية بافتتاح أول مكتب لحركة «فتح» وتولى أبو جهاد مسؤولية ذلك المكتب. كما حصل خلال هذه المدة على إذن من السلطات بالسماح لكوادر الحركة بالإشتراك في دورات عسكرية وإقامة معسكر تدريب للفلسطينيين الموجودين على أرض الجزائر.

وفي العام 1965م غادر الجزائر إلى دمشق حيث أقام مقر القيادة العسكرية، وكلف بالعلاقات مع الخلايا الفدائية داخل فلسطين، كما شارك في حرب العام 1967، وقام بتوجيه عمليات عسكرية ضد الجيش الصهيوني في منطقة الجليل الأعلى.

وقد تولى بعد ذلك المسؤولية عن القطاع الغربي في حركة «فتح»، وهو القطاع الذي كان يدير العمليات في الأراضي المحتلة. وخلال توليه قيادة هذا القطاع في الفترة من 1976 ـ 1982م عكف على تطوير القدرات القتالية لقوات الثورة، كما كان له دور بارز في قيادة معركة الصمود في بيروت عام 1982 والتي استمرت 88 يوماً خلال الغزو الصهيوني للبنان.

تقلد أبو جهاد العديد من المناصب خلال حياته، فقد كان أحد أعضاء المجلس الوطني الفلسطيني، وعضو المجلس العسكري

الأعلى للثورة، وعضو المجلس المركزي لمنظمة التحرير الفلسطينية، ونائب القائد العام لقوات الثورة.

ويعتبر أبو جهاد أحد مهندسي الانتفاضة وواحداً من أشد القادة المتحمسين لها، ومن أقواله:

- «إن الانتفاضة قرار دائم وممارسة يومية تعكس أصالة شعب فلسطين وتواصله التاريخي المتجدد».
- «لا صوت يعلو فوق صوت الانتفاضة».
- «إن مصير الإحتلال يتحدد على أرض فلسطين وحدها وليس على طاولة المفاوضات».
- «لماذا لا نفاوض ونحن نقاتل»؟
- «إن كل مكسب ينتزع من الإحتلال هو مسمار جديد في نعشه».

- اغتيال خليل الوزير:

شعر الكيان الصهيوني بخطورة الرجل لما يحمله من أفكار ولما قام به من عمليات جريئة ضد الإحتلال، فقرر هذا الكيان التخلص من هذا الكابوس المتمثل في أبو جهاد، وفي 16/ 4/ 1988م قامت عصابات الغدر الصهيونية بعملية اغتيال كلفتهم ملايين الدولارات، وفي ليلة الاغتيال تم إنزال 20 عنصراً مدرباً من عصابات الإجرام الصهيوني من أربع سفن وغواصتين وزوارق مطاطية وطائرتين عموديتين للمساندة على شاطئ الرواد قرب ميناء قرطاجة، وبعد مجيء خليل الوزير إلى بيته كانت اتصالات عملاء الموساد على

الأرض تنقل الأخبار، فتوجهت هذه القوة الكبيرة إلى منزله فقتلوا الحراس وتوجهوا إلى غرفته، فلما شعر بالضجة في المنزل رفع مسدسه ووضع يده على الزناد لكن رصاصات الغدر الصهيونية كانت أسرع إلى جسده، فاستقرت به سبعون رصاصة ليلقَّب بـ «أمير شهداء فلسطين».

أجل رحل قديس الثورة، رحل بكبرياء، رحل وهو يقاتل حتى الرمق الأخير، رحل وهو يضغط على زناد مسدسه، نعم، طلقة واحدة أطلقها، هذا صحيح ولكنها طلقة مشروعية القتال في أسوأ الظروف وشرعية الثورة على المجرمين المغتصبين مهما بلغ حجم قوتهم، إنها مشروعية التحدي وهي مع ذلك كله إيمان بحتمية الإنتصار.

داود داود

(1944 ـ 1988)

في قرية جبلية صغيرة في فلسطين ولد الشهيد داود وشاء القدر أن يكون شهر ولادته هو شهر استشهاده. ولد في أوائل شهر أيلول/ سبتمبر من العام 1944 من أب كان في الأربعين وأم كانت في الثامنة عشر من العمر. رزق الله هذين الوالدين بهذا المولود الذي كان منذ صغره شعلة من الذكاء والفطنة وكان في الخامسة من عمره عندما دخل مدرسة القرية تحت السنديانة على يد شيخ القرية وبدأ يتعلم قراءة القرآن الكريم وهو في الثامنة من عمره، وقد أنهى القرآن وجوّده. وفي تلك الفترة بدأ الإحتلال الصهيوني لفلسطين وهاجر مع أهله إلى قرية عيتا الشعب وبدأ فترة الدراسة الإبتدائية في مدرسة قانا لمدة 3 سنوات ومنها انتقل إلى مدارس الأونروا في البص حيث أنهى المرحلة التكميلية وبعدها انتقل إلى المدرسة الجعفرية في صور حيث درس فيها سنتين. وانتقل إلى بيروت ليتم المرحلة الثانوية الأخيرة، وفي مدرسة الراعي الصالح أنهى المرحلة الثانوية ونال شهادتها في مادة الرياضيات. وهنا بدأت المصاعب تواجه الشهيد داود في هذه الفترة، كان أبوه يفقد بصره وفي البيت خمسة أطفال مما اضطره إلى ترك المدرسة ورغم ذلك رفض

الاستسلام، إلى أن جاء المنقذ والملهم والقائد سماحة الإمام السيد موسى الصدر ليصل الشهيد إلى ما وصل إليه من ثقة وجدارة ليصبح مرافقاً للإمام الصدر في كل خطواته، ولم يكن بالأمر الغريب أن يجلس الإمام الصدر إلى مائدته المتواضعة ليتناولا الطعام معاً.

وفي تلك الأثناء أقر سماحة الإمام الصدر التعليم الديني في قرى الجنوب ورجح داود أستاذاً لمادة الدين ينتقل من قرية إلى أخرى، وكان السكن في رأس العين متنقلاً في قرى شحور وباريش وسلعا والعباسية وطورا ومعروب ورغم أنه لم يكن يملك وسيلة نقل، مستمراً به الحال إلى أوائل السبعينات والمعاش لا يكفي أجرة نقل من قرية إلى أخرى.

وفي العام 1970 وبعد رسالة من صديق للشهيد داود يشرح له فيها وضع الاختصاص في تركيا، توجه للتخصص في أنقره ليتخصص في مادة الفيزياء الذرّية ليحصل بإمتياز على شهادة بكالوريوس في العلوم خلال خمس سنوات قضاها هناك. وعاد داود في العام 1976 ليكون على صلة أوثق بسماحة الإمام الصدر الذي منعه من السفر ليقول له «أنا بحاجة لك هنا يا أستاذ»، فأجابه داود «كما تريد يا مولانا»، ليبدأ حياته الجهادية مع إخوته في صفوف الحركة محمد سعد وخليل جرادي وموسى بداح ومحمود فقيه، أولئك الذين كانت تملؤهم الثقة بمسيرة الإمام الصدر وتتبع خطواته والذوبان به حتى يصل الواحد منهم لدرجة أنه لا يسأل حتى عن أطفاله في المنزل.

كان يدخل بوابة مهنية الإمام الصدر في برج الشمالي يقترب رويداً رويداً من الغرفة الأولى، يجمع المدرسين والمدربين ويحشد التلامذة ليرص الصفوف في بداية أعوام المقاومة وتلاميذه ومساعديه محمد سعد وحسن وأحمد قصير، هذا في بداية أعوام المقاومة، كنا نراهم يعبرون الحقول ويتخطون الأسيجة، بعد التحرير كان في كل قرية ودسكرة ومدينة من القرى المحررة إلى قرى التماس أول الواصلين وآخر المغادرين.

إنه داود القائد والموقف الذي قال «إن الصراع مع إسرائيل ليس صراعاً على أرض، وليس صراعاً سيكولوجياً كما قال أنور السادات، الصراع مع إسرائيل صراع على الوجود، صراع بين الإسلام والعنصرية، بين الفكر الإسلامي والفكر الصهيوني، صراع عقائدي إيديولوجي مبدئي، صراع لا يمكن لأحد إيقافه لا إتفاقات ولا دول ولا أنظمة، صراع أو أن ننتصر فيه نحن وتنتهي إسرائيل أو أن تنتصر فيه إسرائيل وننتهي نحن».

داود كان يعرف تفاصيل سير العمليات وسير الدوريات، يأتي للمقاومين كي يقول انتبهوا، ازرعوا العبوة وانصبوا كميناً، من القاسمية إلى البياضة، بدون أجهزة، كانت الناس كلها تعمل للمقاومة، سائق سيارة الركاب كان مقاوماً، الخضرجي والنجار، هذا الواقع هو الذي زرعه داود في الناس ليتنامى المجتمع المقاوم. في بدياس كما في غيرها يذكر الشهيد فيقول، يوجد بحدود ثمانية أشخاص ينفذون عمليات، ولكن عندما يحاول الإسرائيليون دخول البلدة كانوا يواجهون المئات من الناس، هؤلاء المقاومون كيف

كانوا يأكلون، كيف كانوا يختبئون، كان يكفي أن يدخلوا إلى بيت ليقدموا لهم أصحابه كل ما يحتاجونه.

تلك هي خطى الشهيد داود، التعبئة الإيمانية الصحيحة للتفاعل مع المجتمع المقاوم لتقديم القدوة والنموذج المستمد من نبع إيمان الإمام الصدر والمتلمذ على يديه.

كان الجميع يعرف حجم دواد وموقعه كقائد شعبي وقائد مقاومة وأنه صمام أمان الجنوب وهو الذي تنبه لكل خطوات العدو والقائل:

«إن المؤامرة التي أخفقت في إحداث قتال شيعي ـ ماروني في المنطقة تريد أن تفتعل قتالاً شيعياً ـ شيعياً». وفي ذروة التصدي للإحتلال وقف داود في أعراس الشهادة ليرسم القرى نجوماً ليقول بلدة معركة الصغيرة وأهلها العزل تمكنت بشهادة ضابط فرنسي من مقاومة لواء إسرائيلي قوامه 1500 جندي يقودهم جنرال، وتمكن الفتية الذين واجهوه من التأكيد للناس إن أياً منا في استطاعته أن يقف في وجه أية قوة مهما كانت».

منذ اليوم الأول للإحتلال الإسرائيلي «إذا أرادت إسرائيل البقاء سنقاتلها بالحجارة وبصدورنا وبكل ما لدينا من إيمان ولا زلنا نراهن على سلاح من الإيمان ونطلب من إسرائيل أن تزيد اعتداءاتها وتسلطها وأعمالها التعسفية وعربدتها، لأنه عندما تأتي العاصفة لا يقف في وجهها أي طاغوت، ونحن بالمرصاد لكل المصاعب والمصائب وسنبقى في النهاية القلة المؤمنة التي على يدها سيكون الإنتصار». وهكذا قرر الشهيد البطل المواجهة بعد الانتهاء من

مرحلة الاعتصامات والإضرابات وبدأ التصدي فكان القرار وكان الرد للصاع صاعين، ليفتح صفحة القراءة لتاريخ جبل عامل الذي ما قصده جبار إلا وقصم الله ظهره نصفين. في العرس ذاته وقف الشهيد محمود: ليقول انتفض ابن أمل في مسيرة الدم الحسيني الثوري ليقتلع من الجذور كل من ظلمه واستبد به فغلبنا المعادلات، وبعد أن كان الثقل الوطني والتيار الوطني اللبناني صفراً أو تحت الصفر، أصبح اليوم بالنضال وبالجهاد المستمرين ممسكاً بزمام الأمور ومحط آمال جميع اللبنانيين الشرفاء يتفاعل مع محيطه العربي وهذه ليست منة أو جميلة للبنان أن يكون كذلك، فإذا استطعنا تزوير التاريخ فليس باستطاعتنا تزوير الجغرافيا ومصلحة لبنان وشعبه.

كان داود جمرة عين المقاومة وكلمتها المعبرة، وهو يخاطب الإحتلال قائلاً: «إما أن نقتلكم فنفوز بالنصر وإما أن تقتلونا فنفوز بالشهادة. ونقول للإسرائيليين: لقد وصلت الرسالة وقرأناها وفهمناها وتمعنّا بها. قرأناها في حانويه على روح حسن الصائغ وبالأمس تليت علينا في برج رحال واليوم نقرأها في بدياس وفي القرية تلو الأخرى، فهي كتبت بأحرف الرعب الذي تريده لنا إسرائيل، ولكن لتعلم إسرائيل أن من يرسل إلينا رسالة عليه أن يتلقى الجواب في أي شارع أو أي زاوية وحتى في السيارات. وبالأمس كان الجواب حمله عريس الجنوب وهنيئاً لهذا العريس، نأمل رد الرسالة. هكذا علّمنا الحسين فويل لمن يقف في وجه تيار الحسينيين».

هكذا علّمتنا أن نكون أيها الأسد الجريح المزمجر غضباً في ربوع الجنوب يا سيد العرين الرابض في الجنوب العرين، فمن يجرؤ على مداهمة العرين وسيد العرين ساهراً أبداً مصمم عنداً ومتوثب أسداً؟

والأسد عندما يكون جريحاً يشتد بأسه ويكبر خطره.

لقد خافك الأعداء والعملاء وتخفوا في منازع الظلمات والزوايا وكرهوا المواجهة فلجأوا إلى المؤامرة والكمين يا حامي العرين. وحقد عليك كل مأجور ولاهث وراء دور رخيص على مسرح السياسة اللاهية عن قضايا الأرض والإنسان وقدسية الكرامة. كنت أول رفيق على الدرب، أول ما رسم الإمام الصدر بداية الدرب.

وحين توضحت معالم الطريق كنت المستقيم على الخط المستقيم لا تنحرف يمنة ولا يسرة ولا تميل مع الريح، حتى صرت عنواناً للعناد ورمزاً للصلابة. فضّلت القضية بالتزام مؤمن وطوعي، أهملت ما عداها المال والعيال، وتركت زخرف الدنيا لأهلها، نصرت دينك وتراب الأرض وعرق الإنسان، ظالماً نفسك وعيالك مرضاة لله تعالى وإكراماً للدين، فكنت وانتهيت حسينياً كربلائياً شهيداً فطوبى لك.

لم تكن مقتنعاً بالفصل بين التكتيك والإستراتيجية، لأن إيمانك وتصميمك وتقواك ثوابت لا تؤمن بالمهادنة والتكتيك يفرض الهدنة والمهادنة أحياناً. كنت مصيباً لأن صاحب الدار هو صاحب القرار، لأن الشعب المسلم في الجنوب هو صاحب القرار، وكنت مع إسلام الممارسة والعمل الصالح محصّناً في نهجك بإسلامك

ومحصّناً له، وحيث مررت كانت كلمة الله هي العليا، وفضحت نفاق المنافقين وحقارة العملاء، قاتلت دفاعاً عن محيط المخيمات ورددت الغزو الداخلي عن شرايين الجنوب ودساكره وقراه، كما واجهت الغزو الخارجي بكل بسالة وشجاعة وكسبت عداوة في الداخل ولا أغنى ولا كرهاً في العالم المحيط بنا ولا أغزر. ورفعت رصيد حركة أمل إلى القمة ولم يستطع أحد حتى الأعداء إلا أن يحترموك، وبقيت قضية الشعب الفلسطيني على منزلة سواء في قلبك وفكرك مع قضية وطنك لبنان، وخسرتك المقاومة الفلسطينية الشريفة والمجاهدة كما خسرتك الساحة الجنوبية واللبنانية والعربية والإسلامية، خسارة مريرة وقاسية كل ذلك بفضل حكمتك ووضوح الرؤيا، فأنت لست ممن يطيع حواسهم في الملمات لتظلم الأبرياء، وأنت أنت الفارس المغوار الذي لا يعرف الحقد في ممارسة الحق ضد الباطل.

وهذا الجنوب في ذكرى استشهادك يوفيك حقك ويصفع وجوه أعدائك، أولهم إسرائيل الشر المطلق، يوفيك حقك ليشعل شمعة بلوغنا سن الرشد.

ـ اغتيال داود داود:

في العام 1988 كان داود من بين الثلاثة الذين اغتيلوا على يد مسلحين مجهولين هم محمود فقيه وحسن سبيتي في منطقة الأوزاعي على مقربة من مقر للقوات السورية العاملة في لبنان، وترك الحادث أكثر من علامة استفهام حول الجهة التي نفذت العملية.

حسن سبيتي

(... ـ 1988)

ـ ولادته:

ولد الشهيد الحاج حسن سبيتي في بلدة «كفر صير» الجنوبية في القطاع الأوسط من الجنوب اللبناني، على مساحة قدرها 8500 دونم، يحدها من الغرب بلدة صير الغربية، ومن الشرق بلدة قعقاعية الجسر، ومن الشمال القصيبة، ومن الجنوب نهر الليطاني الخالد.

وتبعد البلدة عن العاصمة حوالي 85كلم، وعن النبطية حوالي 12 كلم، وعن الساحل حوالي 18 كلم، ويبلغ ارتفاعها عن سطح البحر حوالي 380م.

وعدد سكان البلدة المقيمين 8,500 نسمة، وفي فصل الصيف يصل العدد إلى حدود 11,000 نسمة، مع قدوم المغتربين والمصطافين إليها. وتضم البلدة 650 وحدة سكنية متداخلة مع القرى المجاورة.

ـ نشأته:

نشأ الشهيد القائد في بلدة كفر صير الجنوبية، وترعرع في أسرة

محافظة على التقاليد والعادات الجنوبية، والمعتقدات الدينية الأصيلة عند شيعة جبل عامل، مما كان له الأثر الجيد على تكوين تفكيره ونفسيته التي كان يتحلى بها القائد من الصفات الخلقية الفاضلة، بالإضافة إلى أصالة العقيدة الراسخة في نفسه الكبيرة.

ـ المرحلة التعليمية:

تلقى علومه الإبتدائية الأولى في مدرسة البلدة، على حسب الإمكانيات التي كانت متوفرة في ذلك الوقت، وقد كان القائد يتمتع باستيعاب ووعي منذ الصغر، وكان يتمتع أيضاً بالبنية السليمة، والطلة المحببة، ولعل هذا يصدق كل الحديث الذي يقول: «العقل السليم في الجسم السليم».

بعد فترة دراسته الأولى في بلدته توجه كغيره من طلبة العلم إلى مدينة النبطية حيث تلقى علوم المرحلة الأولى في مدارسها، وأثناء دراسته كان يشارك رفاقه في مسكن واحد، ثم انتقل إلى السكن مع أخيه الذي كان يملك منزلاً في النبطية، وبعدها غادر إلى العاصمة بيروت لإكمال دراسته المتوسطة، وذلك سنة 1963 حيث تابع دراسته حتى نال الشهادة المتوسطة «بروفيه».

ـ دخوله سلك الوظيفة والعمل:

كانت هذه الشهادة في وقتها لها درجة من الأهمية حيث أقيم له احتفال عند رجوعه إلى البلدة بمناسبة نيله هذه الشهادة، التي كانت في ذلك الحين تمكنه من الدخول إلى سلك الوظيفة في الدولة في وزارة الاتصالات، وبقي في هذه الوظيفة حتى استشهاده.

- مرحلة العمل:

بالإضافة إلى مهامه الموكلة إليه في وظيفته، استعان به شقيقه محمود (أبو وائل) الذي كان يشغل منصب مدير شركة أجيب غاز ليعمل على مساعدته في هذه الشركة.

وبعد فترة وجيزة انتقل الأخ الأكبر ليعمل في مجال المفروشات والأدوات الكهربائية، ولم يكن أبو وائل ليستغني عن شقيقه حيث استعان به في إنجاح هذه التجارة، وبقي مع أخيه حتى تهيأت لأخيه الوظيفة ليفتح محلاً تجارياً مشابهاً لمحل أخيه حيث أداره بنفسه، وبقي يديره، ولأن أخلاق الشهيد القائد كانت عالية فقد وهب المحل الذي كان يملكه إلى أخته التي كانت تساعده فيه عند زواجها، وذلك إكراماً لها.

مرحلة شبابه:

كان الشهيد القائد يمتلك شخصية تؤهله لتجمع أصحابه وقضاء أوقات ملؤها المحبة والمرح والألفة، وتبادل الآراء، ومجمل النشاطات الإجتماعية المختلفة.

- انخراطه في العمل الجهادي:

كان جبل عامل يرزح تحت بثر النظام والسلطة الحاكمة، وكان هذا الجبل الأشم لم ينل من الدولة الاهتمام اللازم حيث كانت العائلات الجنوبية تعيش حياة التقشف والفقر، مما كان له الأثر العميق في نفسية الجيل الصاعد، وكانت ضغوط العيش تزعج كاهل العائلات، فتولد في النفوس الغضب، وتهيئ الناس لرفض الواقع المرير.

عاشت الفترة الجنوبية حياة السخط والغضب في الفترة الأولى من السبعينات حيث أن السلطة لم تكن لتعطي المزارعين والعمال حقوقهم المشروعة، ونتيجة الإهمال الدائم لهذه الشريحة الكبيرة من المجتمع أدى هذا الوضع إلى تفاقم الأزمة بين الشعب والسلطة، وكانت الإنطلاقة الأولى للمظاهرات الشعبية في النبطية تطالب الدولة بإنصاف مزارعي التبغ، مما أدى إلى تصادم القوى الأمنية مع المتظاهرين، وسقوط عدد من الضحايا في صفوف المزارعين، مما رفع من وتيرة التوتر بين المتظاهرين والسلطة.

وكانت هذه الحادثة بمثابة الشرارة الأولى لمزيد من التصعيد، وقد تفتحت العقول على أهمية المشكلة ودفعت بالناس لاتخاذ المزيد من المواقف والاستعداد لمرحلة مقبلة تكون أكثر خطورة.

وهذا الوضع المتأزم استمر في التصعيد حتى كانت حركة صيادي الأسماك في صيدا عندما باعت الدولة استثمار الثروة السميكة لشركة أجنبية «بروتين»، مما أثار غضب الصيادين الذين يعيشون حتى هذه المهنة، وقد دعوا إلى رفض هذا الإجراء والنزول إلى الشارع استنكاراً لهذا الواقع، وكان في مقدمة المتظاهرين المناضل معروف سعد، والاصطدام بالقوى الأمنية أدى إلى سقوط معروف سعد شهيداً مع عدد من المتظاهرين.

ـ حركته في التصدي للعدو الصهيوني:

في الأسبوع الأول للاجتياح الإسرائيلي، وما خلفه من فراغ سياسي وأمني، كان لا بد من التحرك والمحافظة على مقومات المواطنية الصالحة التي ترفض الإحتلال بكل أشكاله، وتتمسك

بالحرية والسيادة، لا سيما بعد هروب أدعياء القتال والمواجهة، وحيث لم يبق إلا أبناء الأرض الحقيقيين المؤمنين بمعتقداتهم وبحقهم في الحياة بكرامة وحرية على أرضهم.

فتحرك الشهيد للوقوف في وجه الإحتلال وإفرازاته المختلفة، ودعا إلى رفض كل أشكال التعاطي والتعاون معه، محذراً من سياسة الترغيب والترهيب التي استعملها، ومن الانخراط في التشكيلات العملية التي أنشأها حتى ومحاربة كل من تخوله نفسه الانضمام إلى هذه التشكيلات.

وهكذا لم ينخرط أحد أبناء بلدته في الحرس الوطني أو سواه رغم الضغوط، وتهديدات العدو وعملائه.

كما دعا القوى الشرعية من قوى الأمن الداخلي، والأمن العام، والمحافظ، والقائم مقام، والمحاكم الشرعية والمدنية، إلى القيام بواجباتها.

والإجتماعات التي جرت في سراي النبطية خير شاهد على ذلك، وكان يرى أن حضن الشرعية اللبنانية أفضل بكثير من حضن الإحتلال.

كما قام بزيارات لرؤساء البلدات والمخاتير والفعاليات في البلدات والقرى، وحثهم على عدم التعاون مع الإحتلال، ورفض أية دعوة توجّه إليهم من قبله، وعدم إعطائه المعلومات التي كان يطلبها، وعدم شراء منتجات العدو الزراعية والصناعية التي غزت الأسواق جنباً إلى جنب مع الغزو العسكري.

كذلك دعا إلى تشكيل لجان في القرى لرفض الإحتلال، وعدم التعاون معه، والمساعدة في حل المشاكل التي تتعرض لها هذه القرى بمعزل عن تدخل العدو والعملاء، وللوقوف في وجه اللجان والأقنعة التي كان يشكلها العدو ولخدمته وتنفيذ سياسته.

وكان له فضل كبير في فرط ما سمي بـ «الجيش الشيعي» يوم حاول العدو إيهام الناس أن هذا (الجيش) هو لخدمتهم ولتأمين مصالحهم وحمايتهم.

وعلى الصعيد الحركي كان الشهيد يعقد اللقاءات والسهرات مع إخوته في الحركة لإعادة تنظيم الصفوف، والتعبئة ضد الإحتلال ومشاريعه.

ومعظم هذه اللقاءات كانت في منزله أو في منزل أحد أقاربه أو معارفه، وكل هذه النشاطات كانت عرضة للملاحقة الدائمة من قبل العدو المحتل، حيث اعتقل في منتصف ليل السابع والعشرين من شهر تشرين الثاني/ نوفمبر عام 1984.

وأخيراً تمر الذكرى ويتجدد عهدنا من خلال درب الشهادة من وادي السلوقي، إلى وادي الحجير، إلى السويداء، إلى كل ثغر من ثغور المقاومة.

نستمد منكم العزم، والثقة بالنصر والتحرير والعدل.

ـ متى انخرط الشهيد في صفوف حركة أمل؟

انخرط الشهيد في صفوف حركة المحرومين وهو في العشرين من عمره، فكان تلميذاً مخلصاً لتعاليم الإمام الصدر، وحفظ عن

ظهر قلب مقولاته جميعاً، كما حفظ القرآن وتفسيره، ودرس سيرة الأئمة ﷺ فكبر بهذه الثقافة، ولكنه لم يتكبر بها، حفظ السلاح وهو زينة الرجال في المكان الأمين، فلم يكن يحمله إلا في الأوقات اللازمة، ولم يصوبه إلا نحو العدو الذي حدده الإمام الصدر، فكان للسلاح عنده شرف وقضية، واستعماله يجب أن يكون لحفظ الحق، وحماية الأمة من الأخطار، ولحماية الأرض والعرض والدين والأمانة.

وكانت نشأة حركة أمل أفواج المقاومة اللبنانية، فانخرط الشهيد فيها، فالخط واضح، والفكر واضح، والنهج كذلك، فما حاد عما رسمه الإمام القائد.

بدأ مسيرته في الحركة وسط بحر متلاطم الأمواج، ووسط مشاريع متعددة المشارب والمآرب، فخاض مع إخوته في الحركة كل الصولات والجولات، فحاور وناقش، ولكنه لم يساوم على الخط الذي انتهجه، ولم يتراجع عن الفكر الذي حمله، رغم وحشية وقوة الهجمة المعادية، فالعقيدة باقية والإسلام باق، وكل الطروحات الطارئة إلى زوال واندثار.

وفي الفترة العصيبة التي مرت على الجنوب سنة 1979، وإلى أواسط سنة 1982، ورغم اشتداد الأزمة والمؤامرة، ورغم همجية العدوان الإسرائيلي ووحشيته، وقصفه للقرى وإحتلاله لها، كان طعن الأصدقاء والحلفاء.

واستطاع الشهيد مع أخوته في حركة أمل تجنيب القرى ويلات الاقتتال الداخلي والمآسي، فحفظت الأعراض والأرواح، وحافظت

مسيرة الحياة على هدوئها، ونعم الجميع براحة البال والاطمئنان، فالحرية حق للجميع شرط عدم تخطيها للخطوط الحمراء التي رسمها الإسلام، وحملها الإمام، وحافظ عليها أبناء أمل.

فالكل مسلمون و**﴿لا إكراه في الدين﴾**[1]، و**﴿ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن﴾**[2].

وما دامت الأمانة محفوظة، وما دمنا نعي أن الهدف الأساسي هو قتال العدو الإسرائيلي، وتحرير الأرض من رجسه، فالأمور الأخرى أمور ثانوية.

كان الشهيد ينطق في عمله الإجتماعي والسياسي من الحديث الشريف: «من أصبح وأمسى ولم يهتم بأمور المسلمين فليس بمسلم»، فاهتم بمشاكل الناس الحياتية والمعيشية، وسعى مع اخوته في الحركة إلى حلها تأميناً لمقومات الصمود والبقاء في الأرض، لتفشيل أهداف المؤامرة التي كانت ولا زالت تستهدف الجنوب.

هذا إلى جانب الحث على حمل السلاح للدفاع عن هذه الأرض وصيانتها وحماية قرارها.

وقد شمل نشاطه كل الميادين الحياتية من تأمين المواد التموينية المشتراة، أو المقدمة كهبات، والإشراف على توزيعها، إلى تأمين الماء والكهرباء والسعي إلى دعم المدارس الرسمية، وتعبيد الطرقات، إلى توزيع الأراضي المشاع على المهجرين والمحتاجين

---

(1) البقرة: 256

(2) النحل: 125.

لتامين المأوى لمن لا يملك أرضاً ومنزلاً إلى شق الطرقات الزراعية لتنمية هذا القطاع الحيوي، إضافة إلى أوجه أخرى تساهم في تحسين أحوال الناس، وتأمين عيش أفضل لهم في أرضهم.

كما كان يسهر على أمن الناس، ويحاول الوقوف دائماً في وجه كل من تسول له نفسه العبث بهذا الأمن حتى ولو كان يتغطى بغطاء حركة أمل، فحمل السلاح عنده يجب أن يكون على جبهات القتال الفعلية لا للتسلط على رقاب الناس.

ـ اغتياله:

في العام 1988 اغتيل مع اثنان من رفاقه في حركة «أمل» هم داود داود ومحمود فقيه في منطقة الأوزاعي على مقربة من مقر للقوات السورية العاملة في لبنان، وترك الحادث أكثر من علامة استفهام حول الجهة التي نفذت العملية.

أنور الفطايري

(1946 ـ 1989)

بدأ النشاط السياسي لأنور الفطايري، المولود سنة 1946، في الجامعة اللبنانية ولم يكن بعدُ قد أكمل التاسعة عشرة من عمره. حينها، أي في الستينات من القرن العشرين كان تيار القومية العربية في فترة تألقه الذهبي. وكان أنور القادم من قريته في الشوف، مختزناً بالتمرد ضد نظام يضطره كما أبناء ريفه على بيع الأرزاق طمعاً بنوعية تعليم أفضل في المدارس الخاصة. انغمس ذاك الشاب المتحمس للسياسة والفكر السياسي على القراءة. فكان متابعاً للمجلات المعنية بالشأن الفكري كمجلة «الوقت» و«الطريق» و«الأخبار». وأضاف عليهم انكبابه على قراءة أنطون سعادة وميشال عفلق، وعبد الله الدايم وساطع الحصري، وسواهم من المنظرين الأيديولوجيين.

إزاء ذلك، كان من الطبيعي أن أتت قراءته لكتابات كمال جنبلاط التي وقع عليها في آخر المطاف، قراءة واقعية وناضجة في فهم المعاني وغير متأثرة بهويته الدينية (الموحدين الدروز). نظرةً إلى الإشتراكية متحررة من القيد المناطقي، علماً أن قصر المختارة

يقرب بضع مئات من الأمتار عن منزله الذي دأب على الممارسة الجنبلاطية التقليدية منذ أيام الشيخ بشير جنبلاط.

رأى الفطايري في «الحزب التقدمي الإشتراكي» تلبية لطموحات كان بأمس الحاجة إليها كسائر أبناء جيله خصوصاً بعد هزيمة 1967. فكان انتسابه إلى الحزب بتاريخ 4/ 3/ 1968، النتيجة الطبيعية لإعتمال كل العوامل السالفة الذكر في شخصه.

عبّر أنور عن أولى بدايات التزامه بالقضايا الوطنية والديمقراطية من خلال مصلحة الطلاب في الحزب. وفي وقت التنامي المتسارع لظاهرة المقاومة الفلسطينية، انشدّ الفطايري بشكل مواز للتعبير عن القضايا الوطنية الديمقراطية، المعنية بالشأن الطلابي على وجه التحديد. فكان حَرَمُ الجامعات ملعبه، وهوية التربية والتعليم هدفه.

يؤكد كل من عاصر أنور الفطايري وعرفه، كما تشير الكتابات إلى ذلك، تميز مواقفه بالصلابة والجرأة. بالإضافة إلى توفر صفاتٍ جعلته استثناءاً ضمن المجموعة. كان العنصر المؤثر على قراراتها ومحور الاستقطاب دون أن يسمح لعتمة دهاليزها أن تعمي بصيرته. وخلف كل هذه الصفات تكمن الحقيقة وراء صعوده السريع على سلم المناصب الحزبية واضطلاعه بالمهام القيادية، ثم بروز اسمه وتحوله رمزاً على الساحة الطلابية. فهو قد شغل منصب رئيس الإتحاد الوطني لطلاب الجامعة اللبنانية بين 1972 و1975، وبذلك اضطلع بزواريب الخارطة الطلابية وبالتعقيدات التي تحكم مختلف جوانبها.

انصراف إلى الحلقات الحزبية الضيقة حيث صناعة القرار زاوجه بالقيادة الجماهيرية ميدانياً. تناقض كبير بين منطقين مختلفين في العمل السياسي، قدر هذا الشاب على الجمع بينهما حتى تاريخ استشهاده في التاسع من شباط من العام 1989.

زخرت حياة أنور الفطايري بعقودها الأربعة بالعمل الحزبي المثابر، خصوصاً أن نشاطه طال أكثر من ميدان. فمن مسيرة لا تنتهي عند حدود معارفه الكثيرة التي تعدت كونها علاقات سياسية لتصبح صداقات شخصية عبرت حصون الطوائف، إلى نتاجه الأدبي وسبره لأغوار الثقافة. نستخلص بعد الإحاطة بكل هذه العناصر أن أنور الفطايري صحّ فيه «المثقف السياسي»، فهو الحزبي الممارس للسياسة والثقافة في إطار من العمل اليومي.

- اغتياله:

في 09/ 02/ 1989 اغتال مسلحون أنور الفطايري العضو في الحزب التقدمي الإشتراكي في الشوف.

المفتي الشيخ حسن خالد

(1921 - 1989)

هو الشيخ حسن بن سعد الدين خالد، ولد في بيروت سنة 1921، بدأ علومه الأولى في مدرسة عمر الفاروق التابعة لجمعية المقاصد الخيرية الإسلامية في بيروت. بعد حصوله على شهادة الدروس الإبتدائية التحق بالكلية الشرعية في بيروت، أزهر لبنان حالياً، وبقي فيها إلى أن تخرّج منها سنة 1940.

بعد تخرجه من الكلية المذكورة كلفته المديرية العامة للأوقاف الإسلامية بوظيفة خطيب في بعض مساجد بيروت، ثم أرسله مفتي الجمهورية اللبنانية محمد علايا مع بعض زملائه إلى الجامع الأزهر في مصر لمتابعة تخصصه العالي في العلوم الدينية، فالتحق بكلية أصول الدين التي بقي فيها إلى أن تخرج منها حاملاً شهادتها النهائية في سنة 1946. على أثر عودته إلى بيروت عُيِّن كاتباً في المحكمة الشرعية في بيروت ثم ترقّى إلى درجة رئيس قلم.

عندما أجرت الحكومة امتحانات لاختيار قضاة لبعض المحاكم الشرعية، اشترك في الامتحانات ونجح، فعينته الحكومة قاضياً في محكمة عكار الشرعية ومنها إلى محكمة شحيم. وفي أثناء عمله في

المحاكم الشرعية كان يمارس التدريس في أزهر لبنان وإلقاء خطبة الجمعة في بعض مساجد بيروت، كما كان يعمل قبل التحاقه بالمحاكم المذكورة.

وعندما استعفى الشيخ محمد علايا من منصب الإفتاء بسبب الشيخوخة بادر الشيخ حسن خالد إلى ترشيح نفسه لملء هذا المنصب كما فعل مثل ذلك الشيخ عبد الله العريس، إلا أن أهل الحل والعقد من المسلمين أقنعوا هذا الأخير بأن المصلحة تقضي بعدم المنافسة بين المرشحين لمنصب الإفتاء لكي ينعقد الإجماع على انتخاب مفتي البلد إبقاءً على مظاهر التضامن والإتحاد بين المسلمين في الظروف التي يعيشونها في لبنان، فانسحب الشيخ عبد الله العريس وأصبح الشيخ حسن خالد المرشح الوحيد لمنصب الإفتاء وتمّ انتخابه بالإجماع من قبل الهيئة الناخبة، وأصدرت الحكومة اللبنانية مرسوماً باعتماد هذا الانتخاب، وقّعه شارل حلو رئيس الجمهورية وعبد الله اليافي رئيس الوزراء وفقاً للقوانين المرعية الإجراء.

كان الشيخ حسن خالد يتمتع بثقافة دينية كبيرة أهّلته لها دراساته الأزهرية ومن خلال هذه الأهلية قام بتأليف عدد من الكتب في الموضوعات المتصلة بثقافته المذكورة، منها كتابان أحدهما في المواريث والآخر في موضوع الأحوال الشخصية عند المسلمين، شاركه في تأليف هذين الكتابين المحامي عدنان نجا. وللشيخ حسن خالد كتب أخرى تتضمن الآراء والمواقف التي رآها صالحة لمعالجة المشكلات المطروحة على الساحة الإسلامية والوطنية سواءً في

داخل لبنان أو في خارجه، وله كتاب يتضمن البيانات والتصريحات الصادرة عن دار الفتوى خلال الحرب الأهلية في لبنان. كما له كتاب باسم «الشهيد» صدر عن دار العلم للملايين.

كان للشيخ حسن خالد علاقات وثيقة بالمنظمات الإسلامية العالمية، وعُيِّن عضواً مؤسّساً في عدد منها، مثل «رابطة العالم الإسلامي»، و«المجلس الأعلى العالمي للمساجد» ومقرّهما الدائم مكة المكرمة.

وخلال السنوات التي مرت على المفتي حسن خالد في منصبه منذ انتخابه حتى استشهاده قام بزيارة العديد من البلدان في القارات الثلاث: آسيا وأفريقيا وأميركا، بعض هذه البلدان زارها تلبية لدعوة رسمية من حكومتها وبعضها الآخر كانت زيارته لها بتكليف من رابطة العالم الإسلامي في إطار النشاطات التي تقوم بها هذه المنظمة من أجل التعرف على أحوال المسلمين في العالم والعمل على إيقاظ وعيهم الديني وشدهم بعضهم إلى بعض في عروة وثقى من التآزر والتعاون لمواجهة التحديات التي يتعرضون لها من قبل الدول الطامعة في أرضهم أو الضالعة في تدمير عقائدهم الدينية وكياناتهم الإجتماعية والقومية.

استشهد الشيخ حسن خالد يوم الثلاثاء في 16 أيار/مايو سنة 1989م عندما انفجرت بقرب سيارته التي كانت تمر في تلك المنطقة سيارة ملغومة بمواد ناسفة. وقد تمّ دفنه بمقبرة الأوزاعي في اليوم التالي لوفاته.

على أثر اغتيال الشيخ حسن خالد اجتمع المجلس الشرعي

الإسلامي الأعلى بكامل أعضائه وأصدر القرار رقم 1 تاريخ 18 أيار/مايو عام 1989م باعتبار أمين الفتوى في الجمهورية اللبنانية الدكتور الشيخ محمد رشيد رضا القباني إبن الشيخ راغب القباني رحمه الله،أن يقوم حكماً مقام المفتي الراحل إلى حين انتخاب مفتٍ جديد. ومن ثم تمّ تعيين الشيخ محمد رشيد رضا القباني مفتياً أصيلاً.

ـ أسرار اغتياله(*):

أسرار بالغة الخطورة ووقائع تنشر لأول مرة يكشفها في هذا الحوار سعد الدين حسن خالد، أخطرها وأهمها التهديدات السورية التي كانت وجهت للمفتي الشهيد حسن خالد قبل جريمة اغتياله النكراء عام 1989.

حوار «الشراع» مع نجل المفتي الشهيد تناول وبالتفصيل مواقف لوالده الراحل أزعجت السوريين ودفعتهم إلى إرسال رسائل تهديد وتحذير له، عبر الهاتف وعبر موفدين وعبر قصف منزله في الرملة البيضاء أو مكتبه في دار الفتوى، إلى درجة دفعته إلى الطلب من شخصيات عدة ومنهم السفير الكويتي بإبلاغ من يريد قتله: «ليقتلوني إذا أرادوا ولكن لماذا قصف الأبرياء والآمنين»؟

نجل المفتي الشهيد كشف كيف أن والده تصدى لنائب الرئيس السوري عبد الحليم خدام في طرابلس عندما كان يؤنب زعماء المسلمين لأنهم اختاروا الرئيس سليم الحص خلفاً للرئيس الشهيد

(*) نقلاً عن مجلة «الشراع» اللبنانية، حوار حسن صبرا.

رشيد كرامي من دون العودة إليه، مشيراً إلى أن حالة من الانقطاع بين المفتي الشهيد وسوريا أعقبت هذه الواقعة، خصوصاً وأن الشيخ الراحل حسن خالد كان يحتج على تخوين الناس وقيام ضباط المخابرات بتوزيع الشهادات بالعروبة التي كان يرى أنها لا تنحصر بسوريا فقط بل تشمل كل العرب.

سعد الدين خالد يعرض في هذا الحوار شريطاً من المواقف الهامة للمفتي الشهيد الذي كان همه الأول وحدة اللبنانيين ووقف الحرب، فحرص على إبقاء تواصله مع كل القيادات المسيحية خلال الحرب، معتبراً أنه مستهدف بالاغتيال هو والبطريرك الماروني مار نصر الله بطرس صفير.

وهذا نص الحوار مع نجل المفتي الشهيد، نعرضه كما يلي:

*** اليوم الذكرى الثالثة عشرة لاستشهاد المفتي الشهيد حسن خالد، هل كان المفتي الشهيد في حالة حذر من عملية اغتيال تطاله، وهل من تهديدات تلقاها؟ ممن؟ وماذا كان يقول عنها؟**

حتى نتكلم عن هذا الموضوع، يجب أن نعرف شخصية المفتي الشهيد حسن خالد وما هي الأمور التي حكمت هذه الشخصية، لقد حكمت شخصيته ثلاثة أمور: الأمر الأول إيمانه المطلق بالله سبحانه وتعالى، وبالقضاء والقدر. ثانياً، تربيته الإسلامية والعربية المحافظة جداً. ثالثاً دراسته لعلم المنطق والتوحيد التي تركت أثراً على مناحي تفكيره وطريقة عمله وأسلوبه بالاستماع وقدرته على الحوار. فهذه الأمور حكمت شخصيته في كل عملٍ كان يقوم به خلال توليه منصب الإفتاء، وخلال عمله منذ تولي مناصب عدة في القضاء

وغيره. من هنا نستطيع القول، إن المفتي خالد رحمه الله كان على علم بأن هناك محاولات كثيرة لاغتياله.

كان الشيخ الشهيد يعيش التهديدات بالقتل من خلال مراسلات ومن خلال اتصالات عبر الهاتف، كتهديدات مبطنة، ومن خلال أشخاص كانوا يوفدون إليه، وكان يستمع إليهم، بكل هدوء وإصغاء وإيماناً منه بالله تعالى، أنه لن يغير موقفه مهما كلف الثمن، لأن هذا الموقف ليس موقف حسن خالد، وإنما هو موقف يشعر من خلاله مع اللبنانيين، مع ديمومة لبنان ومع الحفاظ على الحق والعدالة والمساواة والمحافظة على البلد والمفاهيم التي تكلمنا عنها.

*** ممن كانت تأتيه هذه التهديدات؟**

كانت تأتيه بواسطة أشخاص من بعض أجهزة المخابرات السورية واللبنانية. منها «رأفة بك يا شيخ حسن غيّر وبدِّل من مواقفك». . «هذه الأمور عدّل وغيِّر فيها». وكان رده الدائم «إن هذا الموقف ليس ملكاً لي وإنما هو ملك لله تعالى وأنا مسؤول في هذا المنصب، ولا أستطيع أن أغير شيئاً من قول كلمة الحق، إذا أخطأت فأنا مستعد للرجوع عن الخطأ إنما فيما يخص الحق والعدل، فهذا لا يخصني وإنما يخص الناس، ويخص بالنهاية موقفي وموقعي كمسؤول عن الناس».

*** أجهزة الاستخبارات السورية، كانت يومها برئاسة اللواء غازي كنعان. . هل كانت تأتيه تهديدات بواسطة اللواء كنعان؟**

لم تكن تهديدات. .

*** نصائح؟**

هذه النصائح كانت تدور حول «لماذا تأخذ هذا الموقف.. لماذا لا تتعلم من كذا.. وكذا..

*** ممن؟**

من كمال جنبلاط، مثلاً، وممن سبقوك بالعمل السياسي.. من هؤلاء المتشددين.. وكانوا يقولون له، تستطيع أن تصل إلى ما تريد من خلال كونك رحوماً، أن تخفف من وطأة هذا العمل.

*** من كان ينقل له هذه الرسائل؟ هل كانوا لبنانيين؟**

الكثير منهم كان من اللبنانيين، والبعض كان حريصاً ومحباً، ويوصل له الكلام الذي سمعه.

*** مثل من؟**

الكثير من الشخصيات اللبنانية في المخابرات، وبعضهم أشخاص عاديون، كانوا على علاقة مع الأجهزة السورية.

*** هل كانوا ينقلون كلاماً مباشراً من اللواء كنعان بان يكون حذراً؟**

كانوا ينقلون كلاماً مباشراً من اللواء كنعان، وكلاماً عبر القنوات السورية من الرئيس حافظ الأسد، ومن الوزير السوري عبد الحليم خدام.

*** رسائل من الرئيس الأسد ومن نائبه؟**

نعم.

*** واعتبرت نوعاً من التهديد؟**

وفي بعض اللقاءات التي حصلت بينه وبينهم، كان يسمع بعض العبارات التي توجهه في أن لا يتحرك باتجاه ما، قبل أن تكون مدروسة معهم.

*** هل تواصلت اللقاءات التي كانت تتم بينه وبين المسؤولين وخاصة الرئيس الأسد؟**

عقدت عدة لقاءات بين المفتي الشهيد حسن خالد والرئيس حافظ الأسد، وآخرها وبعد انقطاع طويل، هيئ له ودام لساعات عديدة. دار الحديث حول مواضيع مختلفة ليس لها علاقة بالقضية اللبنانية لا من قريب ولا من بعيد وكان الشيخ حسن خالد يومها متضايقاً جداً لأن زيارته حسبما خطط كانت مخصصة للتكلم والتباحث في المواضيع التي تهم اللبنانيين والسوريين، وبعض الأمور التي كانت تحدث على الساحة اللبنانية. إنما كان الموضوع في ذلك الوقت غائباً تماماً عن هذا اللقاء، وعند الوداع وعلى الباب أمسك الرئيس حافظ الأسد بيدي الشيخ حسن خالد قائلاً له: «بيسوى يا سماحة المفتي قبل ما تعمل أي خطوة تخبرنا». .

*** وكأنه تحذير بألا يفعل شيئاً بمفرده؟**

نعم. . يومها كان الشيخ حسن خالد في أسوأ أيامه، كان يتوقع أن يلقى صدراً واسعاً، لأن الشيخ حسن خالد، لم ينطلق بعلاقته بسوريا من منطلق مصلحة شخصية وإنما انطلق إيماناً من عروبته وإسلامه، وبانفتاحه على هذا البلد الشقيق.

*** لماذا تحدثت عن أن هناك انقطاعاً بينه وبين سوريا، ولماذا حصل هذا الانقطاع؟ وكيف رتب هذا اللقاء؟**

الكل كان يعلم بالتجاوزات الكثيرة التي كانت تحصل في الشارع اللبناني، ضد المواطنين في الإطار السياسي.

*** أنت تتحدث عن الفترة ما بين عامي 1985 و1989؟**

حتى ما قبل ذلك، كانت العلاقة التي تربط الشيخ حسن خالد بالدولة السورية علاقة تحكمها مصلحة الشعب اللبناني ومصلحة العرب في تلك المرحلة.

*** وكان يرى أن هناك تجاوزات سورية؟**

عندما كان يرى أن هناك تجاوزات، كان يؤمن بأن عليه أن يبلغ عن هذه التجاوزات ويحاول الحد منها لأن المصلحة العامة لنجاح مساعي سوريا لإعادة الوحدة اللبنانية وعودة المؤسسات، كما كنا نعتقد أن دور سوريا في لبنان، هو دور إسعافي لإنقاذ لبنان من الطائفية ومن المناطقية، فإذا كان هذا هو المسعى أو الغرض الرئيسي من الوجود السوري في لبنان فلماذا هذه التجاوزات ولماذا هذه الانتهاكات التي كانت ترتكب باسم السعي في هذا الإطار؟

*** وهذا قبل نظام الوصاية؟**

نتكلم عندما ناشدوا سوريا الدخول بين القوات المتحاربة على الأرض اللبنانية.

*** مع من كان يتكلم الشيخ حسن خالد، هل كان يخاطب**

اللواء غازي كنعان أم يلتقي مع ضباط سوريين في بيروت؟

كان حريصاً جداً أن يكون لقاءه مع الرئيس حافظ الأسد أو نائبه عبد الحليم خدام. الشيخ حسن خالد تركيبته لا تستطيع أن تتعامل مع أجهزة مخابرات، ولا تستطيع هذه الأجهزة أن تلزمه بكلمة أو بحركة، وهو مرجع للمسلمين لم يكن لديه مشكلة أن يقابلهم، ولكنه لم يكن يستطيع أن يساومهم أو يفاوضهم أو يتكلم معهم بأمور يعتقد هو بأنها من مسؤولية الراعي الأول. أنا أعتقد بأن الكثير مما جرى في لبنان في ذلك الوقت كان يصل إلى الرئيس حافظ الأسد، وبأغلبيته كان يصل مشوهاً، كانت تركب الأمور. الشيخ حسن خالد عانى كثيراً من تركيب الأمور كما نعاني منها اليوم، توصيف الناس، وضعهم في خانة الخيانة، كان هذا يضايق الشيخ حسن كثيراً. وأكثر ما كان يضايقه أنه لا يستطيع أن يتحمل أن يتوسل إلى شهادة بأنه عربي المنبت من ضابط مخابرات أو أي شخص آخر. لأن تربيته الإسلامية وتربيته العربية ومعاصرته لعبد الناصر وكل الثورات العربية في مواجهة الاستعمار ومواجهة ما كان يسمى في ذلك الوقت الرأسمالية وغيرها، كانت حياته اليومية ومأكله ومشربه، كل ساعة.. وعندما وصل إلى منصب الإفتاء، لم يصل إلى هذا المنصب كونه طالب مناصب، بل أُجبر على أخذ المنصب، لأنه كان حلاً وسطاً بين كل المتنافرين على الساحة اللبنانية، ويومها رأى الرئيس جمال عبد الناصر فيه ذلك الرجل الذي لم يتوسل إلى ذلك المنصب، فأرسل له سؤالاً لماذا لم تتقدم بترشيح نفسك لمنصب مفتي الجمهورية. فقال له إنها مسؤولية أُعفي نفسي منها لأنها تحملني طاقة يمكن ألا أطيقها.

*** هذا يعني أن جمال عبد الناصر استقبل الشيخ حسن خالد قبل أن يصبح مفتياً؟**

نعم، والكثير من القيادات في بيروت رأت في الشيخ حسن خالد ذلك الإنسان البيروتي المميز، الذي له بصماته في الشارع البيروتي والشارع الإسلامي، والشارع اللبناني، عبر المنطق، وعبر الجمع، وعبر وحدة الكلمة، فرأوا فيه هذا الرجل الذي يمكن أن يوحد الصف الإسلامي الذي يساهم في وحدة الصف الوطني، وفعلاً نجح.

*** عودة إلى حواره مع السوريين.. اللقاء الأخير، قال له الرئيس الأسد أنه «بيسوى قبل أن تعمل شيئاً أن تراجعنا» كأنه ضابط مخابرات يوصي أحد أتباعه، ألا يفعل شيئاً إلا بأمره. قبل هذا اللقاء حصل انقطاع، لماذا هذا الانقطاع بين المفتي الشهيد والرئيس حافظ الأسد؟ هل طلب مواعيد ولم تحدد له مع الرئيس الأسد أو مع نائبه؟**

حقيقة، إن هذا الانقطاع بدأ منذ اغتيال الرئيس رشيد كرامي عام 1987.

*** ماذا حصل، يبدو وكأن هناك صداماً حصل مع عبد الحليم خدام؟**

في حزيران/يونيو عام 1987 اغتيل الرئيس رشيد كرامي في أيام عصيبة. كان لبنان يتوقع نوعاً من حالة انتقالية إلى الأفضل.

*** كان هناك حوار بين كميل شمعون ورشيد كرامي وقيل أن هناك إتفاقاً بين الاثنين؟**

الساحة كانت مؤهلة لحلٍ ما، لأن اللبنانيين يومها كما يقول المثل العامي: «يتمسكون بحبال الهواء».

*** وكان هناك ثوابت إسلامية أعلنها المفتي الشهيد وبالإتفاق مع الإمام محمد مهدي شمس الدين.**

نعم، في العام 1982 أعلن الشهيد الثوابت الإسلامية العشر، بعد انتخاب الرئيس أمين الجميل، وكان هناك تجاوب من الرئيس أمين الجميل، بعد انقطاع طويل معه أصبح هناك فرصة للحوار وللحل في جو لبناني بمساعدة سورية، هذا الجو المطمئن دعا الشيخ حسن خالد إلى الخروج من لبنان والقيام بجولة عربية لتأمين الدعم لهذا الحل.

*** من زار؟**

زار بعض الملوك والرؤساء العرب، لوضعهم في هذا الجو الإيجابي طالباً منهم أن يساهموا بكل إمكاناتهم لدفع هذا الحوار، حيث زار السعودية ومصر والكويت والإمارات العربية المتحدة.

*** هل زار الأردن أو العراق؟**

لم يزر العراق نظراً للخلاف السوري ـ العراقي، وهذا قسم من المشكلة العربية، وتجنباً للحساسيات.

اغتيل رشيد كرامي، وكان المفتي خارج لبنان، قطع زيارته للسعودية وعاد إلى لبنان، وعند وصوله إلى المطار، كانوا يعلمون

أنه يريد الذهاب إلى طرابلس للمشاركة في التشييع فطلب منه أحد الأجهزة اللبنانية نقلاً عن الأجهزة السورية عدم الذهاب إلى طرابلس، وبعد إصراره كانت النصيحة الثانية، أنه يتم تأمين طائرة مروحية لنقله إلى الشمال، فأصر على الذهاب بالسيارة، ليقول لكل اللبنانيين بأن الأراضي اللبنانية هي أراض لكل اللبنانيين، وأن كل اللبنانيين المتقاتلين هم أبنائي وهم إخواني وأنا على استعداد لمواجهتهم ولأثبت للعالم أجمع بأن اللبنانيين هم في صف واحد إنما بحاجة إلى من يدفع هذه المسيرة إلى الوحدة.

*** كلامه جاء من وحي ما يعتقده إتفاقاً بين الراحلين رشيد كرامي وكميل شمعون؟**

أعتقد أن هذا هو أولاً إيمانه لأنه لم يقطع مع كل القيادات المسيحية العقلانية منذ الحرب اللبنانية وحتى لحظة استشهاده. دائماً كان على تواصل تام. كان يقول بأن الحرب عليّ وعلى البطريرك صفير، وكان يقول لنا أن هناك محاولات لاغتياله ولاغتيال البطريرك صفير. ولماذا تقصف بكركي ودار الفتوى في اليوم نفسه. أنا أفهم أن تقصف بكركي، ولكن من يقصفها ويقصف دار الفتوى، هذا يعني بأن المصدر واحد. فغادر إلى طرابلس بسيارته، وفوجئ على الطريق بعكس ما صوروا له، في كل منطقة كان يمر بها، كانت الميليشيات المتحاربة تقف وتؤدي له التحية وتنزله بالقوة من سيارته وتكرمه أشد التكريم. وهذا أثار نقمة الأجهزة الأمنية. لأن الشيخ المفتي حسن خالد فتح موضوعاً كان مطوياً وهو موضوع الحوار. وكان سلعة ليتاجروا بها ولتأجيج الحرب. وصل الشيخ حسن خالد

إلى طرابلس ودخل منزل الشهيد رشيد كرامي، فوجئ بنائب الرئيس السوري عبد الحليم خدام واقفاً أمام زعماء المسلمين في لبنان «اللقاء الإسلامي» وهم قابعون في أماكنهم ورؤوسهم في الأرض وهو يحاضر بهم ويهددهم ويؤنبهم، ويقول لهم كيف تتجرأون على اختيار الرئيس سليم الحص رئيساً للحكومة من دون الرجوع إليّ، وهنا جن جنون المفتي حسن خالد لأنه رأى في هذا المنظر الرهيب نهاية ليس للبنان بل نهاية للمبادئ والأخلاق والدين والعروبة ولكل مفهوم تربينا عليه، فوقف وبأعلى صوته حذر خدام ومن أرسله بأن هذا الكلام لن يقبل به أبداً، وأن هذا الموضوع هو موضوع داخلي، يخص المسلمين واللبنانيين، وبأنهم سيختارون من يشاؤون لرئاسة الحكومة، وأن هذا الكلام ليس موضعه اليوم، ولأن بين يدينا شهيد كبير، يجب أن نعلم لماذا قُتل. ليس المهم أن نعرف من قتله، بل يجب أن نعرف لماذا قتل الشيخ حسن خالد. لم يكن يهاب من ذكر كلمة الحق.

*** ماذا رد خدام؟**

في هذه الواقعة سأل خدام المفتي خالد.. بتهكم هل مررت على منطقة حالات يا شيخ حسن؟ هل عبرت سيارتك على دماء الشهيد رشيد كرامي؟ كان يريد أن يؤنب والدي كيف مر براً وفتح باباً لم يكن يراد فتحه.

*** هذا الانقطاع حصل في العام 1987 بعد اغتيال الشهيد رشيد كرامي.**

عندها دخلت العلاقة بين الشيخ حسن خالد وسوريا وكل

أجهزتها، المظهر الصحيح. أظهرت سوريا موقفها الحقيقي من الشيخ حسن خالد وإن الشيخ حسن خالد رجل حوار، رجل عيش مشترك، رجل عربي ولكن عروبته هي سوريا ومصر والسعودية أي أنها شاملة، وهذا غير مقبول، لأن مفهوم العروبة عندهم أن تمر من سوريا، وأن تقف في سوريا، كان الشيخ حسن خالد رجلاً لا يستطيع أن يضبط عروبته في مساحة ضيقة وهذا هو بعده الذي تربى عليه، البعد الذي يتكلمون عنه البعد الجغرافي والبعد التاريخي، البعد العربي، وكانت هذه مهمته في الحياة، كما كان يعتقد، وكان يعتقد أن ما فرقه الأجنبي في الحدود، كان يستطيع أن يثبته بالتواصل والتعايش والمشاركة والحوار.

*** فماذا حصل من مظاهر العداء السوري للشيخ حسن خالد، ما الذي ظهر منها؟**

يومها، ابتدأت التهديدات، وإحدى النصائح المؤكدة التي وصلت إليه قبل سنة أو سنتين من الاغتيال، إننا ننصحك بمغادرة لبنان وأن تسكن في فرنسا وأن تناضل من أجل قضيتك من هناك.

*** من الذي كان يحمل هذه النصائح؟**

المشتركون في الحوار معه، وكان أحياناً يأتيه اتصال وعندما يسأل عن هوية المتصل يرد: «إحم.. إحم.. فهْموه» بلهجة سورية أو لبنانية، وأحياناً يرد المتصل بالقول: «قولوا له يغيِّر. والله نحنا بنحبه» هذه رسائل. وهناك رسائل أخرى، أحياناً عندما يعود المفتي إلى منزله وقت الغداء، كان يتم قصف المنزل، في منطقة الرملة البيضاء، أحياناً كان يذهب إلى مكتبه فتقصف دار الفتوى، فأراد أن

يختبر هذا الأمر، فترك المنزل وذهب إلى دار الفتوى، فقصفت دار الفتوى، وترك دار الفتوى قبل موعد انتهاء عمله وتوجه إلى بيته، فقصف البيت. فعلم وقتها وتأكد أنه كان مقصوداً، وأعلن يومها «إذا أردتم قتلي، فاقتلوني، ولكن لماذا قتل الأبرياء؟».

*** هل أرسل إلى سوريا من يبلغهم أن هذا هو رأي الشيخ حسن خالد؟**

نعم.

*** من كان يرسل؟**

أرسل وراء قائد قوات الردع سامي الخطيب، واصطحبه إلى دار الفتوى، وأطلعه على القذائف التي منها ما هو منفجر ومنها ما هو غير منفجر في ساحة الدار، وأطلعه على العبارات المكتوبة على القذائف، واثبت لسامي الخطيب أن هذه القذائف ليست مرسلة من المنطقة الشرقية لبيروت، وإنما هي قذائف سورية أو أدوات سورية.

*** ما هي واقعة الحديث الذي نقل على لسان السفير الكويتي أحمد الجاسم الذي قال فيه أن المفتي أخبرني، وقيل أنها أدت إلى اغتياله.**

في هذا الجو زار السفير الكويتي أحمد الجاسم سماحة المفتي في دار الفتوى، فأخبره بما يحصل وبما حصل خلال الأسابيع الماضية وبأن القصف هو قصف مركّز يطال دار الفتوى ويطاله شخصياً، وقال له إن تقرير نوعية القذائف ومصدرها موجود

ومعروف من أين انطلقت، فأرجو أن تخبروا من هو بصدد قتلي بأنني مستعد للموت، ولكن ألا يذهب معي ضحايا أبرياء.

*** كأنه يقول لهم، لا تقصفوا، بل اغتالوني وحدي.**

كأنه يقول إنه حاضر للموت إذا كانت مشيئة رب العالمين أن يموت.

*** ومع ذلك عندما استشهد، استشهد معه حوالي عشرة أشخاص وبينهم شقيق عماد الترك وإبراهيم الترك من أبناء المنطقة وآخرين. عندما تبلغ الشهيد حسن خالد أن يرحل من لبنان، ماذا كان رده؟**

كان رده قاسياً جداً. قال فيه، أولاً لن أغادر لبنان لأي سبب كان، لأنني إذا أردت أن أناضل كما تقولون فإذا كان نضالي من أجل الشعب، فيجب أن أكون بين الناس وأحس معهم في مشاكلهم وفي المصائب التي يعيشونها حتى أستطيع أن أعبر عنهم بكل حرية.

*** اغتيال الشهيد في 16 أيار/مايو 1989 خلال ما أطلق عليه «حرب التحرير» من عون ضد السوريين، أو الحرب التي سميت بـ «حرب عون»، هل كان هناك تواصل بين المفتي الشهيد وبين ميشال عون؟**

بعد تعيين الرئيس أمين الجميل للعماد ميشال عون لتشكيل حكومة، نشأ كما نعلم جميعاً وضع شاذ، وكان مؤسساً أو منذراً بتقسيم لبنان، وكان هذا العمل يضايق سماحة المفتي كثيراً لأن

نضاله الأساسي هو أولاً عدم تدويل القضية اللبنانية، ثانياً عدم القبول بتقسيم لبنان، هذا نضاله منذ بداية الحرب.

فعندما أُلِّفت هذه الحكومة، كان هو الإنسان العاقل الذي يتعاطى مع وضع ميشال عون وسليم الحص - أي الحكومتان اللتان تم تشكيلهما - بشكل يساعد على التخفيف من أي أزمة يمكن أن تحصل في بداية شرخ ما. أي أنه رجل حوار بين الاثنين.

*** هل اتصل بميشال عون؟**

هناك اتصالات بين الشهيد وبين ميشال عون. وكان هناك ترتيب ما لم يحصل بسبب اغتيال الشيخ الشهيد.

*** هل كانت هناك محاولات للقاء؟**

كانت هناك محاولات عديدة، كانت هناك اتصالات، كان هناك نوع من الارتياح لدى الشهيد حسن خالد على أن ميشال عون يمكن أن يكون هذا الرجل الوطني العسكري، الذي يمكن أن يلم الشمل ويكون رئيساً للجمهورية، لا مانع حيث أنه ابن مؤسسة عسكرية يمكن الحوار معه.

وعندما جاء عهد العماد ميشال عون، بدا له أن بيروت الكبرى ربما أصبحت وشيكة، التزم الاعتدال وأخذ يدعو إلى إنهاء الحرب، ونشر السلام خاصة في بيروت وإجراء الانتخابات الرئاسية. كان المفتي خالد يؤمن بالمؤسسات والقانون. كان حلمه أن يكون الإنسان اللبناني مرجعيته الدولة وليس الزعيم فكان هذا متقارباً جداً مع العماد عون، ولكن وللأسف فاجأته الحرب الدائرة

بين الجنرال والنظام السوري، وشعر بالارتباك والحيرة فلا يستطيع السير بركاب سوريا على حساب بيروت الكبرى، ولا هو يمكنه تأييد الجنرال عون تأييداً واضحاً وصريحاً مع اقتناعه الضمني بطروحاته وصدقيته.

*** هل كان يؤمن بدور المؤسسة العسكرية الوطنية اللبنانية في مواجهة الميليشيات؟**

كان أول من أنذر في بداية الحرب بالانتباه إلى المؤسسة العسكرية بأنها هي صمام الأمان الوحيد لعدم انهيار لبنان، ويومها طالب بمجلس عسكري من مختلف الطوائف حتى لا يصار إلى تقسيمه، ولكن في وقتها لم ينتبه أحد إلى هذه المشكلة.

*** كان هناك مشروع فلسطيني لتقسيم الجيش وهذا ما حصل. بالمناسبة هل حصل صدام بين المفتي الشهيد وبين المنظمات التي كانت تسيطر على لبنان؟**

لا شك بأن إيمان الشيخ حسن خالد بالقضية الفلسطينية هو الذي دفعه في البداية إلى نصرة ومساندة العمل الفدائي الفلسطيني، إنما عندما تجاوز العمل الفلسطيني حد التدخل في القضايا اللبنانية الداخلية، اصطدم الشهيد حسن خالد مرات عديدة مع الرئيس ياسر عرفات رحمه الله، شخصياً، وأنذره بأن ما يفعله هو خطر ليس على لبنان وإنما على القضية الفلسطينية بشكل عام.

*** هل هدده الفلسطينيون؟**

الفلسطينيون ضايقوا الشهيد حسن خالد كثيراً.

*** كيف؟**

في تحركاته وأعماله وبعض الأمور السياسية في لبنان وضايقوه عملياً، كانوا يظهرون له كل الود والاحترام، ولكن كانوا يرتبون له كل ما يضايقه في الخفاء.

*** كيف أمضى الأيام الأخيرة من حياته وهو يتنقل من مكان إلى آخر، تحت القصف، هل جمعكم وأوصاكم بشيء؟ هل نبهكم إلى أنه قد يغتال، وهل كتب وصية سياسية أو شخصية على هذه القاعدة؟**

رحمه الله، كان يعلم أن هناك محاولة لاغتياله ولكنه في الوقت نفسه كان يعلم أن الموت يحدده رب العالمين، وكان يعلم أيضاً بأن من سيحاول اغتياله سيكون شديداً لدرجة أنه سيؤكد هذا الاغتيال.

*** لن تكون محاولة.. بل اغتيال؟**

لن تكون محاولة، وعندما تنفذ العملية ستنفذ بطريقة كاملة لدرجة أن لا تترك أثراً.

*** تماماً كما فعلوا في عملية الشهيد الرئيس رفيق الحريري؟**

تماماً. كان هم الشيخ الشهيد حسن خالد ألا يذهب معه ضحايا، هذا كان همه الوحيد. لأنه كان يعتقد بما أن المحاولة يمكن أن تنجح أو لا تنجح، أن تؤذي المواطن البريء. فكاد أن يستجديهم بأن يطلقوا عليه النار بدل المحاولة التي قد تطال العشرات من الأبرياء.

*** الشهيد في هذه الحالة وهو مدرك وواثق أنه سيقتل ألم يبحث عن نقطة لقاء، لقطع الطريق على محاولة اغتياله، مع السوريين مثلاً، أو ألم يطلب حماية عربية من المملكة العربية السعودية وأصدقائه هناك، من مصر؟ من الكويت؟ ألم يحاول فتح حوار؟**

أعتقد بأنه وصل إلى نقطة لا نستطيع أن نقول أنه يئس، لا، لم ييأس من رحمة الله. كان متفائلاً بأنه سيكون هناك غد أفضل للبنان. إنما كان يعلم بأن أي عمل في هذا الاتجاه لا يجدي. ولا يفيد، بل على العكس سينشغل بأمور دنيوية ستبعده عن الواقع الذي يعيشه.

*** هل تعتقد أنه كان يخشى في تلك اللحظة أن يقدم تنازلات عن أفكاره ومبادئه؟**

أبداً.. لأنه كان يعلم كل العلم أنه إذا ما حاول الحوار كان الرد.. التنازل. وهو لم يكن ليتنازل قيد أنملة عن حق اللبنانيين في عيشهم السليم.

*** ألم يتصل به مثلاً اللواء غازي كنعان؟**

أبداً. كان هناك شبه انقطاع بالعلاقة.

*** هل كان عندما تحصل تجاوزات يتصل بالسوريين ولا يجيبونه هاتفياً مثلاً؟ أو يرسل أحداً ولا يستقبلونه؟**

كان دائماً حريصاً على علاقته مع كل المسؤولين، سوريين وغيرهم، ويحكم هذه العلاقة، كما ذكرنا، الواقع اللبناني ومصالح

اللبنانيين، لم يكن يتصل بالسوريين أو بغيرهم لمصلحة شخصية أو لمأرب خاص أو لوضع، لا سمح الله، خارج عن إطار مصلحة اللبنانيين جميعاً.

*** البلاد العربية كلها، تقريباً، حذرت الرئيس الشهيد رفيق الحريري قبل اغتياله، هل جرى تحذير المفتي الشهيد حسن خالد عربياً؟**

لا أعتقد. هناك معلومات وصلت إليه من جهات عربية، ولكن غير رسمية، بأن هناك محاولات لاغتياله.. وكانت الإشارات والدلائل مادية، لم يهم الاتصال ولا الرسائل ولا التحذير، كان المفروض على الشيخ حسن خالد أن يقطع اتصاله بأمين الجميل، وبالبطريرك صفير، ويقطع اتصاله بميشال عون وبالعيش المشترك.. كان الشيخ حسن خالد يتعلق بحبال الهواء، من هو الإنسان الذي يستطيع أن يساهم معي في وحدة الصف الوطني، كان الشيخ حسن خالد لا يتردد في الاتصال به وفي الجلوس معه لينشئ حواراً ما أو حالة ما. كانوا يريدون من الشيخ حسن خالد أن يقبع في منزله وأن يثبت أول أيام رمضان، وعيد الفطر وعيد الأضحى. وإذا قيل له أجِّل العيد ليومين كان المفروض عليه أن يسمع الكلام ويؤجله. وهذه ليست من شيمه وليست من تربيته. لذلك كان مؤهلاً ومستعداً للموت لأنه لن يتنازل عن هذا الإيمان. لأن هذه مسؤولية دينية. وأنا قلت لكم إن وصوله إلى منصب الإفتاء في ذلك الوقت لم يحمل الفرحة له، كانت عبئاً عليه. كان يتأفف من بعض التصرفات التي كنا نعتبرها عابرة وكان هو يعتبرها مصيبة.

*** لنتكلم عن المفتي بين أسرته، هل جلس إليكم المفتي حسن خالد في تلك الفترة الحرجة التي كانت تصله فيها تهديدات هاتفية أو رسائل مباشرة، وقال لكم استودعكم لأنني معرض للاغتيال، هل قال لكم من الذي يهدده، هل ذكر أن سوريا التي ستغتاله؟**

قلنا الإيمان يحتم على الإنسان أن يقدر ما سيحصل. فكان يقدر أن هناك محاولات وأن إحداها ستكون نهائية، لأنه كان يزعج الكثيرين ممن لم يرغبوا بالصيغة التي ينادي بها. في أيامه الأخيرة كنا نشعر بأنه في صفاء تام مع نفسه ومع ربه ومعنا، كان يقوم بكثير من الأمور في البيت لإرضاء والدتي، لأول مرة كان يعمل أشياء غريبة، كأن يغسل الصحون مثلاً، هو هذا الرجل الذي لا يجد عيباً في أن يكون إنساناً عادياً.. ولكنه في ذلك الوقت أشغاله لم تكن تعينه على أن يقوم بمثل هذه الأعمال، ولكنه كان حريصاً في آخر ثلاثة أيام من حياته، وهذه لا أحد يعلمها، على أن يقوم بغسل الصحون لإرضاء والدتي، لتقول له «أطال الله بعمرك»، كان ينظف السجاد مثلاً، استغربنا جميعاً، ما هذا الذي يفعله، كان يتمشى بيننا ويذكرنا أنه ربّانا على الصدق وعلينا أن نحافظ على الصدق ويقول ربيتكم على الإخلاص فحافظوا على الإخلاص. ربيتكم على الإيمان فكونوا مؤمنين، كان يذكّرنا بالصلاة وبمسيرته، ويسألنا هل أخطأت معكم في مكان ما؟ إذا أخطأت سامحوني.

*** دمعت عيناك يا أبا حسن..**

الحمد لله.. وكان يوصينا دائماً أدوا زكاة مالكم لأن هذا المال لن يساعدكم إلا إذا نظفتموه، لدينا منزل في منطقة عرمون، وكان

حريصاً على أن يجمع العائلة يوم الأحد، وقبل اغتياله بيومين، جمع العائلة كلها، شقيقاتي وبعولهن، خالاتي وعماتي، جمعهم في عرمون وقام بصنع حلوى (الكنافة) بيديه ووقف معهم يتحدث في أمور الحياة ودور الإنسان في هذه الحياة، كيف يموت الإنسان ويكون راضياً.

*** خطبة وداع!**

وكأنها خطبة وداع، ردد كثيراً كيف يموت الإنسان ويكون راضياً، واستشهد بالقرآن الكريم والحديث النبوي الشريف، وقف ناظراً إلى بيروت وتأملها وقال هذه المدينة حافظوا عليها بمبادئها لا تغيروا فيها ولا تقاليدها، وهذا كان يوم الأحد.

ويوم الاغتيال ترك مفاتيحه في خزانة والدتي وفيما بعد اكتشفتها.

*** عادة كان يأخذها معه؟**

مفاتيح منزله، وكان يضعها في جيبه، يوم الاغتيال ترك المفاتيح في البيت.

*** عامداً؟**

أكيد وإلا لماذا يتركها في المنزل، بعد الاغتيال فتحت والدتي خزانتها فوجدت المفاتيح في مكانها، وعكس الكثير من الأقوال فإن الشيخ حسن خالد لم يحترق في سيارته وجثته لم يطلها أي أذى، إلا تلك الشظية التي اخترقت رأسه وكانت قاتلة، وأخرجناه من السيارة وما زلت احتفظ بساعته وجواز سفره.

*** لماذا كان جواز سفره في جيبه؟**

كان يستعد للذهاب إلى المملكة العربية السعودية، لتوكيد ما طلبه من العاهل المغربي لإقامة قمة عربية من أجل لبنان. وبالمناسبة لقد اغتيل المفتي خالد قبل عشرة أيام من انعقاد القمة العربية التي انعقدت في الدار البيضاء وكان رئيس المؤتمر والداعي إليه العاهل المغربي الحسن الثاني من أكثر المؤتمرين حزناً على الشهيد الكبير إذ قيل لنا أنه صُعق عندما بلغه اغتيال المفتي الرجل السمح الذي كان أحد أبرز رموز الاعتدال في لبنان، والداعية القوي لإعادة اللحمة إلى شعبه وأرضه. كما حزن الملوك والرؤساء العرب، إن معظمهم إذا لم نقل كلهم، عرفوا الراحل الكبير، والتقوا به مرات عديدة، وعرفوا فيه الاعتدال وبعد النظر في الأمور الوطنية وساعياً قوياً إلى إعادة السلام والوحدة في لبنان.

وهذا ما كان يحكم علاقته بالجميع، المبادئ التي ترسي دعائم لبنان وتقوّيه وهذه مهمته في الحياة لأنه لم يكن يطلب شيئاً لنفسه، وفي هذا الإطار كان يحاول دائماً المحافظة على علاقات جيدة مع الجميع إلا أن علاقته بسوريا وبقياداتها دخلت في تجارب كثيرة ومتنوعة.

*** هذه القمة التي حصلت وأدت إلى اللجنة الثلاثية ثم إتفاق الطائف؟**

نعم، ووصلت الرسالة بعد اغتياله بيوم واحد، ووافق ملك المغرب على استقبال قمة عربية لهذا الغرض، ويومها وقف الملك الحسن الثاني، كما أذكر، وقال لقد خسرنا رجل الحوار ورجل

محبة وداعي سلام وإيمان في أحلك الظروف التي يعيشها لبنان وتعيشها الأمة العربية لذلك ندعو اللبنانيين أن يحذوا حذوه وأن يمشوا على مسيرته وأن يمشوا على خطاه لأن لبنان لن يستقيم إلا بهكذا رجال.

*** عند اغتياله هل خرجت تظاهرات تشييع وهل حمّل المتظاهرون مسؤولية علنية لسوريا عنه؟**

كان هناك غضب عارم ونحن نعلم أن اغتيال الشيخ حسن خالد في وقتها تم في ظل الوجود السوري، أي الوجود الأمني السوري، الذي كان في ذروة سيطرته على الأمور.

*** كانت هناك حرب علنية في بيروت بين عون وبين سوريا؟**

كان المفروض أن يحمل أحدهما المسؤولية.

*** لماذا لم يحمّل الشارع المسلم الذي كان يشيع المفتي الشهيد، ميشال عون مسؤولية الاغتيال؟**

لأن التاريخ الذي كان يحكم علاقة الشيخ حسن خالد بالسوريين كان واضحاً، الشارع كله كان يعلم بأن السوري لا يتوافق مع مواقف الشيخ حسن، فلما حدث الاغتيال كان من الطبيعي جداً أن توجه أصابع الاتهام إلى سوريا، وفعلاً يوم اغتيال الشيخ حسن خالد آلاف الأشخاص اعتقلوا، الذين مشوا وساروا في الجنازة، بعض الناس رفعوا أعلاماً لم توافق عليها سوريا مثل أعلام «المرابطون» والحركات السياسية التي كانت على الأرض إنما الكم الهائل من الناس الذي سار في الجنازة، ولكن يجب أن

نتذكر أن الشيخ حسن خالد كان ضد الميليشيات السنية قبل غيرها، لأنه كان يعلم أن هذا السلاح هو سم قاتل يقتل صاحبه قبل أن يقتل غيره.

*** لعل هذه إحدى نقاط اللقاء مع ميشال عون، الذي كان ضد الميليشيات؟**

لذلك كان يدعو إلى عودة المؤسسات وعودة الجيش وعودة الشرعية، كان هو المغرد الوحيد خارج سربه من الطيور الهائمة والهائجة في مصالحها الشخصية.. فاعتقل الكثير من الأشخاص الذين هتفوا بحماس وهددوا وتوعدوا واتهموا.

*** هل تعتقد أن أحداً منهم ما زال موجوداً في السجون السورية؟**

لا شك.. أعتقد أن هناك من هو معتقل في السجون السورية.

*** هل اتصل أحد من المسؤولين الأمنيين السوريين بكم بعد استشهاد المفتي حسن خالد؟**

لم يتصل أحد.

*** وبعد اغتيال الرئيس الشهيد رفيق الحريري جاء نائب الرئيس عبد الحليم خدام ليؤدي واجب العزاء.. ولم يأت أحد رسمياً..**

إلى دار الفتوى جاء الكثير من الشخصيات السورية مثل غازي كنعان وغيره، أما إلى منزلنا فلم يأت احد.

*** كيف فسرتم هذا الأمر، هل رفضتم استقبال أحد من**

المسؤولين السوريين كما رفضت أسرة الرئيس الحريري استقبال أحد من المسؤولين السوريين؟

في الوقت الذي اغتيل فيه الشيخ حسن خالد كانت بيروت لا تتحمل أي حركة أو أي ضغط، وكنا على دراية بأن لا نحمِّل بيروت أكثر، لأننا واجهنا يوم الجنازة اعتقال الكثيرين، وأي موقف خطأ كان يمكن أن يسبب لأهالينا وعائلاتنا الكثير من المآسي التي كنا نريد أن نتجنبها.

*** خسرتم الشهيد المفتي وسكتُّم؟**

سكتنا لأننا علمنا بأن أي مطالبة بأي شيء لن تجدي نفعاً وأنك كمن ينفخ في الهواء.

*** ولكن حصل بعد ذلك اتصالات بينك وبين مسؤولين سوريين، هل جربت أن تفتح حواراً حول هذا الموضوع معهم؟**

الذي جعل الموضوع السوري يظهر إلى السطح أنني دخلت الانتخابات عام 1992 وأخذت شعار «قدرك الشهادة وقدرنا متابعة المسيرة»، هذا الشعار أزعج الكثيرين.

*** اعتُبر استفزازاً للسوريين؟**

ووصلتني رسائل عديدة، ومنها كيف تعتقد أنك ستكون نائباً وأنت تستفز سوريا، فقلت لهم أنا صادق بهذا الشعار ولا أعني به شيئاً، لا شك بأن قدر الشيخ حسن خالد الشهادة، ولا شك بأنني سأتابع المسيرة مهما كلف الثمن، مع توصية كبيرة لوالدي بأن

لا أدخل عالم السياسة، لأنه كان ينزعج كثيراً من العمل السياسي حيث أنه وجد فيه الكثير من الممالأة والكذب والرياء، فكان يحذرني من هذا، ويقول لي إذا كنت قادراً على أن تعمل في السياسة من الباب المختلف تماماً، فأنا معك، ولكن ستتعب كثيراً، وهذه وصيته لي وأنا ما زلت محافظاً عليها، لذلك عندما دخلت المعترك السياسي عام 1992 وأُسقطت جرت اتصالات عديدة معي وأرسل لي بعض الذين يرسلون عادة، أنه لماذا لا تحسن علاقتك مع الإخوة السوريين، وكانوا ينفون عنهم تهمة اغتيال والدي، ويذكرون لي بأنني أثبت وجودي في بيروت وأنني من القيادات، فحسِّن العلاقة لأنهم يستطيعون أن يؤمِّنوا لي الانفتاح على الآخرين، وكان ردي دائماً أنه لا مانع من التواصل مع الناس ولكن ضمن إطار مفاهيمنا وتقاليدنا.. وفعلاً حصلت لقاءات عديدة مع نائب الرئيس السوري عبد الحليم خدام.

*** هل حاول أن ينفي أمامك مسألة اغتيال والدك الشهيد؟**

عدة مرات نفى قطعاً علاقة سوريا باغتيال الشهيد حسن خالد، وطمأنني.. ولكن كنت أشعر بأن هناك نوعاً من الامتعاض من كلمة بيروت، فعندما كنا نقول له «نحن البيارتة» كان يرد لا يوجد شيء اسمه بيروت.

*** لم يكن يحب البيارتة؟**

كان يعتقد أن كل إنسان يسكن بيروت هو بيروتي، فأجبته إن البيروتي لا أعني أنه الإنسان السني المتعصب، وإنما الذي يعتبر أن بيروت عاصمة له ويؤمن بقضية العيش المشترك والتواصل مع

الآخرين، هذا ما أعنيه، وليس المتعصب الذي يفكر بشكل خارج عن الإطار العقلاني، البيروتي هو الإنسان المثقف المتعلم المنفتح ولاحظت حساسيتهم بهذا الموضوع.

*** هل قابلت الرئيس بشار الأسد؟**

قابلت الرئيس بشار الأسد قبل استلامه منصب رئاسة الجمهورية.

*** ألم يتم التطرق إلى موضوع استشهاد الشيخ حسن خالد؟**

على العكس هو الذي بدأه، واعتبر أن الشهيد حسن خالد كان من الشخصيات اللبنانية العربية المميزة التي لم يخسرها لبنان وحسب وإنما خسرتها سوريا وخسرها لبنان في الوقت الذي كان بحاجة إلى هذا النوع من الشخصيات التي كانت تساعد، في هذا الوقت كان الوضع حساساً جداً وكان المطلوب إعادة الشخصيات التي خسرها لبنان واليوم مطلوبة أكثر.

*** هل جرت مقارنة يوماً ما في الحوار بينك وبين عبد الحليم خدام، بين اغتيال الشهيد كمال جنبلاط وكيف تعامل السوريون مع وليد جنبلاط وماذا قالوا له، وبين اغتيال الشيخ حسن خالد وماذا قال لك السوريون؟**

عبد الحليم خدام قال لي: أنه ليس لسوريا علاقة باغتيال الشهيد حسن خالد، لكن خدام كان منزعجاً من بعض التحركات التي يقوم بها وليد جنبلاط وكان يتهم فيها السوريين باغتيال والده الشهيد كمال جنبلاط وكان هذا يزعج خدام كثيراً حتى أنه في وقت

من الأوقات قال لي خدام، أنه أرسل لجنبلاط الذي كان يتهم السوريين باغتيال والده.. نعم قتلنا والدك وماذا تريد بعد، أسكت أحسن لك..

*** كأن خدام كان يقول لك بألا تمشي على طريق وليد جنبلاط؟**

ربما بطريقة غير مباشرة.. وحقيقة أنا لم أفتح هذا الموضوع معه بتاتاً.

*** بالإجمال كيف تصف علاقة المفتي الشهيد بالسوريين؟**

كانت علاقته بالرئيس حافظ الأسد ونائب الرئيس السوري خدام قبل الاجتياح الإسرائيلي للبنان جيدة جداً وكانت علاقة جميع القوى السياسية الأخرى معهم سيئة، فعند حصول الاجتياح تم القضاء على الفلسطينيين، وتم سحب سلاح المرابطون وتم تزويد حركة أمل والحزب الإشتراكي بالسلاح وابتدأوا بالهجوم على البيوت الآمنة في بيروت بدون أي منطق أو سبب ومن هنا ساءت العلاقة بين المفتي خالد من جهة وبين السوريين والميليشيات من جهة أخرى، كان المفتي خالد يدافع عن الحق، حق المواطن وكرامته، حق المخطوفين والإفراج عن المحتجزين، حق الطلب بفتح كل الملفات بلا تمييز والضرب بيد من حديد على يد كل غاصب وجانٍ، حق يرفع الظلم عن المواطنين الذين ما تزال بعض الممارسات الشاذة ترهق كواهلهم، فتهجر البعض وتكره البعض على بيع أملاكه، حق رفع المظاهر المسلحة غير الشرعية التي تمتهن كرامة المواطن والوطن وتتحدى القوانين والأعراف.

*** أنت كإبن الشهيد وكسياسي وإنسان لمن تحمّل مسؤولية اغتيال الشهيد حسن خالد؟**

الذين كانوا يريدون اللاعقل، اللامنطق، اللاحوار الذين كانوا يريدون وطناً ممزقاً ليس فيه مؤسسات ولا قوانين بل زعامات تتبع الغريزة وليس العقل، هم المسؤولون عن هذا الاغتيال، نحن باعتقادنا كعائلة بأن كل شخص هو بريء حتى يثبت العكس، لكن عند الاغتيال كان المسؤول المباشر عن أمن بيروت هو الحزب التقدمي الإشتراكي وحركة أمل والمخابرات السورية ونحملهم كامل المسؤولية بعدم تأمين الحماية له، وعند استشهاده لاحظنا بأن كثيراً من الشباب المناصرين له تم اعتقالهم بدون أي تهمة، أو سبب، وتم إرسال نصائح لنا بعدم الخوض في السياسة لأنهم كانوا يريدون أن ينسوا خطه، خط الحقيقة والمواجهة والمنطق والوحدة والاعتدال والمساواة والعدالة بين الناس، أليس هذا مستغرباً!

*** هل من كلمة توجهها إلى روح الوالد؟**

بعد 16 عاماً من الاغتيال نقول للمفتي خالد وينك اليوم؟ نفتقد فيك الحكمة، نفتقد فيك إنصاف المظلوم وإنعاش الفقير نفتقد فيك المؤسسات والقوانين وليست الغرائز والمزاجات اللاعقلانية، أيها الشهيد الكبير كنت الشاهد الكبير على الجرح النازف، وصاحب المواقف الوطنية اليقظة، واغتيالك زحف بنا إلى الهلاك والعار، كل العار أن يبقى الوطن رهينة أهل الشر والحقد وأن تبقى أعيننا معصوبة بالعمى عن الحقيقة، والبحث عن الذات، إن الذين اغتالوا شخصه لم يدركوا أن مثل هذا التراث الروحي والوطني هو حي في

نفوسنا ولن يستطيع أحد أن يغتاله أبداً، ونحن نشيد بهذا التراث، لا لنوفي فقيدنا العزيز بعض حقه علينا فحسب، بل لنذكِّر مواطنينا بأن وعيهم روح هذا التراث، والتزامهم بمبادئه يمكن أن يوجههم نحو بداية جديدة للبنان جديد.

أريد وضع حلقات العنف التي ابتدأت بإخفاء السيد موسى الصدر، إمام المحرومين وأحد رواد الحوار الإسلامي - المسيحي.

وتبعه كمال جنبلاط المتطلع إلى جمهورية لبنانية تقدمية إشتراكية، والمناضل لتحرير الشعب العربي وسائر شعوب العالم الثالث.

ولحق بهما بشير الجميل، بعدما التزم جمهورية لبنانية موحدة ودولة عصرية لا سيادة فيها إلا للشعب، ولا حكم إلا للقانون.

وأدركهم رشيد كرامي المتفاني في سبيل الجمهورية الديمقراطية الوطنية التي يتساوى فيها جميع المواطنين في الحقوق والواجبات وتوج باغتيال حسن خالد وهو يبشر بجمهورية لبنان الواحد التي تسودها القيم العلوية الإسلامية - المسيحية، قيم التراحب والتحاب، ويتكامل مواطنوها المسلمون والمسيحيون في ظل الحرية والعدل والمساواة التامة في الحقوق والواجبات.

فهل تكون المصادفة وحدها هي التي جعلت قادة لبنان ذوي المشاريع الإحيائية، هم الذين يستهدفهم الاغتيال؟ وهل يكون من المصادفة أن الذين يحيق بهم الخطر، أشد الخطر هم القادة الذين يلتزمون العقل، ويستنكرون العنف، ويعتمدون التحاور ويستهجنون التقاتل منهجاً لتسوية الأزمة اللبنانية؟

ـ المفتي الشهيد واللقاء الصحافي الأخير مع «الشراع»:

كانت «الشراع» آخر من التقى المفتي الشهيد الشيخ حسن خالد في دار الفتوى قبل انتقاله من مكتبه إلى منزله في الرملة البيضاء حيث تعرض في الشارع الرئيسي قبالة جامع عائشة بكار لجريمة اغتيال أدت إلى استشهاده.

في اللقاء الأخير وهو آخر حوار صحافي أُجري مع المفتي الشهيد ونشرته «الشراع» في العدد 374 بتاريخ 22 أيار/ مايو 1989، كان الشهيد بادي القلق على مصير لبنان، إلا أنه كان يعلق آماله على القمة العربية التي كانت على وشك الانعقاد لبحث سبل وقف الحرب في لبنان وإعادة الأمن والاستقرار والسلم إلى لبنان، ومتفائلاً في الوقت نفسه بإرادة اللبنانيين في المنطقتين لتجاوز الحالة الشاذة.

وبالفعل، انعقدت القمة العربية ولكن بعد استشهاد المفتي خالد وتقرر بناء لنتائجها تهيئة المناخات الدولية والعربية واللبنانية التي أمنت ولادة «وثيقة الوفاق الوطني» في مدينة الطائف السعودية بجهود اللجنة العربية الثلاثية العليا التي ضمت السعودية والمغرب والجزائر.

ناظم القادري

(1916 ـ 1989)

أقدمت مجموعة مسلحة في الساعة العاشرة والثلث من صباح الثاني والعشرين من تشرين الأول/أكتوبر عام 1989، على اغتيال نائب البقاع اللبناني ناظم القادري في منطقة فردان غربي بيروت.

وأوضحت مصادر الأمن اللبناني أن المسلحين أطلقوا النار على النائب القادري أمام منزله عندما كان يهم بالدخول إلى سيارته وقد قتل على الفور كما قتل مرافقيه. ونقل الجميع على الفور إلى مستشفى الجامعة الأميركية.

وقد فر المسلحون في سيارة من طراز «مرسيدس» إلى جهة غير معروفة وهم يطلقون الرصاص بصورة عشوائية. . . الأمر الذي تسبب في إصابة العديد من المارة.

وبعد ذلك قامت قوى الأمن الداخلي بتطويق المكان والتحقيق مع بعض الأشخاص الذين كانوا في مكان ووقت الحادث، بما في ذلك صاحب صالون للحلاقة كان النائب ناظم القادري قد خرج من عنده.

وكان القادري قد ذكر في تصريح صحافي على ضرورة التجاوب والتعاون وتأييد اللجنة العربية الثلاثية للخروج من مأزق الأزمة اللبنانية الدامية. وكان من أشد المؤيدين لطروحات العماد ميشال عون من أجل تحرير لبنان من الإحتلالات الأجنبية، وكان على اتصال وتنسيق دائمين مع القصر الجمهوري في بعبدا.

ـ ناظم القادري في سطور:

من مواليد قرية البيرة قضاء راشيا عام 1916. تلقى تعليمه الإبتدائي، والإعدادي، والثانوي، والجامعي في دمشق.

تخرج من جامعة دمشق عام 1936 مجازاً بالحقوق، وفي العام 1937 زاول المحاماة.

عمل في السياسة منذ أن كان طالباً، حيث كان منتسباً إلى تنظيم «عصبة العمل القومي» الذي ظهر للوجود عام 1932 في دمشق، إبان عهد الإنتداب الفرنسي، وقد كانت طموحاته مكرسة لتحرير الوطن الغالي من براثن الإحتلال الفرنسي، وبناء دولة ديمقراطية.

انتخب نائباً لأول مرة عام 1951. وأعيد انتخابه في عدة دورات نيابية عن البقاع الغربي. وعين أيضاً وزيراً للعمل، ووزيراً للداخلية بالوكالة في العام 1980.

ويأتي اغتيال النائب الشهيد من أجل ضرب الجهود الصادقة التي تسعى لإحلال الوفاق، ومنع التقسيم.

رينيه معوض
(1925 - 1989)

اغتالت يد الغدر والخيانة الرئيس اللبناني التاسع رينيه معوض عن عمر يناهز 64 سنة، بعد أن أمضى في الحكم 17 يوماً، وذلك أثناء مرور موكبه بعد ظهر يوم الأربعاء في 22 تشرين الثاني/نوفمبر عام 1989 والذي يصادف ذكرى إعلان إستقلال لبنان.

وقد عم الغضب والحزن جميع أنحاء لبنان، وعبرت مختلف القيادات وقطاعات الشعب عن سخطها واستنكارها لهذه الجريمة البشعة، التي لم تستهدف الشهيد معوض بشخصه، بقدر ما استهدفت اغتيال مسيرة الوفاق الوطني.

وعلى الرغم من هذه الصدمة الأليمة فقد باشرت القيادات اللبنانية اتصالات متلاحقة لمواجهة نتائج الجريمة. واتخاذ الإجراءات الضرورية للتعجيل بانتخاب رئيس جديد، فكان انتخاب الياس الهراوي.

وحول كيفية وقوع الجريمة نقلت وكالة (رويتر) عن قوى الأمن قولها أن كمية من المتفجرات يبلغ وزنها 250 كيلو غرام فُجِّرت عن

بعد عند مرور موكب الرئيس معوض في القسم الغربي من بيروت أدت إلى مقتل الرئيس وعشرة من مرافقيه.

وأضافت الوكالة أن 17 شخصاً بينهم الرئيس معوض وحراسه الذين كانوا يواكبونه وهم أربعة مدنيين وستة رجال أمن قتلوا في عملية التفجير، وأصيب 36 شخصاً آخر بجروح.

وأبلغ ضابط كبير في قوى الأمن وكالة «رويتر» أن المتفجرات كانت موضوعة في غرفة مهجورة تقع على جانب الطريق الذي سلكه موكب الرئيس معوض في منطقة الصنائع ـ الظريف.

وقال الضابط أن جثة الرئيس معوض شوِّهت بشكل جعل من الصعب التعرف عليها، وقد احترق سائقه ومرافقيه أيضاً، وأن قوى الأمن احتاجت إلى ما لا يقل عن ساعة للتعرف على جثة الرئيس.

ـ لمحة عن حياة الرئيس الشهيد:

الرئيس رينيه معوض من مواليد زغرتا في شمال لبنان عام 1925. درس في مدرسة زغرتا وانتقل في العام 1934 للدراسة في مدرسة «الفرير» في مدينة طرابلس، ثم انتقل إلى عينطورة ليتابع دراسته هناك.

تخرج الرئيس الراحل معوض سنة 1948 من كلية الحقوق في الجامعة اليسوعية. وانتخب للمرة الأولى عضواً في مجلس النواب اللبناني سنة 1957، وظل عضواً في هذا المجلس عبر أربع دورات متتالية وحتى يوم استشهاده.

عين معوض وزيراً للبريد والبرق والهاتف في حكومة المغفور له رشيد كرامي من العام 1961 ولغاية 1964، ليكلف مرة ثانية في حكومة كرامي عام 1969 وزيراً للعمل والشؤون الإجتماعية، كما كلف في عهد الرئيس الراحل الياس سركيس بمهام وزارة التربية الوطنية في حكومة السيد شفيق الوزان.

يتمتع الرئيس الراحل بسمعة رجل حوار وانفتاح ويؤمن بشكل حازم بوحدة لبنان وبانتمائه العربي الأصيل.

اشتهر بمعرفته العميقة بالملفات السياسية، وكلف بعدة مهمات دبلوماسية حساسة لدى الزعماء العرب في عهد الرئيس شارل حلو.

متزوج من السيدة نائلة عيسى الخوري، أصبحت عضواً في البرلمان اللبناني ووزيرة للشؤون الإجتماعية في العام 2005، ولهم ولدان صبي وفتاة.

ـ إتفاق الطائف ونهاية الحرب اللبنانية:

يعتبر إتفاق الطائف هو نهاية المطاف في معالجة الأزمة اللبنانية وتسوية جميع مشكلاتها، والذي نتج عن إجتماع المؤتمر الوطني اللبناني في الطائف في 30 أيلول/سبتمبر عام 1989 والذي أنهى حرباً أهلية استمرت أكثر من عشرين عاماً.

وقد بدأت مناقشات الحوار الوطني التي تميزت بالصراحة وعدم المجاملة. وحضر مؤتمر الطائف في المملكة العربية السعودية اثنان وستون نائباً لبنانياً من أصل ثلاثة وسبعين، وثمانية من الأحد عشر نائباً الذين لم يحضروا الإجتماع لم يرتبط تغيبهم بأسباب سياسية.

والنواب الثلاثة الذين اعتبروا بمثابة المقاطعين للمؤتمر هم ريمون إده وألبير مخيبر وإميل روحانا صقر.

ومن التأمل في مضمون إتفاق الطائف يمكننا أن نلاحظ بأن الإتفاق قد تضمن وضع أسس دستورية جديدة للبنان. فلقد تم في إتفاق الطائف لأول مرة إضافة مقدمة خاصة للدستور اللبناني اعتبرت جزءاً أساسياً من الدستور نفسه، كما تضمن إتفاق الطائف تحديد أسس الوفاق الوطني اللبناني وأسس الوضع الأمني التي تمثلت في تأكيد توحيد لبنان وإنهاء القتال وتحديد حل الميليشيات العسكرية. كما وضع إتفاق الطائف أسس الإصلاح السياسي في لبنان، وتوصل اللبنانيون إلى صيغة مفصلة للوفاق الوطني.

في الخامس من تشرين الثاني/ نوفمبر عام 1989 اجتمع مجلس النواب اللبناني في مطار القليعات حيث تم انتخاب رينيه معوض رئيساً للجمهورية اللبنانية، وعلى الرغم من اغتيال الرئيس معوض في الثاني والعشرين من الشهر نفسه، إلا أن انتخاب المجلس بعد يومين من عملية الاغتيال لـ إلياس الهراوي رئيساً للجمهورية، وتشكيل حكومة وطنية برئاسة سليم الحص قد مهد الطريق أمام لبنان في أعقاب إتفاق الطائف لوضع أسس الأمن والسلام في لبنان. حيث نجحت حكومة الحص في توحيد بيروت والبدء في الإصلاحات الدستورية ووضع أسس ترتيب العلاقات الجديدة مع سورية وكذلك وضع مخططات برامج إعادة بناء وتطوير لبنان. وطبقاً لإتفاق الطائف عام 1989:

1 ـ الرئيس اللبناني مسيحي ماروني.

2 ـ رئيس مجلس الوزراء مسلم سني.

3 ـ رئيس مجلس النواب مسلم شيعي.

ومنذ التوقيع على إتفاق الطائف في العام 1989 الذي وضع حداً للحرب الأهلية، تمتعت البلاد بدرجة ملموسة من الاستقرار السياسي، لكن شرائح كبيرة من الشعب ما زالت تعارض الترتيب الذي وُضع بعد الحرب والذي أيد الوجود العسكري السوري في لبنان وترك الباب مفتوحاً أمام تزايد التأثير السوري على الشؤون السياسية في البلاد. وفي أعقاب إتفاق الطائف وقعت السلطات اللبنانية والسورية على عدد من الإتفاقيات، كان أبرزها معاهدة الأخوة والتعاون والتنسيق التي أُبرمت في أيار/مايو 1991 ومعاهدة الدفاع والأمن التي وقعت في أيلول/سبتمبر1991.

وأدت معاهدة الدفاع والأمن إلى تشكيل لجنة مشتركة للدفاع والأمن تجتمع كل ثلاثة أشهر في سوريا أو لبنان. ومن ضمن أهداف هذه المعاهدة ضمان ألا يتحول لبنان في إطار معاهدة الأخوة والتعاون والتنسيق إلى مصدر تهديد لأمن سوريا أو أن تصبح سوريا مصدر إزعاج أو تهديد للبنان، والقضاء على أي نشاط أو تنظيم في المجالات العسكرية والأمنية والسياسية يمكن أن يشكل تهديداً لأي من البلدين.

وعلى صعيد الممارسة العملية، قيدت معاهدة الدفاع والأمن حرية التعبير والإشتراك في الجمعيات في البلاد. فلا يُسمح للجماعات والأحزاب السياسية التي لا توافق عليها السلطات السورية بممارسة نشاطها، ويتعرض أعضاؤها لانتهاكات جسيمة

لحقوق الإنسان، بما في ذلك الاعتقال التعسفي والتعذيب. وهي تشمل «التيار الوطني الحر» وحزب «القوات اللبنانية» المحظور (حينها) وأعضاء عدد من التشكيلات السياسية السنية المعارضة للحكومة والتي تُعتبر بأنها تُشكل تهديداً للمصالح السورية في لبنان، وبخاصة في الشمال والبقاع، حيث تتمتع سوريا بوجود عسكري وأمني طاغٍ.

وقد تعرضت الجماعات المعارضة لإتفاق الطائف، بما فيها «التيار الوطني الحر» بقيادة رئيس الوزراء المؤقت الأسبق العماد ميشال عون لمختلف انتهاكات حقوق الإنسان، وبخاصة خلال الفترة الممتدة بين العامين 1990 و1995. وفي السنوات الأخيرة، شارك «التيار الوطني الحر» و«حزب القوات اللبنانية» في أنشطة معارضة سلمية ضد الحكومة والوجود السوري في البلاد، مما أدى إلى ارتكاب المزيد من انتهاكات حقوق الإنسان ضد أعضائهما. وتظل هاتان الجماعتان المعارضتان وغيرهما، بمن فيها الجماعات الإسلامية السنية محظورة أيضاً من جانب الحكم، وبالتالي تُحرم من حقها في المشاركة السياسية وحرية التعبير.

ويلاحظ أنه منذ التوقيع على إتفاق الطائف، احتفظت سوريا بعشرات الآلاف ـ نحو 40 أو خمسين ألف عسكري ـ من جنودها، بموافقة الحكومة اللبنانية، في مختلف أنحاء البلاد.

ومنذ العام 2000 وكنتيجة على ما يبدو لتزايد الدعوات إلى انسحاب القوات السورية من لبنان، أُعيد انتشار آلاف الجنود منذ العام 2000 وعاد العديد منهم إلى سوريا. وفي الآونة الأخيرة أي في

شباط/فبراير 2003، أُعيد انتشار الآلاف من الجنود إلى سوريا، من ضمنها منطقة البترون لكن عملية إعادة الانتشار لم تشمل كما يبدو الجنود المرابطين في الشمال، بما في ذلك طرابلس وعكار والضنية، بسبب وجود الجماعات الإسلامية كما ورد والتي تعتبر بأنها تشكل خطراً على الأمن هناك، في أعقاب الاشتباكات المسلحة التي وقعت في الضنية عام 1999 بين الجيش اللبناني وقوات الأمن وبين النشطاء. وطبقاً لإتفاق الطائف إلى إعادة انتشار جميع القوات السورية الموجودة في لبنان إلى وادي البقاع خلال عامين من التوقيع عليه في العام 1989.

انسحبت القوات السورية بشكل نهائي من لبنان بعد اغتيال الرئيس رفيق الحريري، وتحديداً في 27 نيسان/أبريل 2005 حيث وجهت أصابع الاتهام إلى الدور السوري في عملية الاغتيال.

ـ في الطريق نحو الشهادة:

يوم 5/ 11/ 1989 أعلن الرئيس الشهيد رينه معوض في خطاب القسم «أن رهان عمري هو إنجاز المصالحة بين اللبنانيين، على اختلاف المشارب والاتجاهات، فالمصالحة الوطنية لا تستثني أحداً، حتى ولا أولئك الذين يصرّون على استثناء أنفسهم منها. المصالحة ملك للجميع وتتسع للجميع».

وفي الخطاب نفسه يتابع معوض: «سنعمد إلى تأليف حكومة الوفاق الوطني، التي تضم العائلة اللبنانية، فتعيد وصل ما انقطع، وتوحيد ما تقسّم». ويضيف: «المسألة الأساسية هي جمع أجزاء الوطن جزءًا جزءًا واستعادة السيادة عليها وإحلال السلام فيها.

وأكثر ما يلح علينا في هذه المرحلة إزالة الإحتلال عن الجنوب، بتنفيذ قرارات مجلس الأمن الدولي، لأن الإمعان في العدوان على حق الشعوب بالسيادة على أرضها يتعارض مع أبسط قواعد القانون الدولي ويتحدى المجتمع الإنساني بأسره».

ويُقسم رينيه معوض أيضاً على إعادة علاقات لبنان الخارجية «إلى سابق صفائها. يجب أن تزول الأسباب التي عكّرت بعضها وأدت إلى انقطاع بعضها. ويجب أن تعود بيروت مركزاً للمؤسسات الإقليمية والدولية وللبعثات الدبلوماسية والممثليات العالمية».

وبعد فقرة يعرب فيها عن اعتقاده أن «حسن النية ونبل القصد سيمكناننا من بناء الغد الأفضل مع سورية على أساس توطيد الثقة والتعاون الصادق في شتى المجالات، وضمن إطار الحرص المتبادل على الكرامة والسيادة».

بعد أسبوعين على هذا الخطاب وجه رينيه معوض كلمته الأخيرة إلى اللبنانيين عشية عيد الإستقلال. وبدا أن الرئيس الأول الذي يفترض أن يقود مسيرة الحل على أساس وثيقة الوفاق الوطني، قد داخله بعض اليأس الذي لم يوضح مصادره رغم صعوبة الأوضاع الداخلية في تلك الفترة، إلا أنه بقي مُصراً على التوجه إلى الداخل مراهناً على اللبنانيين أولاً وأخيراً. وفي رسالته تلك قال معوض: «لم يعد أحد منا يطيق صبراً على المحنة ـ المأساة. ولم يعد أحد منا يقبل العيش وكأننا في القرون الوسطى من دون ماء وكهرباء (. . .) كفانا قهراً وكفانا عذاباً. كفانا ذلاً وكفانا دماً. . . كفانا رهانات وكفانا مغامرات». وحرص الرئيس

معوض على القول «أخاطبكم مباشرة لأنني حريص على تجنيب اللبنانيين المزيد من العنف والعذاب والقهر. وأؤكد لكم أن قرار الخلاص قد اتخذ وسينفذ، أياً تكن العقبات والتضحيات، ولن نسمح للشهوات والأطماع والمؤامرات أن تعطل آلية الحل السياسي وتعرقل مسيرة السلام».

في اليوم التالي وبعد أقل من 24 ساعة على هذه الكلمات اغتيل رينيه معوض الذي اتخذ «قرار الخلاص.. أياً تكن التضحيات» فكان هو الضحية الأولى لتسوية آمن بها، فجاء قتله مدخلاً للإمعان في تشويهها، وتشويه الحياة السياسية اللبنانية على مدى 15 عاماً أخرى.

عبد الله عزام

(1941 - 1989)

هو عبد الله يوسف عزام، ولد سنة 1941 في قرية سيلة الحارثية، من أعمال جنين في فلسطين، تربى في أسرة ريفية متدينة، في كنف والده الوقور يوسف عزام. وتلقى علومه الإبتدائية والإعدادية في مدرسة القرية، وبدأ دراسته الثانوية في مدرسة جنين الثانوية ولم يمكث فيها طويلاً حيث قبل للدراسة في المدرسة الزراعية الثانوية «خضورية» في مدينة طولكرم. وحصل على شهادتها بدرجة إمتياز عام 1959.

تنقل عبد الله عزام وهو طفل بين مرابع القرية، وكان يرى أمام ناظريه سهول مرج ابن عامر الذي اغتصبه اليهود عبر المؤامرات الدولية، فأخذ يهيئ نفسه ويعدها إعداداً إيمانياً، فكان منذ صغره محافظاً على الصلوات، دائباً على تلاوة القرآن الكريم، كما كان ملازماً لمسجد القرية.

عاش عبد الله عزام منذ يفاعته في سيلة الحارثية مع الأستاذ شفيق أسعد، الذي كان يتولى رعاية مجموعة من أبناء القرية، يربيهم على أخلاق وأفكار ومبادئ دعوة الإخوان

المسلمين، فكان الشيخ عبد الله عزام في أوائل الدعاة في القرية.

تعرف الشيخ عبد الله في مدينة جنين على الداعية المربي الشيخ فريز جرار، الذي كان هو والأستاذ شفيق أسعد من أنشط الدعاة في تلك الفترة تربية للشباب، وأكثرهم عقداً للندوات والمحاضرات في مركز الجماعة في مدينة جنين، وأخذ عبد الله عزام يكثر من زيارة مركز الجماعة ويحضر الندوات واللقاءات التي كان يشرف عليها الشيخ فريز جرار، حتى أصبح من أكثر الشباب نشاطاً ومشاركة في هذه اللقاءات، وأخذ يكثر من الجلوس إلى الشيخ فريز ويصحبه في أكثر الجولات. بعد حصوله على شهادة «خضوري» الزراعية تم تعيينه معلماً في قرية أدر بمنطقة الكرك جنوب الأردن، وبقي فيها سنة واحدة، حيث نقل إلى مدرسة برقين الإعدادية بالقرب من مدينة جنين.

سكن عبد الله مع أخوين له في الدعوة غرفة في دار الجماعة، فكانت له فرصة لممارسة ألوان متعددة من النشاط الفكري والتربوي والرياضي... كما كان كثير المطالعة لكتب الدعوة وخاصة كتب الإمام حسن البنا وعبد القادر عودة وسيد قطب ومحمد قطب.

تابع عبد الله عزام دراسته الجامعية في كلية الشريعة بجامعة دمشق، ونال منها شهادة الليسانس في الشريعة بتقدير جيد جداً سنة 1966، وفي دمشق التقى مع بعض علماء الشام فتتلمذ عليهم وصاحبهم.

كان للشيخ عبد الله خمسة أولاد ذكور وهم: محمد نجله الأكبر الذي ذهب إلى ربه شهيداً مع والده وعمره 20 عاماً، وكذلك ولده

إبراهيم الذي استشهد وعمره 15 عاماً، وحذيفة وحمزة ومصعب. ومن الإناث: فاطمة ووفاء وسمية.

بعد العام 1967، وسقوط الضفة الغربية وقطاع غزة في أيدي اليهود، دخل اليهود سيلة الحارثية، وحاول عبد الله عزام مع مجموعة من الشباب من أهل القرية الوقوف في وجه الدبابات الإسرائيلية، فنصحهم أهل القرية بالتريث لأنه ليس بمقدورهم ذلك.

فخرج عبد الله عزام مشياً على الأقدام مع غيره من أهل القرية إلى الأردن، ولكن خروج عبد الله عزام من بلده ما زاده إلا عزماً وتصميماً على الجهاد في سبيل الله،فبدأت فكرة التدريب على السلاح للوقوف في وجه اليهود تلح عليه. وكان الشيخ عبد الله عزام من أوائل التشكيلات الإسلامية التي انضوت مع حركة فتح للتدريب على الجهاد. قرن الشيخ عبد الله عزام جهاده وتدريبه بانتسابه إلى جامعة الأزهر في مصر لدراسة الماجستير في أصول الفقه.

حصل الشيخ على الماجستير في العام 1969. وقد اشترك الشيخ في تلك الفترة بعدة عمليات جهادية كان أشهرها معركة الحزام الأخضر عام 1969 ومعركة 5 حزيران/يونيو عام 1970. وقد تكبد اليهود في هذه المعارك أعداداً كبيرة من القتلى، إلا أن شباب الحركة الإسلامية لم يحاولوا أن ينسبوا هذه العمليات إليهم لأنهم يجاهدون في سبيل الله لا من أجل اكتساب شعبية أو الحصول على الثناء.

في العام 1971 ذهب الشيخ عبد الله إلى مصر لتحصيل درجة الدكتوراه وحصل عليها في العام 1973.

في مصر وجد الشيخ لنفسه مهمة جهادية أخرى هي مد يد المساعدة لأسر المعتقلين من الإخوان على الرغم من مضايقة المخابرات المصرية له.

لما عاد الشيخ عبد الله عزام إلى الأردن عمل مسؤولاً لقسم الإعلام بوزارة الأوقاف، فكان له الفضل في تنشيط المساجد والوعاظ حيث طعم القسم بطاقات شابة قادرة على الدعوة، وأصدر نشرات لنشر الوعي الإسلامي. ثم عمل مدرساً وأستاذاً بكلية الشريعة في الجامعة الأردنية مدة سبعة أعوام من عام 1973 وحتى العام 1980، عمل فيها في مجال الدعوة والتدريس، وكان متميزاً بطريقته وأسلوبه في الدعوة إلى الله، ولذلك كان كثير من الشباب خارج الجامعة يحرصون على حضور محاضراته، وكان له الفضل في فصل البنات عن البنين في المحاضرات.

كان الشيخ في هذه الأثناء على اتصال دائم مع حركة المقاومة الإسلامية «حماس» عن طريق إتحاد الطلبة المسلمين حيث كانوا يوافونه بأخبار الجهاد أولاً بأول. وكان يعد الشباب الذين لديهم التصاريح ويستطيعون الذهاب إلى فلسطين، ويرسلهم بعد الإعداد وينصحهم بأن يبقوا في فلسطين وينضموا إلى المجاهدين هناك، وكان كثيراً ما يجمع التبرعات أثناء جولاته في المدن العربية باسم الجهاد في فلسطين ويدعو الله دائماً أن يجعل له سبيلاً وطريقاً للجهاد في فلسطين من أجل تحرير مسرى رسول الله ﷺ.

كان الشيخ عبد الله عزام شخصية فريدة من نوعها، وقد استطاع أن ينشر أفكاره في صفوف الطلبة والطالبات في مختلف كليات الجامعة. وفي العام 1981 سافر إلى السعودية للعمل في جامعة الملك عبد العزيز في جدة، ثم طلب العمل في الجامعة الإسلامية بإسلام أباد في باكستان قريباً من الجهاد الأفغاني، فانتدب لهذا العمل، وعندما اقترب من المجاهدين الأفغان وجد ضالته المنشودة وقال: «هؤلاء الذين كنت أبحث عنهم منذ زمن بعيد».

بدأ الشيخ عبد الله عزام عمله الجهادي في أفغانستان عام 1982 باستقبال القادمين للجهاد من الشباب العرب، ثم قام في العام 1984 بتأسيس مكتب خدمات للمجاهدين وتفرغ له. ليكون مؤسسة إغاثية جهادية متخصصة بالعمل داخل أفغانستان. وقد ساهم هذا المكتب في:

- نقل قضية الجهاد الإسلامي في أفغانستان إلى قضية إسلامية عالمية، والعمل على إيقاظ الهمم واستنفار المسلمين في أرجاء العالم للوقوف بجانب هذا الجهاد.
- التعريف بقضية الجهاد عن طريق مجلة «الجهاد»، ونشرة لهيب المعركة والكتب والمنشورات التي كان يصدرها الشيخ عبد الله عزام في باكستان، بالإضافة إلى خطبه في المساجد والمحاضرات المتخصصة التي كان يلقيها للحث على الجهاد، وتصوير بطولات المجاهدين إلى العالم أجمع حيث كان النافذة التي يطل الأفغان من خلالها إلى العالم.

- في ميدان التربية والتعليم: إقامة الدورات التدريبية لقادة الجهاد، فتح المدارس داخل الخنادق، وإقامة المراكز التربوية في أرض المعركة، فتح دور القرآن الكريم تحت قصف المدافع، وطباعة الكتب، فقد طبع أربعمائة ألف نسخة من القرآن الكريم في سنة 1988 وأدخل معظمها إلى المدارس في أفغانستان.

- تزويد القوافل وترحيلها وتجهيز الجبهات.

- الاعتناء بضحايا الحرب وجرحاها: بإنشاء خمس مستشفيات في داخل أفغانستان (جاجي، تخار، غزني، فارياب، بنجشير، بالإضافة إلى تأسيس مستشفى مكة المكرمة والمختبر المركزي وعيادة الطب الطبيعي).

- إيقاف سيل الهجرة المتدفق: بكفالة العلماء والقادة الذين يحثّون على الجهاد بين الحمم المتساقطة.

- العناية بأبناء الشهداء وذلك بفتح قسم كفالة الأيتام والأرامل في داخل أفغانستان، وبناء دور للأيتام.

- رفع معنويات المجاهدين الأفغان «سنشد عضدك بأخيك».

- انصهار الطاقات الجهادية في بوتقة إسلامية: عربيها وأفغانيها.

- تشكيل لجنة العلماء لإصدار الفتاوى واستنهاض الهمم ودحض الآراء الفاسدة.

ولقد كان الشيخ عبد الله عزام من أوائل السباقين للجبهة يقدم الشباب ويقدم نفسه أمامهم قدوة لهم في الإقدام والتضحية.

من أقواله المأثورة في الدعوة والجهاد:

- «إن الأبطال الحقيقيين هم الذين يخطون بدمائهم تاريخ أممهم ويبنون بأجسادهم أمجاد عزتها الشامخة».
- «لقد رأيت أن أخطر داء يودي بحياة الأمم هو داء الترف الذي يقتل النخوة ويقضي على الرجولة، ويخمد الغيرة ويكبت المروءة».
- «لقد عودتنا التجارب أن نرى التكالب العالمي على كل قضية إسلامية تقترب من النصر، أو على كل داعية أصبح شامة في جبين الدهر».
- «الجهاد بالنفس ضرورة حياتية للمسلم ليتحرر من الخوف والوهم والرعب الذي يغتصب به الطواغيت حقوق الأمم».
- «إن البشر لا يملكون إزاء القدر رداً، ولا يبني الأمم إلا الجماجم والأجساد».
- «الشهداء هم الذين يخطون تاريخ الأمم، لأن تاريخ الأمم لا يخط إلا بالعرق والدم».
- «الشهداء هم الذين يحفظون شجرة هذا الدين من أن تضمحل أو تذوي، لأن شجرة هذا الدين لا تروى إلا بالدماء».
- «المسلم أعز ما يكون حينما يكون مجاهداً في سبيل الله».
- «لا فرق بين رصاصة شيوعي في باكستان ورصاصة شيوعي في أفغانستان، ورصاصة عميل لليهود أو الأميركان... الكل قتل في سبيل الله ما دامت النية خالصة له... ولقد اخترنا الموت طريقاً للحياة».

اغتسل الشيخ عبد الله عزام في مدينة بيشاور في باكستان، حيث يقطن وعائلته بتاريخ 24/ 11/ 1989 في أثناء توجهه لتأدية صلاة الجمعة عندما تعرضت سيارته لانفجار مروع دبرته يد أعداء الإسلام الغادرة، مما أدى إلى استشهاده مع ولديه محمد وإبراهيم الذين تناثرت أشلاؤهم على مساحة واسعة حول السيارة التي انشطرت إلى قسمين من قوة الانفجار.

الشهيد عبد الله عزام خاض تجربة رائدة في العمل الإسلامي الجهادي. ومن خلال هذه التجربة اكتسب عمقاً بعيداً في الجهاد، وقدم تراثاً ضخماً ليكون زاداً للأجيال.

ويتمثل هذا التراث في:

ـ مؤلفاته:

ـ كتاب «العقيدة وأثرها في بناء الجيل».

ـ كتاب «الإسلام ومستقبل البشرية».

ـ كتاب «السرطان الأحمر».

ـ كتاب «آيات الرحمن في أفغانستان».

ـ «المنارة المفقودة».

ـ «الدفاع عن أراضي المسلمين أهم فروض الأعيان».

ـ «إلحق بالقافلة».

ـ «في الجهاد آداب وأحكام».

ـ «عبر وبصائر للجهاد في العصر الحاضر».

ـ «جهاد شعب مسلم».

ـ «بشائر البصر».

ـ «حماس الجذور التاريخية والميثاق».

ـ «كلمات من خط النار الأول. الجزء الأول».

ـ «جريمة قتل النفس المؤمنة».

ـ «في خضم المعركة، في ثلاثة أجزاء».

العماد ميشال عون
(1935 ـ ...)
(محاولة اغتيال في العام 1989)

ـ من هو العماد ميشال نعيم عون؟

قائد الجيش اللبناني (1984 ـ 1990)، رئيس حكومة (1988 ـ 1990).

عسكري وسياسي ومفكر. من مواليد حارة حريك سنة 1935 والعائلة من بلدة مراح المكنونية ـ قضاء جزين.

تلقى علومه في معهد «القلب الأقدس» (الفرير) في بيروت. دخل المدرسة الحربية سنة 1955، ترقى في مؤسسة الجيش اللبناني، وفي 23 حزيران/يونيو عام 1984 عُين قائداً للجيش اللبناني ورقي إلى رتبة عماد. وكان أصغر ضابط يتولى قيادة الجيش.

تعددت المهام العسكرية التي أنيطت به، بتعدد المناطق اللبنانية التي خدم فيها والجروح التي أصيب بها. منذ العام 1959 وحتى العام 1990 وكمراقب على الحدود الجنوبية، زاد تخوفه على لبنان ومستقبله. صاحب معادلة حوَّلها الجيش إلى شعار:

«لبنان أكبر من أن يُبتلع وأصغر من أن يقسَّم».

أتقن أربع لغات أجنبية، حمل عدة أوسمة موازاة نشاطه العسكري. في أوائل عهد الرئيس الراحل الياس سركيس اقترح العماد عون بناء نواة متماسكة للجيش تنطلق من وزارة الدفاع وتضم ضباطاً وجنوداً من مختلف الطوائف وصولاً إلى بناء جيش واحد في لبنان.

كان ميشال عون يكره نظرية «الأمن بالتراضي»، ولكل اقتسام للسلطة مع الجيش والشرعية، ودعا إلى لبنان القوي. فنشأ شعور عند البعض بأن الجيش سيكون الحل الذي لا بد منه نتيجة إجماع المواطنين، على المطالبة به كحل منقذ من سلسلة التجارب والاختبارات والبدائل الأمنية التي دفعوا ثمن فشلها غالياً من أرواحهم وممتلكاتهم ومستقبل أولادهم ووطنهم.

في ليل 22 ـ 23 أيلول/سبتمبر 1988 وبعد تعذُّر انتخاب رئيساً للجمهورية، واستناداً إلى الدستور عيّنه رئيس الجمهورية رئيساً لحكومة عسكرية انتقالية تعمل على تأمين انتخاب رئيساً للجمهورية، وسلمه مع حكومته مقاليد رئاسة الجمهورية. وكان العماد ميشال عون ثالث عسكري يتولى رئاسة مثل هذه الحكومة بعد الجنرال فؤاد شهاب واللواء نور الدين الرفاعي.

حصلت في عهده تطورات داخلية سياسية تمثلت بـ «إتفاق الطائف» الذي عارضه بشدة لأنه لم يأتِ من ضمن نصوصه على تحديد موعد لانسحاب القوات السورية من لبنان، وعسكرية تمثلت بـ «حرب التحرير» التي خاضها الجيش اللبناني لإخراج السوريين من لبنان، والحرب مع «القوات اللبنانية» التي كانت تعتبر بأن طروحاته

تشكل خطراً على إستراتيجيتها بإقامة دولة مسيحية على بقعة معينة من لبنان. ولكن تضارب المصالح الداخلية والإقليمية والدولية مع مطالب ميشال عون وطروحاته أدت - بإتفاق الصديق والعدو والعربي والأعجمي ومن ضمنهم إسرائيل - إلى اجتياح القصر الجمهوري في بعبدا وإزاحته من سدة الحكم بتاريخ 13/ 10/ 1990، فوجه نداءًا - أثناء وجوده في السفارة الفرنسية - إلى وحدات الجيش اللبناني يطلب إليها تلقي الأوامر من العماد إميل لحود، تنفيذاً لشعاره الشهير «بأن العالم يستطيع أن يسحقني ولكنه لا يستطيع أن يأخذ توقيعي».

وفي وقت لاحق نقلت غواصة فرنسية العماد عون من مرفأ بحري صغير في ضبية - شمالي بيروت إلى فرنسا، حيث تابع تحركه السياسي وأسس المؤتمر الوطني مع قيادات لبنانية في الخارج هدفه تحرير البلاد واستعادت سيادته وقراره الوطنيين. حائز على العديد من الأوسمة والتنويهات العسكرية.

عاد إلى لبنان بعد تحرير لبنان من جميع الجيوش الأجنبية في 7 أيار/ مايو عام 2005.

تعرض العماد ميشال عون إلى ثلاث محاولات اغتيال نجا منها بأعجوبة.

- المحاولة الأولى:

المحاولة الأولى لاغتيال العماد ميشال عون كانت بإطلاق صواريخ على طائرة هليكوبتر كانت تقله من مطار لارنكا عندما كان

آتياً من المغرب، حيث شارك مع الرئيس سليم الحص والرئيس السابق لمجلس النواب حسين الحسيني في إجتماع مع اللجنة العربية لمعالجة الأزمة اللبنانية عام 1988.

ـ المحاولة الثانية:

نهار 14 آذار/ مارس 1989، حاول السوريون اغتيال ميشال عون مطلق «حرب التحرير» ليقضوا عليها في مهدها. لأن هذه الحرب ستفضح دور سوريا على حقيقته وستجمع اللبنانيين بعد طول فراق وستكون بداية تحررهم من كابوس الذل والظلم والخوف وستوحدهم على مبادئ وثوابت وطنية واضحة وراسخة.

منذ أن رفض الجنرال ميشال عون الإذعان لإرادة المحتل والامتثال لأوامره، ولما لم يتجاوب مع النصائح الأميركية التي دعته للقبول بالأمر الواقع والمشي في اللعبة وترك الساحة اللبنانية سائبة لحل مشاكل المنطقة على حسابها وتوزيع لبنان، في النهاية، جوائز ترضية، جند الجيش السوري مخابراته لمعرفة تواجد الجنرال وأوقات انتقاله وطرق تنقله. فتجمعت لدى القيادة السورية معلومات دقيقة حددت مواعيده في القصر ووزارة الدفاع الوطني، واستناداً إلى هذه المعلومات نفذوا محاولة الاغتيال.

ركز السوريون فوهات عديدة من مدافعهم الثقيلة وراجماتهم وصواريخهم التي كانت تصب حممها على البقعة الحرة من لبنان، على القصر ووزارة الدفاع والطرق الممتدة بينهما. وبإشارة مدروسة ومنسقة سقطت مئات القذائف دفعة واحدة على الأهداف المعينة فأصابتها ولكنها فشلت من النيل من طريدتها.

أُصيب القصر بعشرات القذائف وزرعت الطريق بالفجوات التي أحدثتها ضخامة القنابل. كذلك أصيبت وزارة الدفاع إصابات عديدة نال منه مكتب الجنرال ثلاثاً استقرت واحدة منها في كرسيه.

انتهى آخر إجتماع للجنرال في بعبدا فخرج من القصر لينتقل إلى وزارة الدفاع كي يترأس إجتماعاً عسكرياً. أسرع أحد عناصر المواكبة لمناداة النقيب لويس النخيوي أحد الضباط المرافقين الذي كان يتناول غذاءه. فقال له الجنرال «معليش مش مستعجلين، اتركه يكفي غداه على رواق».

تأخر الانتقال حوالي العشر دقائق والتي كانت كافية لإنقاذ حياة ميشال عون.

ـ المحاولة الثالثة:

نهار الجمعة 12 تشرين الأول/أكتوبر 1990، أُعيد تكرار دور بيلاطس البنطي حيث غسلوا كلهم أيديهم من الجريمة التي ستُقترف بحق لبنان. أميركا تعلن معارضتها لأي عمل عسكري. إسرائيل تصرح بأنها لا تقبل بتدخل عسكري سوري ضد عون. ويمر طيرانها في سماء بعبدا ويُفسر أنه إنذار لسوريا من قبل بعض الذين كانوا بالماضي على علاقة مع الإسرائيليين. فرنسا المخدوعة تستفسر عما سيجري وتحصل على جواب كاذب بأن لا ضوءاً أميركياً لعملية عسكرية. لكن بالفعل، إن اقتحام بعبدا حصل بإيعاز أميركي وصمت إسرائيلي وتنفيذ سوري بمشاركة «القوات اللبنانية» وولاة الطائف.

بعد ظهر الجمعة، كانت ساحات بيت الشعب تعج بالمعتصمين. أطل الجنرال على الجماهير المحتشدة وحياها وسط الهتافات والتصفيق والتلويح بالأعلام اللبنانية. وما أن بدأ خطابه بـ «يا شعب لبنان العظيم» حتى عاجله أحد المندسين في التظاهرة، المدعو فرنسوا حلال بأربع طلقاتٍ من مسدس حربي، استقرت فوقه وتحته وأمامه. وقد حمته المنصة المصنوعة من الحديد المقوى والواقية من الرصاص. لكن محاولة الاغتيال هذه أودت بحياة الجندي جوزيف رعد أحد مرافقي الجنرال.

لقد أخطأ الرصاص هدفه قليلاً وأصاب أحد الحراس رعد وقتله، فاندفعت الحشود نحو مطلِق الرّصاص لتقضي عليه في حين دفعه الحراس أرضاً لحمايته.

خشي الجميع حينها أن يكون فريقاً إرهابياً تمكن من دخول القصر. وراح الجيش يطلق العيارات النارية في الهواء لتفريق الحشود وعزل القاتل لكن العماد عون كان حريصاً على حياة القاتل، صرخ للعقيد شامل روكز ـ وكان برتبة نقيب حينها ـ وكان قد هرع ليسيطر على المجرم «خلصوه، خلصوه».

فتم إنقاذ فرنسوا حلال! واعترف أن عبد الله الأمين أرسله بناءً على طلب الاستخبارات السورية. في اليوم التالي استرد الجيش السوري المجرم الذي ظهر خلال مؤتمر صحافي إلى جانب عبد الله الأمين.

أنهى الجنرال خطابه بلهجة واثقة ووجه متجهم وطلب من

المواطنين العودة إلى منازلهم حرصاً على أمنهم، فلقد دقت ساعة الفراق!

لكن حكومة عون لم تغلق باب المفاوضات إذ أنها رفضت أن تتحمل مسؤولية وقف المفاوضات من جانب واحد لتبرير التدخل العسكري. وعند الحادية عشرة مساءً التقت للمرة الأخيرة الدكتور بيار دكاش برفقة مدير الاستخبارات عامر شهاب ووقّع العماد عون على تسوية أخيرة تضمنت نقاط تسعة وهي:

1 ـ رفع الحصار.

2 ـ الاعتراف بالياس الهراوي رئيساً.

3 ـ إستقالة حكومتي عون والحص في آن واحد.

4 ـ تشكيل حكومة بالتوافق وتكون حكومة وحدة وطنية تتمتع بمصداقية وتتميز بالتمثيل الصحيح.

5 ـ حل الميليشيات.

6 ـ توحيد الجيش.

7 ـ الامتناع عن تعيين نواب جدد.

8 ـ إجراء انتخابات نيابية حرة بإشراف دولي (تحت حماية الأمم المتحدة مثلاً).

9 ـ التصديق على الإصلاحات الدستورية.

بعد توقيع هذه التسوية سلمها الدكتور دكاش بنفسه إلى السفير رينيه ألا الذي سلمها بدوره إلى الهراوي الذي لم يرد عليها أبداً!

لم يبد السوريون على عجلة للموافقة على حل سلمي لمشكلة

الطائف ولم يكن اعتراف عون بالهراوي لصالحهم إذ أن العملية كلها ستحتاج في نهاية المطاف إلى موافقة الشعب قبل أي تصديق كما نصت عليه النقطة الثامنة. بذلك أثبت العماد عون مرة أخرى النوايا السورية الحقيقية. لم يكن إتفاق الطائف إلا خدعة، إلا نوعاً من القناع الديمقراطي المثير للاشمئزاز لتغطية أسوأ دكتاتورية وأرهب إحتلال!

انتهت ليلة 12 تشرين الأول بإجتماع بين العماد عون والجبهة الوطنية تلقى عون خلالها ملفاً بغاية الدقة من ضباطه وهو نسخة عن أمر البدء بتنفيذ العملية الذي وجهه المقر الرئيسي السوري إلى ضباطه وذكر فيه خاصة وقت بدء العمليات ونقل مبعوثون ليليون الرسالة ذاتها.

أنهى العماد عون إجتماعاته وخلد إلى النوم عند منتصف الليل وكان قد خطط خير تخطيط ليوم 13 فحالما تطلق الطائرات السورية قذائفها سيعلن هزيمته ويوقع على إتفاق وقف إطلاق النار. ووفقاً لما أشار إليه المونسنيور بوينتي بأنه بذلك يحافظ اللبنانيون على حقهم بالمطالبة بجلاء قوات الإحتلال.

وبعد أن تدخلت الطائرات السورية، في تلك اللحظة من التاريخ اعتبر العماد عون أن وقف إطلاق النار ونقل السلطة يؤديان إلى تفادي إراقة الدماء وبالتالي تفاجأ المراقبون عندما لم يحرك العماد عون فرق الاحتياط على الجبهة (عناصر اللواء الثامن).

وكان عون بحث في مصيره الشخصي تلك الليلة مع كاهن زاره وقال له «يمكنهم قتلي لكنني لن أوقع على إتفاق الطائف».

وكانت عائلته مشكلة بحد ذاتها إذ أن بعبدا هدفاً عسكرياً فعبثاً حاول ومستشاروه إقناع زوجته بأن تغادر القصر ولم تكن ثروات الأرض وجيوش العالم لتقنع زوجة أن تتخلى عن زوجها وهكذا بقيت عائلة عون صامدة وراء ربها حتى النهاية.

رفعت المحجوب

(1926 - 1990)

- رفعت المحجوب في سطور:

ولد رفعت المحجوب بتاريخ 23 نيسان/ أبريل عام 1926، في دمياط.

- نال شهادة الليسانس في الحقوق من جامعة القاهرة عام 1948، ودبلوم الدراسات العليا في القانون الخاص من جامعة القاهرة، عام 1949.
- شهادة الدراسات العليا في القانون العام، كلية الحقوق والعلوم الإقتصادية بجامعة باريس، عام 1950.
- دبلوم الدراسات العليا في الإقتصاد من جامعة باريس، عام 1951.
- دكتوراه الدولة في الإقتصاد من جامعة باريس، عام 1953.

- التدرج الوظيفي:

- معيد ثم مدرس ثم أستاذ مساعد في كلية الحقوق، جامعة القاهرة.

- أستاذ الإقتصاد بكلية الإقتصاد والعلوم السياسية، عام 1964.
- رئيس قسم الإقتصاد بكلية الإقتصاد والعلوم السياسية، عام 1970.
- عميد كلية الإقتصاد والعلوم السياسية، عام 1971.
- وزير في رئاسة الجمهورية، عام 1972.
- نائب رئيس وزراء عام 1975.
- انتخب أميناً للإتحاد الإشتراكي العربي، عام 1975.
- رئيس مجلس الشعب المصري في العام 1989.

- إنجازاته:

- كان له دور كبير في تأصيل مفهوم الإشتراكية العربية بالإيضاح عن معالم النظام الإشتراكي في الجمهورية العربية المتحدة بلا لبس ولا غموض.
- له دراسات قيمة في الإقتصاد الإسلامي يعتمد عليها اعتماداً أساسياً طلاب الدراسات العليا في هذا الفرع من فروع الدراسات الإقتصادية.

- الهيئات التي انتمى إليها:

- عضو المجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب والعلوم الإجتماعية سابقاً، ومقرر اللجنة الإقتصادية به.
- عضو المجلس القومي للإنتاج.
- عضو مجلس إدارة الجمعية المصرية للإقتصاد السياسي والإحصاء والتشريع.

ـ **المؤلفات العلمية:**

ـ السياسة المالية وتحديد سعر الفائدة بغرض تحقيق توازن التشغيل الكامل 1953.

ـ الإقتصاد السياسي ج 1، ج2، ج3.

ـ الطلب الفعلي مع دراسة خاصة بالبلاد الآخذة في النمو 1963.

ـ إعادة توزيع الدخل القومي من خلال السياسة المالية 1964.

ـ النظام الإشتراكي فى الجمهورية العربية المتحدة 1964.

ـ دراسات إقتصادية إسلامية 1979.

والعديد من المقالات المنشورة في مجلة «القانون والإقتصاد».

ـ **الجوائز والأوسمة:**

ـ وسام الجمهورية من الطبقة الرابعة 1959.

ـ جائزة الدولة التشجيعية في العلوم الإجتماعية من المجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب والعلوم الإجتماعية، عام 1963.

ـ وسام العلوم والفنون من الطبقة الأولى 1963.

ـ وسام الجمهورية من الطبقة الأولى 1975.

ـ جائزة الدولة التقديرية في العلوم الإجتماعية من المجلس الأعلى للثقافة، عام 1980.

ـ **اغتيال رفعت المحجوب:**

في الثاني عشر من تشرين الأول/ أكتوبر عام 1990م تم اغتيال

رئيس مجلس الشعب المصري رفعت المحجوب، واتهمت إحدى الجماعات الإسلامية المتطرفة باغتياله، والمعروف أن رفعت المحجوب كان من أساتذة الإقتصاد السياسي، ومارس السياسة وكان من أعضاء التنظيم الطليعي في الحقبة الناصرية، وتولى الأمانة العامة للإتحاد الإشتراكي، وخلف الدكتور محمد كامل ليلة في رئاسة مجلس الشعب المصري.

وإذا كان الانفصال بين الجماعة الإسلامية وجماعة الجهاد قد وقع داخل السجن في غضون العام 1983 فإنها استمرت في موقفها المتشدد من نظام الحكم في مصر، ففي رسالة نشرتها مجلة «المرابطون» الناطقة بلسان الجماعة عدد تموز/ يوليو عام 1990 للدكتور ناجح إبراهيم، طالب خلالها بضرورة «كشف وتعرية النظام العلماني الحاكم وبيان عدائه للإسلام ومحاربته لأهله وتوضيح أن القنوات الدستورية والسبل القانونية التي تم العمل بها على بعض السذج ليست إلا سراباً ووهماً وخداعاً».

وختم رسالته بأنه «لن يرتدع الطغاة عن فتنة المسلمين ولن تتم إزاحتهم عن كراسي الحكم إلا بالقتال»، وبدا ذلك واضحاً حتى العام 1993 عندما قبلت وساطة مجموعة العلماء لوقف العنف الدائر بينها وبين الحكومة المصرية، غير أن قرار الإطاحة بوزير الداخلية الأسبق عبد الحليم موسى أفشل تلك الجهود، وكان اغتيال الدكتور علاء محيي الدين الناطق الرسمي للجماعة عام 1990 دافعاً للجماعة في استمرار عمليات الثأر والانتقام ضد رموز النظام

المصري، فبادرت باغتيال الدكتور رفعت المحجوب رئيس مجلس الشعب آنذاك.

وقال ممدوح علي يوسف أحد أبرز قيادات الجماعة والمتهم الأول في قضية اغتيال المحجوب في كلمة له داخل قاعة المحكمة في أولى جلساتها في حزيران/ يونيو.عام 1991: «إن الممارسات الإرهابية لنظام الحكم لن تثني حملة لواء الدعوة الإسلامية عن المضي في طريقهم».

داني كميل شمعون

(1934 - 1990)

داني شمعون نجل الرئيس اللبناني الراحل كميل شمعون، ولد في دير القمر في 26 آب/ أغسطس سنة 1934.

أمضى مرحلة الدراسة الإبتدائية في الفرع الإبتدائي لمدرسة «الأنترناشونال كوليج». وعندما عُين والده الرئيس شمعون سفيراً للبنان في إنكلترا، أُدخل داني إلى مدرسة خاصة هناك حتى الرابعة عشرة من عمره. بعد ذلك عاد إلى لبنان ليُكمل المرحلة الثانوية في مدرسة برمانا.

حائز على دبلوم في الهندسة المدنية من كلية «Southborough» للتكنولوجيا - إنكلترا.

عمل في حقل الهندسة والمقاولات حتى العام 1975 وكانت له إنجازات مهمة كمسؤول فني عن مشروع فقرا السياحي.

عند اشتعال الحرب اللبنانية، دخل داني المعترك السياسي من بابه العريض. عين أميناً للدفاع في «حزب الوطنيين الأحرار» عام 1975، وشغل منصب الأمين العام لحزب الوطنيين الأحرار الذي كان يرأسه والده الرئيس شمعون، منذ العام 1983 وحتى العام

1985، ليتم انتخابه في 24 آب/أغسطس عام 1985 رئيساً لحزب الوطنيين الأحرار خلفاً لوالده. وفي العام 1988 ترأس الجبهة اللبنانية.

اتبع داني شمعون خطاً وطنياً، دافع عن لبنان ووقف بوجه الغرباء ودعا دائماً إلى الوقوف إلى جانب الكرامة والحق ضد العملاء والمحتلين والغرباء، فكانت لوطنيته هذه ثمناً، وثمناً باهظاً أودت بحياته وحياة عائلته، بعد ثمانية أيام فقط من سقوط المنطقة الحرة في 13 تشرين الأول/أكتوبر عام 1990.

لقد ناصر رئيس نمور الأحرار العماد ميشال عون بقوة واعتُبر من حلفائه المقربين يوم تولى الجنرال رئاسة الحكومة الوطنية.

عارض داني، الإحتلال السوري وطالب بحرية وسيادة وإستقلال لبنان، ورفض بشدة إتفاق الطائف وعارضه كونه وصاية خارجية تنتقص من إرادة اللبنانيين.

فكان مصيره كمصير غيره من الشرفاء... بحيث اقتحمت مجموعة مسلحة منزل قائد حزب الوطنيين الأحرار، وأفرغت رصاص إجرامها وحقدها في جسم رجل جريمته الوحيدة أنه أراد لبنان وطناً حراً ومستقلاً، لتصوب طلقاتها الأخيرة على أجساد بريئة جعلها القدر شاهدة على إجرام المحتل: فكانت أجساد زوجته أنغريد (48 سنة) وطفليه طارق 7 أعوام وجوليان 5 أعوام.

جريمة الاغتيال البشعة هذه هي إحدى حلقات مسلسل الإجرام التي عصفت بلبنان، والتي طالت كل وطني شريف نظيف الكف، أراد صيانة أرضه وشعبه من قبضة المحتل.

مات داني ما لسبب سوى لأنه كان إنساناً لبنانياً صادقاً، متمرداً على الظلم، داعماً لمبدأ لبنان الواحد بجميع طوائفه، وكان هذا التوجه يزعج الكثيرين من أصحاب الفكر التقسيمي.

اغتيال داني شمعون كان محاولة للقضاء على لاعب لبناني مناضل وفاعل قادر على جمع فئات الشعب اللبناني ولاسيما بعد نفي العماد عون.

ـ جريمة اغتيال داني شمعون وعائلته:

داني شمعون أعزل في جو من الخوف، ماذا عساه يفعل؟ أسئلة طرحها على نفسه، أيلتحق بإحدى السفارات لتنقشع الحالة الضبابية فيتدبر أمره؟ أيعود إلى مسكنه في الأشرفية؟ ذلك المسكن الذي حُرم من العودة إليه سابقاً قبل أن تتوسع رقعة الخلاف بينه وبين من يمسك بزمام الأشرفية؟ أيذهب إلى فقرا؟ فقرا في كسروان وكسروان تحت سيطرة «القوات اللبنانية» ويلزم لذلك إذناً مسبقاً من قائد القوات، وهذا الإذن يعز على داني طلبه، سيما وأنه المتيقن من شعور قائد القوات تجاهه، ماذا يفعل داني؟ أيذهب إلى دير القمر؟ وانتقل داني إلى دير القمر، انتقل داني إلى دير القمر بنعوش أربعة، اتخذت الأبيض وشاحاً من طيبة قلبه ومن صدق زوجته ومن طهارة طفليه.

ـ داني شمعون وكتيبة النمور:

هكذا انتهى السياسي الشاب داني شمعون بعد رحلة طويلة أمضاها في المعترك العسكري والسياسي اللبناني المزدحم بالكثير

من التفاصيل الإنسانية، عاد داني إلى دير القمر البلدة الجبلية اللبنانية التي ولد فيها في آب/أغسطس عام 1934 لعائلة قدر لها أن تلعب دوراً كبيراً في البلد الصغير، فأبوه الرئيس الأسبق للجمهورية اللبنانية كميل شمعون ووالدته زلفا هانم. برز داني خلال الحرب الأهلية التي أدت إلى انقسام في الشارع اللبناني وسمحت لقوى إقليمية وخصوصاً إسرائيل بالتدخل واستخدام التناقضات المتجذرة في الكيان اللبناني من أجل تنفيذ مصالحها، وسط هذه الأجواء استعادت الأحزاب اليمينية وتحديداً حزبا الكتائب والأحرار بريقهما في المناطق الشرقية، في حين فعلت الأحزاب اليسارية والإسلامية حركتها في المناطق الغربية بالتعاون مع المقاومة الفلسطينية في عملية استقطاب حاد أدت إلى تمزيق لبنان إلى مجموعة كنتونات طائفية منقسمة على نفسها ومتحاربة فيما بينها.

هذا الانقسام بين اللبنانيين سمح لإسرائيل بالتدخل مباشرة وتأجيج نار الصراع من خلال تحالفها مع بعض الأحزاب اليمينية.

أسس داني شمعون كتيبة النمور معتمداً على إرث والده وجعل منها الذراع العسكري لـ «حزب الوطنيين الأحرار».

وصل الصراع اللبناني ـ اللبناني عشية الحرب الأهلية حول القضايا الوطنية الداخلية إلى التصادم وإلى انتشار عمليات التسليح والتدريب بين المليشيات اليسارية واليمينية، ومثل كثير من الشباب المنتمين إلى عائلات سياسية أسس داني شمعون «كتيبة النمور» معتمداً على إرث والده جاعلاً منها الذراع العسكرية لحزب الوطنيين الأحرار، قاد داني شمعون تنظيم النمور طوال حرب السنتين

وخاض معاركها الكبرى وفق مفاهيم سياسية مختلفة عن نظرائه من قادة المليشيات.

كرس اعتماد الحل العسكري للأزمة بدلاً من الحوار الانقسام الطائفي في الساحة اللبنانية ومع رجحان هذا الخيار في جانب هذا الفريق أو ذاك فإن مسلسل الأحداث المأساوية اعترضته فصول من العنف الطائفي السافر كالقتل والخطف على الهوية والتهجير بين المناطق اللبنانية.

في مطلع العام 1978 أخذت العلاقات بين سوريا والجبهة اللبنانية تتجه نحو التوتر وغادر الرئيس سليمان فرنجية الذي كان يرأس الجبهة آنذاك إلى بلدته زغرتا في شمال لبنان. انفصال الرئيس فرنجية عن حزبي «الكتائب» و«الأحرار» فاقم الخلافات بين الكتائب وتنظيم المردة الذي كان يرأسه نجله الرئيس النائب طوني فرنجيه.

أقلقت الشعبية التي كان يحظى بها آل فرنجية في الشارع المسيحي الشيخ بشير الجميل، فقرر وضع حد لما اعتبره تهديداً لمسيرته السياسية، فجرد حملة عسكرية في الثالث عشر من حزيران/ يونيو عام 1978 ضمت عشرات المقاتلين وعلى رأسها ابن الشمال سمير جعجع لشن هجوم على زغرتا أسفر عن مقتل طوني فرنجية وزوجته وابنته.

أدى اغتيال طوني فرنجية إلى قطع أي اتصال بين سوريا والجبهة اللبنانية، انفجر بعدها الوضع العسكري بين الجانبين وأسفر عن خروج الجيش السوري من المناطق الشرقية بداية العام 1979، وتوج الانسحاب السوري الشيخ بشير زعيماً على الساحة المسيحية.

ومع انكفاء آل فرنجية إلى الشمال لم يعد في مواجهة بشير سوى زعامة داني شمعون الذي لم ينجح قائد القوات في ترويضه.

ضجت المناطق المسيحية باشتباكات حزبي «الوطنيين الأحرار» و«الكتائب» التي أصبحت أكثر دموية، وبينما كان كل حزب يحاول الإمساك بالأرض والتحصن بها في مواجهة الآخر بدأ مشروع الشيخ بشير يأخذ اتجاهاً آخر، إذ عبر في كل مناسبة عن رغبته في أن يصبح رئيساً لجمهورية لبنان وعن اعتقاده بأن وصوله إلى هذا الهدف يمر عبر الإمساك بالقرار داخل المنطقة الشرقية لكسب الشارع المسيحي والظهور بمظهر الزعيم القادر على صوغ تحالفات لم تكن إسرائيل بعيدة عنها.

اتخذ بشير قراراً بما سماه توحيد البندقية المسيحية وشنت قواته هجوماً على مراكز الأحرار كافةً.

ـ مجزرة الصفراء.. داني وبشير وجهاً لوجه:

وضعت مجزرة الصفراء داني وبشير وجهاً لوجه وبدت مثل رصاصة قطعت آخر الخيوط بين علاقة متوترة وبين شابين طموحين في جو يسيطر عليه العنف اللا محدود، لقد خلقت مجزرة الصفراء شعوراً بالمرارة والهزيمة لدى داني شمعون ولكن ما آلمه أكثر كانت دعوة والده إلى حل مليشيا «النمور» ونسيان ما حصل حرصاً على المسيحيين.

ولكن هذا القرار الذي اتخذه الرئيس شمعون كان قراراً حكيماً ومن رئيس يضحي بولده مقابل خلاص شعب بأكمله، وقال ذلك

بالحرف الواحد لداني بعد المجزرة بساعات: «أنا بخسرك وبخسر كم واحد من الحزب بس ما بخسر خمسة آلاف مسيحي».

ويقول جورج الأعرج وهو أحد الناجين من المجزرة: «نزلوا من الكميونات وفتحوا النار عشوائياً على كل الموجودين بمبنى.. اللي كان فيه نسوان وأولاد عم بيسبحوا وفاق عدد القتلى الـ 100».

مجزرة الصفراء كانت فاصلاً في العلاقة بين حزب الأحرار وداني على رأسه وكميل شمعون وبين قيادة الكتائب.

بعد مجزرة الصفراء غادر داني لبنان إلى الخارج، فيما استمر والده على تحالفه مع آل الجميل، وبعد اغتيال بشير الجميل وانتخاب شقيقه الشيخ أمين رئيساً للجمهورية عاد داني إلى لبنان لاستعادة ما خسره.

في الثاني عشر من آذار/ مارس عام 1985 تمردت القوات اللبنانية على سلطة أمين الجميل وأحكمت سيطرتها على المناطق الشرقية، وتزامن هذا التمرد مع تنازل من الرئيس شمعون في الـ 24 من آب/ أغسطس من العام نفسه عن رئاسة حزب الوطنيين الأحرار لداني شمعون.

مهّد تسلم داني لرئاسة الحزب السبيل أمامه إلى الدخول مجدداً إلى وسط الساحة السياسية المسيحية من خلال تعيينه عضواً في الجبهة اللبنانية، لكن الرياح لم تجر كما تشتهي سفن داني شمعون، فجميع أعضاء الجبهة اللبنانية كانوا على علاقة طيبة بسمير جعجع الذي كانت علاقته بداني يشوبها الحذر.

اختلف سمير جعجع عن من سبقه في قيادة القوات في أنه جعل منها مجموعة أجهزة يقودها أشخاص نشأ معهم وربطتهم به علاقات وثيقة أقلها صلة النسب والقرابة والجوار، كرست هذه السياسة جعجع قائداً يمنع على أيٍ كان أن يخرج عن نطاق سلطته، وحده داني شمعون خرج عن هذا السياق وأعلن ترشيحه لرئاسة الجمهورية في السابع من آذار/مارس عام 1988.

ـ خطاب داني شمعون 1988:

«. . . اليوم داني شمعون مع المواطن للوصول إلى رؤية كاملة ممكن تنفذ في المستقبل بعد إشراك رأي المواطن إنطلاقاً من الحزب والحكومة وليس كحكومة وحاكم يفرض رؤيته على الشعب».

ويقول جبران تويني ـ عضو سابق في الجبهة اللبنانية: «اقترحت أن يكون داني شمعون مرشح الجبهة اللبنانية لرئاسة الجمهورية، وأكيد علناً ما حدا فتح فمه بس حسيت بعيون سمير بالإجتماع إنه متضايق».

بعد فشل إجراء الانتخابات الرئاسية عام 1988 دخل لبنان مأزقاً دستورياً، خرج الشيخ أمين الجميل من قصر بعبدا وكلف العماد ميشال عون برئاسة حكومة عسكرية، لم ينل هذا التصرف رضا جعجع فأمر قواته بعد أيام باجتياح منطقة المتن ودفع الرئيس الجميل إلى مغادرة لبنان، بعد هذه العملية أمسك قائد القوات بالمناطق الشرقية في حين وجد داني شمعون في الأحداث التي تلت الثاني والعشرين من أيلول/سبتمبر فرصته للثأر من القوات وزعيمها

فانحاز إلى جانب الجنرال ميشال عون، أقلق هذا التحالف سمير جعجع وبدأت المفاوضات لإقناع داني بالعودة عن التحالف مع عون، غير أن رئيس «حزب الوطنيين الأحرار» رفض ذلك واستمر الأمر على هذه الحال من التوتر بين جعجع وشمعون حتى انفجر الصراع بين عون والقوات في الواحد والثلاثين من كانون الثاني/ يناير عام 1990.

عززت هذه الأحداث افتراق داني عن جعجع، كما عززت في المقابل تحالف داني مع عون وصعَّد رئيس حزب الوطنيين الأحرار من مواقفه السياسية ضد قائد القوات وتمثل هذا التصعيد في انسحاب داني من الجبهة اللبنانية وتحريض بعض أحزاب الجبهة مثل «حراس الأرز» و«التنظيم» على الخروج منها ولم يكتفِ داني بهذه الخطوات فعمد إلى إنشاء جبهة جديدة موسعة برئاسته ضمت فعاليات سياسية وإجتماعية ساهمت في سحب بعض الغطاء المسيحي عن القوات وعززت من قوة داني في المناطق الشرقية.

واصل داني شمعون هجومه على جعجع وقواته العسكرية واتهمه بتنفيذ مجزرة نهر الموت التي ذهب ضحيتها عشرات المدنيين. وفي هذه المجزرة حصل إطلاق نار على المتظاهرين وأوتوبيس كان يقل عدداً من المدنيين وذهب ضحيته حوالى 28 مدنياً.

ـ سمير جعجع واغتيال داني شمعون:

ألهبت مواقف داني شمعون رأس سمير جعجع، فجيَّشت «القوات اللبنانية» أجهزتها ضد رئيس «حزب الوطنيين الأحرار»،

بدءاً من وسائل الإعلام، مروراً بتشجيع بعض قادة الأحرار على الانفصال عن الحزب وتشكيل حزب جديد، انتهاءً بتدبير أكثر من محاولة اغتيال جرى اكتشافها قبل حدوثها وجميعها كان من تدبير القوات.

ويقول جورج الأعرج: «بها الفترة هايدي تعرض داني لمحاولات اغتيال، أنا كنت موجود بواحدة، كان في حقل للرماية نذهب كل نهار أحد أو نهار سبت نعمل رماية على الأطباق.. على الصحون نأخذ ولادنا أولاده وأولادي ونروح نقوص، كان فيه مجموعة كثير من الناس، من ضباط الجيش اللبناني يلاقونا وأصحاب نروح للرماية.. يعني الصبحية ومنقوشة وفنجان شاي وقواس ويرجع كل واحد يروح على بيته، في أحد الأحادات اللي كنا رحنا إلى هونيك، ونحنا هونيك بها الحقل الرماية هذا بنمشي كي نقوص بنرجع بنيجي بنرتاح بساحة فيها بئر ماء، ما بنلاقي إلا داني بعلمي قاعدين نحنا وعم بنقوص بعد ما قعدنا نرتاح. لقينا داني بياخد المسدس وبدأ يطلق النار على الحرج، قلنا له شو هيك ما الصحون هون قال ما شفتوا هذا الأخ الهيك والهيك، قلنا له لا نحنا ما شفنا هلأ ما شفنا، ما شفنا بساعة القوص بس أكيد شفنا هو عم بيركض على رصاص.. يعني شفنا شخص عم بيركض على رصاص بس ما شفناه هو عم بينوضر لأن هو معه ناضور ركضوا الشباب وكان فيه ضباط من الجيش ومن المغاوير، ركضوا بالحرج.. يعني عملوا تمشيط على الحرج، يا لطيف بيظهر تلقطوا بحدا واقتيد إلى التحقيق هون ما عدنا سألنا نحن، كملنا وارتحنا وإذ بيجوا يخبرونا محل ما أنتو قاعدين يا شباب خدوا الأولاد فللو

الأولاد، شيلوا الأولاد من هون، فلوا من هون، وإذ محل ما بنقعد نرتاح، بها الجزء من البئر 200 كيلوا متفجرات موجودين بهذا المحل هايدا، محل ما كل المجموعة.. يعني بدك تعتبر المجموعة تقريباً كلنا نكون خمسة وعشرين لخمسة وثلاثين شخص مع أولادنا يعني، كنا كلنا قاعدين هونيك محل ما بنرتاح وفعلاً يمكن ما ارتحنا».

وفي مقابلة مع جبران تويني يقول فيها: «كنا ننزل كلنا نزور تحت جماعة داني وأصحابه وكان فيه واحد عنده طير صغير، كنا نقوص الطيور، انبعت لتحت تليفزيون مفخخ، ومر أحداً من هناك وقال إن التليفزيون مفخخ، صار فيه عدة محاولات اغتيال لداني».

فشلت حرب الإلغاء في تقليص نفوذ جعجع، كما أخفقت في منع تسويق إتفاق الطائف الذي دعمه جعجع وعمل على تثبيته من خلال خوض صراع عسكري مع عون استمر بضعة أشهر، صمود القوات في وجه العماد عون واستمرار الانقسام في المناطق الشرقية فرضا على الرئيس الياس الهراوي الذي انتخب رئيساً للجمهورية بعد اغتيال الرئيس المنتخب رينيه معوض اتخاذ قرار بوضع حد للاقتتال، فاجتاحت قوات عسكرية مشتركة تابعة للجيشين السوري واللبناني المناطق التابعة لنفوذ العماد عون وتمكنت في الثالث عشر من تشرين الأول/ أكتوبر من العام 1990 من إحكام سيطرتها عليها بعد لجوء العماد عون إلى السفارة الفرنسية في حين كان حليفه داني شمعون يعيش حالة من الخوف وينتابه شعور بالخطر من كل الداخلين إلى المناطق الشرقية.

أثارت الحركة السياسية التي قام بها شمعون جعجع، فسيطر عليه الخوف والهواجس من إقامة حلف جديد بين داني والسلطة، خصوصاً بعد عملية الثالث عشر من تشرين الأول/أكتوبر التي فتحت السبيل أمام إيلي حبيقة العدو اللدود لجعجع للدخول إلى المناطق الشرقية وعودة الحزب السوري القومي الإجتماعي إلى مناطق نفوذه التاريخية في المناطق المسيحية، وسط هذه التطورات التي لم يكن جعجع قد حسب حسابها جيداً، قرر قائد القوات عدم القبول بها بعد أن خلت الساحة المسيحية وتحديداً الساحة المارونية من أي منافس، فالرئيس الجميل خارج البلاد وريمون إدة وميشال عون أيضاً، فقرر ـ وحسب ما أثبته القضاء اللبناني ـ الخلاص من شمعون باعتباره الحلقة الأضعف في سلسلة أعدائه الجدد، أعطى أوامره لمسؤول الأمن في القوات غسان توما بالتحضير للخلاص من داني شمعون، انشغل توما بتشكيل المجموعة التي ستقوم بالمهمة، اختار أفرادها بعناية من المخلصين والمقربين إلى جعجع وطلب من نائبه طوني عبيد الإشراف على تدريبهم وتشكيل مجموعة لمراقبة ما يحدث في سنتر شاهين في بعبدا حيث يسكن داني شمعون، استغل توما صدور مذكرة من قيادة الجيش تطلب من أفراد الحراسة الالتحاق بوزارة الدفاع، الأمر الذي دفع مسؤول أمن القوات إلى الإسراع في تنفيذ المهمة بعد أن بات داني شمعون من دون حماية وحدد يوم الأحد في العشرين من تشرين الأول/أكتوبر موعداً لتنفيذ عملية الاغتيال، تنكر أفراد المجموعة بلباس الجيش اللبناني الذي سبق وصادروه خلال حربهم على ميشال عون.

وتقول جانيت دكاش ـ مديرة منزل داني شمعون: «دق الباب

على بكره الساعة سابعة، مين؟ قالي أنا أبو جورج، أبو جورج دائماً ما عم بيجيب المناقيش للولاد بتاع بكرة، جيت فتحت، فيه اثنين شباب واحد طويل وواحد قصير، واحد وقف قدام هيداك الباب وواحد وقف هون، واحد فات لجوة وواحد وقف هون، بانده للرئيس داني قلت له تفضل، إجى الرئيس داني سمعت لبيد جوا، رجعت بدي أشوف شو هايدا اللبيد، لقيت الرئيس داني بالأرض هناك بالصالون ومدامته هون بالأرض، جريت لهون على البلكونة عم أصرخ لحدا ليجي.. يجي العسكري اللي على الباب إجا وحطني هون بالحمام فوتنا لهون على الحمام وسكر الباب.. غلق الباب وراه العسكري، رحت لهناك ما في حدا.. ولا عسكري ولا حدا أبدا جوا.. ما في حدا مطبوش الباب وحالي بالأرض، عم بأتطلع الأولاد وين هم؟ بلاقي طارق هون بالأرض والدم عم ينزل من رأسه، بدي أشوف جوليان ركضت على الأودة عم عيط يا جوليان باعرفه بيخاف.. يا جوليان وينك؟ بلاقيه هون تحت التخت بسحبه من تحت التخت وبحمله وبمشي».

أثار اغتيال داني شمعون وبعض أفراد عائلته كثيراً من الجدل بشأن الجهة التي نفذت عملية الاغتيال، فكثيرون من عائلة داني ومحازبيه شككوا في الحكم الذي أصدره القضاء اللبناني، كما أكد آخرون صوابية هذا الحكم.

هذه هي مسيرة داني شمعون وقناعته منذ بدايات عمله السياسي، قناعة قاتل من أجلها ودفع ثمنها مرتين، الأولى عندما اصطدم بالشيخ بشير الجميل فخسر خيرة شباب حزبه وغاب سنوات

عن الساحة السياسية ومرة ثانية عندما اتخذ قراراً بمناصرة العماد عون في حربه ضد الوجود السوري وإنهاء دور الميليشيات والحد من تصرفاتها التي بدأ المواطنون يسأمون من تصرفاتها في المناطق المسيحية، فدفع داني هذه المرة ثمناً غالياً.

شهبور بختيار

(1914 - 1991)

درس شهبور بختيار القانون في جامعة «السوربون» وتطوع في الجيش الفرنسي أثناء الحرب العالمية الثانية، وانخرط في الحياة السياسية الإيرانية ببهرجتها وسجونها ووصل إلى منصب رئيس وزراء إيران في الحكومة التي شكلها الشاه محمد رضا بهلوي عام 1979 قبيل عودة آية الله الخميني، وفر بعد قيام الثورة إلى منفاه الاختياري في فرنسا، وتعرض لمحاولتي اغتيال نجا منهما بأعجوبة لكنه في الثالثة سقط قتيلاً بعدة طعنات في الصدر أودت بحياته.

ولد بختيار في إيران عام 1914 في أسرة غنية تنتمي إلى قبائل بختيار المعروفة بولائها التقليدي للشاه، وأكمل دراساته الثانوية والجامعية في لبنان ثم حصل على درجة الدكتوراه في العلوم السياسية من جامعة «السوربون» في باريس.

تطوع للقتال مع الجيش الفرنسي في الحرب العالمية الثانية ضد الألمان، وبعد الحرب عاد إلى إيران عام 1946 حيث انتخب نائباً لرئيس جمعية الصداقة الفرنسية - الإيرانية، ثم عضواً قيادياً في

مجموعة الكفاح القومي التابعة للجبهة الوطنية التي شكلها السياسي الإيراني محمد مصدق.

وفي الحكومة القصيرة التي شكلها رئيس الوزراء الإيراني الأسبق محمد مصدق (1951 ـ 1953) شغل بختيار منصب وكيل وزارة العمل. وعندما عاد الشاه محمد رضا بهلوي بالقوة إلى إيران فتح بختيار مكتباً خاصاً وعمل بالمحاماة.

وفي السنوات اللاحقة اعتقل بختيار بسبب نشاطاته السياسية المعارضة لحكم الشاه، وظل داخل السجن ست سنوات، أفرج عنه بعدها ورقي إلى منصب نائب رئيس الجبهة القومية وكُلف بإعادة تنظيمها.

كان بختيار عضواً قيادياً في حزب «إيران» ورفض المشاركة في المظاهرات التي كان العلماء الشيعة ينظمونها ضد حكم الشاه.

حاول الشاه في كانون الثاني/يناير عام 1979 احتواء ثورة الإسلاميين داخل إيران فعين بختيار رئيساً للوزراء، فانتزعت منه عضوية حزب «إيران». وأثناء توليه منصبه الجديد حاول أن يقوم ببعض الإصلاحات الداخلية ففكك البوليس السري «السافاك» وأطلق سراح المعتقلين السياسيين وأعطى ترخيصاً للعديد من الصحف المعارضة، لكن كل تلك الجهود توقفت بعد عودة آية الله الخميني من منفاه في فرنسا في الأول من شباط/فبراير عام 1979. وبالرغم من الشعبية الكبيرة التي كانت للإمام الخميني، فإن بختيار ظل على موقفه المعارض لتلك الثورة التي يعتبرها مناهضة للمفاهيم الليبرالية والعلمانية الغربية التي كان يؤمن بها.

انهارت حكومة بختيار بسرعة بسبب الخلافات التي دبت بينه وبين قادة الثورة الإسلامية، فاختفى عن الأنظار إلى أن استطاع الفرار إلى فرنسا في نيسان/أبريل من العام نفسه، وهناك أسس «حركة المقاومة الوطنية» في المنفى.

نجا بختيار من محاولتين لاغتياله لكنه قتل في الثالثة، حيث وجد مقتولاً بعدة طعنات في الصدر في بيته بباريس عام 1991 وحمّلت المنظمات الدولية لحقوق الإنسان النظام السياسي الإيراني المسؤولية[1].

(1) «شهبور بختيار»، موسوعة السياسية، المجلد الأول، الطبعة الثالثة، 1990، ص 498 ـ 499.

هايل عبد الحميد (أبو الهول)
(1930 ـ 1991)

ليس غريباً أن يفقد الكثير من الزعماء والقادة والشخصيات السياسية البارزة حياتهم نتيجة إيمانهم بأفكارهم ومواقفهم الخاصة والثابتة. وكثيراً ما تنتهي حياة هذه الشخصيات لنمو نفوذها وقوة سلطانها وتعالي مناصبها وتبنيها لمواقف واضحة ومعلنة أمام الجميع. !

فقد كان مصير كل قائد فلسطيني يصل إلى قمة الشهرة والمجد، بعد كفاح طويل وسجل حافل بالبطولة والتضحية أن تكون نهايته على يد العملاء والخونة أعضاء جهاز المخابرات الإسرائيلية «الموساد». فهذا الجهاز الإسرائيلي الخطير كانت له اليد الطولى في النيل من الكثير من رجال وزعماء منظمة التحرير عندما ضيق عليهم الخناق وطاردهم في شتى أنحاء الأرض، وأخذ في تصفيتهم جسدياً الواحد تلو الأخر، ولكنهم في النهاية قدموا حياتهم فداءً وتضحية لوطنهم. وكما نقول دائماً بأن الموت لا يعترف بالقوي والضعيف والكبير والصغير والشهير والمغمور، ولا يقف أمام التاريخ المشرف لهذه الشخصيات ولا يرتبط بمكان وزمان معين ولكنه حقيقة ثابتة

لا تثير أي جدل خاصة لو كان الموت طبيعياً. أما لو كان قتلاً أو اغتيالاً فهو يثير الريبة والشك في أهدافه ودوافعه. وشخصيتنا هنا كانت مستهدفة بمفردها ولكن من قام باغتيالها استهدف حياة شخصيتين معها.! وبموت تلك الشخصيات فقدت منظمة التحرير الفلسطينية أحد أمهر قادتها وحراس أمنها الذي كان يتمتع بالقوة والنفوذ وتحمل المسؤولية. وكان له سجل حافل بالنضال والكفاح ضد اليهود على مدار سنوات طويلة.

من هو هذا الشهيد؟

معلومات جديدة تنشر لأول مرة. عملاء الموساد الإسرائيلي وراء عملية اغتيال الشهيد هايل عبد الحميد «أبو الهول».

هايل عبد الحميد الملقب بـ «أبي الهول» كان من قادة أمن منظمة التحرير الفلسطينية الكبار. وكان يتمتع بشخصية متزنة في مواقفها وآرائها خاصة فيما يتعلق بكل القضايا والمشاكل والهموم الفلسطينية والعربية وكان ملماً بكل التفاصيل السياسية العربية والعالمية والتي كان يتقن الحديث فيها بكل لباقة وطلاقة وعلم وذكاء. ورغم أنه لم يكن يتحدث كثيراً إلا أن كلماته القليلة في أي موضوع كانت معبرة ومقنعة ويسهل نفاذها لعقول وقلوب من يسمعه ولذلك كان يتمتع بعلاقاته الجيدة مع كل الجهات المحيطة به. وكان أبو الهول دائماً يعمل من أجل حفظ الأمن العام العربي الفلسطيني ولم يكن على خلاف مع أحد سوى زعيم منظمة المجلس الثوري الفلسطيني صبري البنا. ولكن هذا الخلاف لم يكن يؤثر على قيام أبي الهول بالمهام الموكلة إليه.

ـ وقائع عملية الاغتيال:

كما أبو الهول وكما صلاح خلف وفخري العمري، في النهاية تم اغتيالهم بيد عربية على أرض عربية. فقد كانت تلك اليد العربية هي يد فلسطينية. وتلك الأرض العربية هي الأرض التونسية ولم تخسر إسرائيل عدوتهم الأولى والأخيرة والتي كانت تتمنى قتلهم مهما كلفها الأمر، ثمن رصاصة واحدة..! كيف تمت عملية الاغتيال..؟

في أحد أيام شهر كانون الثاني/ يناير عام 1991 اتصل صلاح خلف بصديقه هايل عبد الحميد في تمام الساعة الثانية عشر ليلاً يخبره بأن الرئيس ياسر عرفات سوف يصل على طائرته الخاصة إلى تونس قادماً من العاصمة العراقية بغداد في تمام الساعة الواحدة صباحاً، وعليه إبلاغ أعضاء القيادة الفلسطينية للذهاب إلى المطار من أجل استقبال سيادة الرئيس قبل نزوله من طائرته بعشرين دقيقة على الأقل. وطلب أبو الهول من صلاح خلف أن يأتي إليه في منزله ثم يذهبان إلى المطار لاستقبال الرئيس معاً في سيارة واحدة. فوافق صلاح خلف وحضر إلى منزل هايل عبد الحميد في تمام الساعة الثانية عشر والربع ليلاً. واستقبله أبو الهول في صالون منزله الخاص في الوقت الذي كانوا يستعدون للذهاب إلى المطار لتأمين وحراسة موكب الرئيس الفلسطيني ياسر عرفات. وعندما دقت الساعة تمام الواحدة صباحاً خرج صلاح خلف وهايل عبد الحميد إلى خارج المنزل وأخبرا فخري العمري بسرعة التحرك إلى المطار مع أفراد الحراسة والأمن. وأصدر فخري العمري أوامره بتجهيز السيارات وركوب أطقم الأمن والمخابرات. وكان صلاح خلف

وهايل عبد الحميد يقفان بجانب إحدى السيارات التي اتضح أنها سيارة صلاح خلف وكانا يتحدثان بشأن ذهاب كل واحد منهما إلى المطار في سيارته الخاصة، ولكن قبل إنطلاقهما بلحظات قليلة فتحت النيران على صلاح خلف لتخترق الطلقات النارية جسده وتمزق جميع أعضائه. فصرخ هايل عبد الحميد بأعلى صوته في أفراد الحراسة طالباً منهم محاولة إسعاف صلاح خلف وانضم إليهم فخري العمري مسرعاً ليحاول إسعافه ونقله إلى أحد المستشفيات ولكن هايل عبد الحميد وفخري العمري تلقيا دفعة طلقات نارية من مدفع رشاش إصابتهما بجروح وإصابات قاتلة. وعلى الفور تم نقلهم إلى أقرب مستشفى لإنقاذ حياتهم. ولكنهم ماتوا وهم في الطريق إلى المستشفى.

تقول زوجة أبو الهول، بأنها كانت نائمة في فراشها وأيقظها فجأة صوت الرصاص قادماً من غرفة المطبخ تحتها، وسمعت حمزة يصيح عدة مرات «دع عاطف أبو بكر يساعدك الآن» ثم سمعت زوجها يصيح: «ماذا فعلت يا حمزة؟»، وهنا انطلقت عدة رصاصات وحاول أبو الهول أن يصل إلى الباب ولكنه، أي حمزة، عاجله برصاصة في رجله ثم في المعدة عن قرب. أسرعت زوجة أبو الهول إلى الغرفة الملحقة حيث وجدت ابنتها ذات السبعة عشر ربيعاً مكومة في سريرها، فأخذتها بين ذراعيها وسمعت أقدام تصعد السلم واقتحم حمزة عليهما الغرفة وأغلق الباب وراءه وصاح بهما: إن الإسرائيليين هنا، لقد قتلوا أبا الهول. لقد قتل الإسرائيليون أبا جهاد المسؤول العسكري في المنظمة منذ ثلاثة أعوام، وربما صدّقت المرأة حمزة في كلامه. وصاحت زوجة أبو الهول: هل

هو حي؟ دعني أدخل وأراه. لقد جرح، ولا تسأليني أكثر من هذا. جلست المرأتان معاً على الأرض في أحد الأركان، الابنة تصرخ والأم تحاول تهدئتها، بينما حمزة يجول في الحجرة صامتاً، وأخذ يلتقط أشياء صغيرة من طاولة زينة الفتاة، وكان يفحصها ثم يضعها مرة أخرى ثم يحدق من النافذة. رأى البرق وسمع الرعد وكان المطر يتساقط. كان الظلام شديداً في الخارج ثم سأل الفتاة: هل هذا سريرك؟ فلم تجبه الفتاة فكرر السؤال فطلبت الأم من الفتاة أن تقول له نعم. أخذ يصيح بغضب: لماذا ليس لي سرير مثل هذا ولا مكتب ولا غرفة؟ لأنني لست ابن أحد القطط الفلسطينية السمان. وأخذ يسب المنظمة وقائدها كلهم عملاء، خونة، مأجورين، قتلة من الفساد. وسمعته زوجة أبو الهول يسب عاطف أبو بكر أحد المنشقين من منظمة أبو نضال وأقسم أن يقتله. ثم أخذ ظرفاً من جيبه وبحث فيه عن حبة ابتلعها ثم ابتلع أخرى وأخرى على مدى الخمس ساعات التي احتجزهم فيها كرهائن. وسمعوا سيارات تتوقف أمام المنزل، ووقع أقدام هنا وهناك. لقد وصل البوليس التونسي. كانا أبو إياد والعمري قد فارقا الحياة. أما أبو الهول الذي نزف كثيراً فقد توفي في المستشفى في غرفة العمليات. في الطابق العلوي كان الهاتف يدق ويدق. وأخيراً أجابه حمزة. كان هادئاً وسمعته زوجة أبو الهول يقول: لقد قتلت أبو إياد وأنا احتجز الآن عائلة أبو الهول كرهائن ولن أطلق سراحهم إلا إذا أتيتني بعاطف أبو بكر. لدي رسالة له. وغمر البوليس التونسي المكان بالضوء واستخدم مكبرات الصوت ينادي حمزة: حمزة، أترك النساء ولا نريد منك شيئاً. وأخذوا يكررون الرسالة نصف

ساعة. ثم ساد الصمت وكان حمزة يخرج الأقراص من مظروفه ويبتلعها. في ساعات الصباح الأولى ناداه البوليس ليقولوا له أنهم يريدون التفاهم معه. ماذا كانت مطالبك؟ لقد طلب منهم طائرة تقله إلى خارج البلد، فقالوا له إنهم يحتاجون إلى تصريح من سلطات أعلى، وعندما عادوا قالوا له إنهم في حاجة إلى بعض المعلومات عن شخصيته، فاقترح أن يلقي لهم ببطاقته الشخصية من النافذة، فقالوا إن المطر سيتلفها، ثم اتفقوا على أن يسلمهم البطاقة من خلال فتحة صغيرة في الباب الأمامي، ثم سمعته زوجة أبو الهول يغلق الباب ويعود إليهم يجر أقدامه ثم سمعت مدفعه يسقط على الأرض فاندفعت نحوه فوجدته ممداً على السلم فاقداً الوعي، واكتشفت بعد ذلك أن البوليس رشّ في وجهه بعض الغازات المخدرة، وأسرعت بفتح الباب فدخل البوليس. ولكن من هو القاتل؟

تاريخ وحياة القاتل:

كان حمزة أبو زيد شاباً فلسطينياً آخر له ماضٍ مضطرب، كما هو مدون في ملفات المنظمة، كان عنوانه الدائم هو: محل مصطفى سليم خلف مدرسة البنات معسكر اللاجئين الوحدات الأردن. ولد في معسكر الوحدات عام 1963 وقضى التسعة عشر عاماً الأولى من حياته هناك، نزحت عائلته من فلسطين في العام 1948، وتركوا موطنهم سفريه بالقرب من يافا في مواجهة الجيوش الإسرائيلية المغتصبة والتي قتلت الشجر والبشر. في تموز/يوليو عام 1982 عبر حدود الأردن إلى سوريا بطريقة غير شرعية لكي

ينضم إلى صفوف «فتح»، ولكن السوريين قبضوا عليه عند الحدود، ولما لم يجدوا شيئاً ضده سلموه لفتح فوضعوه في كشف المرتبات وأرسلوه إلى معسكر صلاح الدين بالقرب من دمشق.

في تشرين الأول/ أكتوبر عام 1982 أُرسل إلى يوغسلافيا في دورة تدريب مدتها 10 أسابيع على استخدام الأسلحة وواجبات الأمن وعاد إلى دمشق في كانون الأول/ ديسمبر.

في شباط/ فبراير عام 1983 أرسل إلى باكستان كحارس أمن لمكتب المنظمة هناك. وفي أيلول/ سبتمبر 1984 قضى إجازة لمدة أسبوعين في مقر المنظمة في تونس.

في تشرين الأول/ أكتوبر عام 1984 أرسل إلى بلغاريا كحارس أمن في مكتب فتح ولكنه لم يكن ملتزماً بالنظام فأعيد إلى تونس في تشرين الثاني/ نوڤمبر حيث اعتقلته فتح لمدة شهر.

في العام 1985 أرسل إلى قبرص كحارس أمن في مكتب المنظمة، ولكن بعض رجال المخابرات الفلسطينية كانوا حساسين لأي اختراق إسرائيلي واعتقدوا أن أحد عملاء الموساد تنكر في زي عضو من أعضاء أبو نضال واقترب منه لينشق عن المنظمة ومع ذلك فقبل نهاية العام أعيد إلى الاعتقال في تونس لسوء السلوك، وأطلق سراحه عام 1986 وعمل كحارس أمن في مقر المنظمة في حمام الشط، ومرة أخرى سبّب المتاعب وأنه لا يعتمد عليه فتقرر إرساله إلى لبنان وحيث أنه لم تكن هناك وسيلة نقل جاهزة اتخذ أبو الهول ـ مسؤول الأمن في فتح ـ قراراً غير عادي بتعيينه حارساً شخصياً له في منزله وبعد ثلاثة أشهر فر حمزة إلى

العراق مع حارس أمن آخر وتمكن من العمل في مكتب فتح في بغداد، وعندما أغلق هذا المكتب عام 1986 تفرق موظفوه ووجد حمزة نفسه في المجر.

خلال تلك الفترة من حياة حمزة لم تعثر المنظمة على تاريخ حياة له ولكنهم يعلمون أنه قضى ثمانية عشر شهراً يتجول في أوروبا الشرقية في بودابست ووارسو حيث قضى 21 يوماً في السجن، وبراغ وبلغراد. وكانت لأبي نضال في بلغراد قاعدة مميزة أفضل من تلك التي في قبرص عام 1985 فجنده أبو نضال.

في تموز/ يوليو عام 1988 وصل حمزة إلى الفيليبين باسم مستعار واتصل برئيس إتحاد الطلبة الفلسطينيين في مانيلا وقال له أنه سيركب على سفينة يونانية ليهاجر إلى أستراليا، وطلب منه أن يقدمه إلى مكتب «فتح»، ولكنه لم يصدق قصته وشك أنه يعمل لحساب منظمة معادية، فاستبعده موظفو المنظمة المحليون. وفي مانيلا عاش مع بعض الطلبة الفلسطينيين يقترض منهم مبالغ صغيرة ليعيش وكان أحدهم يمتلك مسدساً والآخر يمتلك بندقية أم 16. وذات يوم سرت إشاعة أن الجنرال أرييل شارون ـ وهو بالنسبة لهم الشيطان مجسد ـ سوف يصل إلى المدينة فصمموا على اغتياله وراقبوا السفارة الإسرائيلية لهذا الغرض، ورأى أحدهم إحدى سيارات السفارة وشخصاً يركب في الخلف مثل شارون، فاستأجروا سيارة خاصة بهم وحملوها بأسلحتهم وقضوا يوماً وليلة في ذهاب وإياب بين السفارة الإسرائيلية والفندق الرئيسي ووزارة الخارجية يبحثون عن شارون ولكن عبثاً.

وفي تشرين الثاني/نوفمبر عام 1989 غادر حمزة الفليبين يائساً كما قال صديقه في الغرفة، ولا يوجد سجل للمكان الذي ذهب إليه بعد ذلك. ثم ظهر في ليبيا في ربيع العام 1990 وزار مكتب المنظمة في طرابلس عدة مرات طالباً العمل عند أبا الهول.

في أيار/مايو عام 1990 ذهب أبو الهول إلى ليبيا ليحضر حفل تأبين أبي جهاد المسؤول العسكري عن المنظمة والذي قتله الإسرائيليون في تونس في نيسان/إبريل عام 1988. وتمكن حمزة من مقابلة أبي الهول وارتمى عند قدميه يبكي ويستعطف أن يعود مرة أخرى إلى العمل، فأخذت أبا الهول الشفقة وأعاده معه إلى تونس حيث عينه حارساً خاصاً في منزله.

في تشرين الأول/أكتوبر عام 1990 تذرع برؤية أخته التي لم يرها منذ مدة طويلة، وحصل حمزة على إجازة لمدة أسبوعين ليذهب إلى ليبيا، فقد أخبر المحقق أنه في ذلك الوقت كلفه أحد رجال أبو نضال ويسمى غالب بقتل أبي إياد، وقال أنه لم يكن يريد أن يفعل ذلك ولكنهم أخبروه أن أبا إياد هو مصدر كل الفساد في الحركة الفلسطينية، فهو الخائن الذي استخدم المنشق عاطف أبو بكر، يجب أن يموت أبو إياد لكي تعيش الثورة.

لقد كان حمزة التابع الشخصي والمرافق الدائم والصديق المدلل عند أبا الهول، وقد كان أبو الهول يصحبه معه في كل جولاته الخارجية التي يكلف فيها بمهام خاصة. وكان موضع ثقته المطلقة، وعند حسن ظنه دائماً ولم يكن أبو الهول يشرب الشاي أو القهوة إلا من يديه حتى يكون بأمان ويطمئن على حياته. . ! والغريب أن

هذا الصديق القاتل قد قام بإطلاق النار بدون خوف وبكل راحة من مكان بعيد على نقاط الحراسة والأمن والمخابرات التونسية والفلسطينية!

بعد أن نفذ جريمته قام بعمل حركة تمويه لكي يبعد الشبهات عنه عندما صاح بأعلى صوته: قتل أبو إياد.. قتل أبو إياد.. الحقوا بالقاتل واقبضوا عليه..! ثم جرى وأطلق رصاصة من مدفعه الرشاش في اتجاه منزل مواجه يقطنه رجل من يهود تونس. وذلك حتى يبعد أي تهمة عن نفسه وينسبها لهذا المواطن اليهودي من أصل تونسي. ولكن أمره قد انكشف وأصبح مطارداً من كل فئات الأمن والمخابرات التونسية والفلسطينية. فتسلل إلى منزل هايل عبد الحميد واحتجز زوجته وابنته كرهائن يساوم عن طريق الإفراج عنهما أحياء، ويخرج هو سالماً لأي مكان يختاره.

ولو تساءلنا عن الجهة صاحبة المصلحة في اغتيال القادة الثلاثة، لوجدنا أن جميع المؤشرات والدلائل تشير إلى أن الموساد الإسرائيلي وعملاءه وراء هذا العمل الإجرامي، حيث إننا نعلم منذ البداية وإلى النهاية أن إسرائيل هي العدو الأول والجهة الأولى صاحبة المصلحة الكبيرة ليس في قتل هؤلاء القادة الثلاث فقط، وإنما في قتل كل المناضلين العرب وخاصة الفلسطينيين الذين يقفون بكل قوة أمام جبروتها وغرورها. إن مصلحة اليهود تقتضي دائماً بأن يحاربوا العرب ويقتلوهم دون أن يحدث لإسرائيل أية خسائر. ويعرف عن اليهود أنهم يقومون منذ القدم وإلى الآن بتوظيف الظروف والخلافات العربية والعالمية لمصلحة أمنهم

واستقرارهم..! والملفت للنظر أن عملية الاغتيال قد تمت في ظل الظروف الصعبة التي تعيشها الأمة العربية بسبب الغزو العراقي للأراضي الكويتية، وتوافد قوات حلف الأطلسي على منطقة الخليج العربي بدعوى الاستعداد لتحرير الكويت من الإحتلال العراقي. ومن الملاحظ أن هناك توافقاً زمنياً بين هذه الأزمة التي كانت تعيشها الأمة العربية وتنفيذ عملية الاغتيال..! إن جهاز الموساد الإسرائيلي الذي يعمل دائماً في الخفاء والعلن من أجل التخلص من كل زعماء منظمة التحرير الفلسطينية وخاصة من يتمتعون بالعقول الذكية التي تفكر للمستقبل وتسبق الأحداث التي تراها بعمق وتعقل. والأخطر من ذلك تلك الشخصيات المعارضة للهيمنة والاغتصاب الإسرائيلي والتي تقف ضد المطامع اليهودية. ومن أهم هذه الشخصيات صلاح خلف وهايل عبد الحميد. وكانت إسرائيل ترى ضرورة التخلص منهما في ظل أزمة إحتلال الكويت لأنها عرفت عنهما التخطيط السليم لاستغلال الأحداث والظروف لصالحهما. كما أحست بالخطر الذي يهددها أثناء تلك الحرب، وإلى جانب تخوفها من العمليات الانتقامية التي تنفذها الجماعات الفلسطينية، ولذلك فقد أرادت أن تقضي على تلك الشخصيات قبل أن تخرج أفكارها للنور وتكون ضد مصالح إسرائيل[1].

---

(1) صحيفة «دنيا الوطن»، دكتور سمير محمود قديح.

صلاح خلف (أبو إياد)

(1933 - 1991)

بعض القيادات لها سحر، لها بريق، لها جاذبية، لها كاريزما، لها شبه قدسية، لها تأثير يتجاوز الجماعة ليطال الجماهير. ومثل هذه القيادات قليلة جداً، وتخرج في حقيقة الأمر عن خصائص القائد العادية.

لتدخل في باب الزعيم أو القيادة الكاريزمية أو المهابة، ولأن الزعماء من القادة قلة، فإن التعرض لسير البعض منهم لا يعني بالضرورة الإقتداء بهم فيما هو خارج نطاق الملموس أو غير المقدور عليه، وإنما يمكن تفهم شخصياتهم في مجالات الجاذبية التي جعلت منهم منتهى أمل الآخرين أو محركاً لأفئدة وعقول الجماهير أو من السهل على الناس أن يضحوا بالكثير من أجل هؤلاء أو من أجل ما يدعون له.

نطاق الزعامة فيه من السحر والتأثير على الجماهير الشيء الكثير ولأنه بمؤثرات جماعية فقد يكون التأثير سلبياً وقد يكون إيجابياً فزعيم مثل موسوليني قاد بلاده إلى الهاوية، ولكنه يبقى زعيماً استطاع استنهاض أمة ودفعها إلى الهزيمة، وفي المقابل ظهر من

القادة الزعماء في العصر الحديث غاندي، لينين، نهرو، مارتن لوثر، جمال عبد الناصر، تيتو، ديغول، ياسر عرفات، صلاح خلف.

ـ صلاح خلف في سطور:

صلاح خلف اسمه الحركي أبو إياد، هو سياسي فلسطيني بارز، من مؤسسي حركة تحرير فلسطين «فتح»، أشيع أنه زعيم منظمة أيلول الأسود.

قدم والده من مدينة غزة إلى يافا، وهناك ولد صلاح خلف عام 1933م وعاش أول سنين حياته حتى قبل قيام دولة إسرائيل بيوم واحد، حيث هرب وعائلته إلى غزة عن طريق البحر، فأكمل في غزة دراسته الثانوية وذهب إلى مصر عام 1951م ليكمل دراسته العليا في دار المعلمين هناك.

ـ شخصيته:

تحدث الكثيرون عن الكثير ممن ذكرنا من الشخصيات ولكن صلاح خلف القائد الفذ والشخصية الكاريزمية والمفكر السياسي (العملاني=البراغماتي) الكبير والمسؤول التنظيمي يعد نموذجاً للزعامة كما يعد نموذجاً للقيادة. فصلاح خلف المعتدل القامة غير طويلها، الأصلع الشعر المتين الجسد مع امتلاء لم يؤثر في مرونة حركته، ذو الشراهة في التدخين وشرب القهوة، العابس، الباسم، الصارم، الضحوك، المحافظ، التقدمي، الإنسان، الحريص، الأمين، السياسي المحنّك، الخطابي البارع، رجل الإستراتيجية

والتكتيك، الحذق، المناور، المحاور، المداور. لم يكن صلاح خلف (أبو إياد) طويل القامة ولم يكن يتمتع بجسد رشيق ولم يكن ذو شعر كثيف ولم تدل تقاطيع وجهه أو جبهته على جمال أخاذ ومع كل ذلك كان ساحراً جذاباً مثيراً للزوابع والعواصف حيثما حل وأينما رحل.

صلاح خلف القائد كان كتلة من الإيمان الصادق، والمشاعر الصادقة، والعقل الصادق، كان يتحرك بفعل هذا الصدق الظاهر في حركاته وسكناته وانقباضه وانبساطه، في عيونه وفي حركات يديه وفي تقطيب جبينه وفي طريقة إمساكه بالسيجارة وفي رنة صوته وفي طبقات صوته وفي طريقة خطابه عامة، في تعامله مع مرؤوسيه، كوادره، كوادر التنظيم والجماهير. كانت الآلاف والملايين تشتاق لسماع صوته وللقائه والإنصات لما يقول وكأنه يغني ويطرب أو يرتل فيشجي، لأنها وضعت فيه ثقة غير محدودة نبعت من اعتقادها بصدقه، وشعورها بصدقه الذي عبر عنه بكافة الأشكال معاملة ومحادثة، نفسياً وجسدياً، فكراً وإيماناً... أعطى الناس صدقاً فأعطوه ثقة، وأعطاهم فكر وأملاً ومستقبلاً فرسّموه قائداً وزعيماً.

كان صوت صلاح خلف الجهوري الصاخب ذو البحة المميزة جوهرة، وميزة هامة من ميزات شخصيته كما كان لدراسته العربية وإتقانها تأثيراً فيه أصيل، وكان لتطويره موهبته هذه أن أصبحت من سمات شخصيته بالإضافة لكل ما ذكرناه من سمات جسدية ونفسية وروحية.

كان صوت صلاح يعلن الحقيقة، ويتحرك في ملعب الجماهير ويسجل أهدافاً لم يبلغها أحد من رجالات الثورة الفلسطينية. وكان (أبو إياد) مع قدرته الجماهيرية الجاذبة، مهاب الجانب يتحرك في ركابه فريق عمل احترمه فحفظ له هذا الفريق الود، وحفظ له الوفاء وسار على دربه في مجالات عمل مختلفة وإن كان أبرزها في التنظيم وفي الأمن.

في المجالس الوطنية الفلسطينية وفي احتفالات إنطلاقة الثورة بشكل أساسي كان يظهر (أبو إياد) بلباسه المتواضع الذي لم يخرج عن بنطال وقميص أو بلوزة أو سفاري مميزاً متألقاً، يعدد المخاطر ويشرح الظروف، ويرسم الخيارات، ويحلل الواقع، ويطرح الرؤى ويصر على المحاججة ويريح السامعين فيما يريدون لأنه أتقن فهم المراد من احتياجات الناس والكوادر، وكان يتحرك في حديثه وكلامه بعينيه الحادتين، بيديه، وبرأسه كأنه (مايسترو) يقود (أوركسترا) مشكلة من جمل وفقرات وعناوين، أو كأنه فدائي يغني لبندقيته ولفلسطين أو كأنه طبيب يرسم لمرضاه طريق الشفاء.

في أحد المهرجانات التي أقيمت لتخريج طلبة الجامعة من الفلسطينيين في قطر عربي رفضت قيادة هذا البلد أن يتم التخرج في الجامعة وفي اللحظات الأخيرة. وكان صلاح خلف (أبو إياد) المدعو الرئيسي لتخريج كوكبة الطلبة والطالبات، وعندما علم من الطلاب بالأمر وهم في قمة الاستياء والحزن والإحباط، فلم يهتز ولم ينفعل وفهم المراد فقال بضرورة أن يتم الحفل مهما كلف الثمن وكان القرار أن يتم في مقر منظمة التحرير الفلسطينية. جاء

صلاح خلف (أبو إياد) وفي ركابه جيش من صحفيي البلد فقام يصدح على المنبر ويعبر عن العنفوان الشبابي الدائم حيث قرع المسؤولين في البلد وقال لهم: إن كنتم استثقلتم احتضان حفل للخريجين في جامعتكم خوفاً وانهزاماً فإننا سنحتفل في جامعاتنا في الوطن بخريجيكم بعد التحرير. وأخذ يعدد مساوئ الحكومات العربية ويشير بالإصبع إلى حكومة البلد، والصحافيون يسجلون كل ما يقول. لقد عبر عن أحاسيس الطلبة وإحباطهم وأملهم فدوت القاعة بالتصفيق، وكان في اليوم التالي في ضيافة رئاسة البلد يتلقى الاعتذار.

في نماذج القيادة أو الزعامة كان صلاح خلف الرجل القدوة والرجل الصادق ورجل الجماعة العنفوان.

ـ المسيرة النضالية:

بعد 19 عاماً من إنطلاق حرب غولدامائير غير المقدسة، بذريعة ميونخ، قتل صلاح خلف (أبو إياد) المسؤول الأمني الفلسطيني الأول، والرأس الأولى في منظمة أيلول الأسود وعملية ميونخ، على حين غرة، مع قياديين آخرين هامين أيضاً هما هايل عبد الحميد (أبو الهول) عضو اللجنة المركزية لفتح ومن مسؤولي الأمن وفخري العمري (أبو محمد) وهو مسؤول أمني، وكلاهما له علاقة بميونخ، وهما مساعدا أبو إياد القريبان منه، في عملية واحدة استهدفت الثلاثة، ولم يكن الموساد يحلم بها: عملية تتم بهذه السهولة واليسر وفي توقيت لا يمكن أن يكون مناسباً أكثر من غيره.

كان صلاح خلف مع ياسر عرفات وخليل الوزير (أبو جهاد)،

أهم قادة حركة فتح وكان يصنّف بأنه الرجل الثاني بعد عرفات وأحياناً الثالث بعد عرفات وأبو جهاد، ولكنه بعد اغتيال الوزير أصبح بلا شك الرجل القوي الثاني بعد عرفات.

كان أبو إياد معروفاً على الأقل بالنسبة للصهاينة بمسؤوليته المباشرة عن عملية ميونخ، التي أطلقت وفقاً للمزاعم الصهيونية حملة الاغتيالات الطويلة تلك، وترؤسه لمنظمة أيلول الأسود، التي تشكّلت بعد الحرب الأهلية في الأردن والتي عرفت باسم أيلول الأسود أيلول/سبتمبر عام 1970، والتي يصفها الكثير من الفلسطينيين بأنها المجازر التي ارتكبها النظام الهاشمي في الأردن ضد الفدائيين، والتي انتهت في تموز/يوليو 1971 بعد جمع ما تبقّى من الفدائيين، وفقاً لإتفاقيات مع الحكومة الأردنية لم تلتزم بها بعد حين، في أحراش جرش وعجلون، وانتهت تلك المذابح بمحاصرة عجلون وجرش وقتل وتشريد وجرح واعتقال نحو ثلاثة آلاف فدائي فلسطيني وعلى رأسهم قائدهم أبو علي إياد، الذي اكتسب سمعة طيبة جداً وسط الفدائيين وأجيال أخرى متتالية باعتباره زعيماً لا يساوم.

وقبل قتل أبي إياد الذي كان عضواً في اللجنة المركزية لحركة فتح استطاع أن يرسل رسالة لرفاقه، يقول البعض إن فيها كثيراً من اللوم والغضب والوعيد، باعتبار أنه تُرك وحيداً في كمين بين أنياب رجال البادية، ولكن يتفق الجميع على ما قاله بعد تلك الرسالة التي بثها لزملائه في القيادة عبر جهاز إرسال قام بتحطيمه بعد إنهاء الرسالة ليواجه ورجاله مصيرهم وحيدين.

والجملة التي قالها أبو إياد «نموت واقفين ولن نركع»، وهو ما حدث بالفعل، وردّدت كثيراً من قبل أجيال متتالية من الفدائيين الفلسطينيين، وإلى اليوم تذكر هذه العبارة كلما ذُكر الشهيد أبو إياد.

بعد مذابح جرش وعجلون التي تلكأ العرب في وقفها عمداً، وعندما تدخّلوا كان كل شيء قد انتهى، وفي أجواء ما بعد المذابح تأسست منظمة «أيلول الأسود» في خريف العام 1971، للقيام بنوع جديد من العمليات التي يطلق عليها الكثيرون إرهابية، وحاول أبو إياد إعطاءها نوعاً من المحتوى السياسي.

وفي كتابه «فلسطيني بلا هوية» الذي أملاه على الصحافي الفرنسي المستعرب أريك رولو يتحدث أبو إياد عن أولى عمليات «أيلول الأسود» في تشرين الثاني/نوفمبر عام 1971، والتي كانت اغتيال وصفي التل رئيس الوزراء الأردني العتيد، الذي حملته الفصائل الفدائية المسؤولية عن المجازر التي ارتكبت ضد أفرادها في عمان وجرش وعجلون.

في يوم 28 تشرين الثاني/نوفمبر 1971، كان وصفي التل محاطاً بحراسه ومرافقيه يدخل فندق «شيراتون» في القاهرة، لحضور إجتماع مجلس الدفاع العربي المشترك، عندما اغتاله رجال «أيلول الأسود»، في عملية قال أبو داود فيما بعد إن المسؤول عن التخطيط لها هو أبو يوسف النجار.

ويصر أبو إياد على التفريق بين ما يسميه العنف الثوري والإرهاب والاغتيال السياسي، معتبراً أن منظمة «أيلول الأسود»، «لم تكن منظمة إرهابية مطلقاً بل تصرّفت دائماً كرديف ملحق

بالمقاومة في الحين الذي لم يكن بوسع هذه الأخيرة فيه، أن تضطلع بمهماتها العسكرية والسياسية كاملة».

ويشير أبو إياد، وهو لا يريد بالطبع أن يكشف في ذلك الكتاب كلّ ما يعرفه عن أيلول الأسود، أو عن دوره المباشر في قيادتها، إلى أن أعضاء أيلول الأسود كانوا يؤكّدون دائماً وأبداً «أنه ليست لهم أية صلة عضوية بفتح أو بمنظمة التحرير الفلسطينية، ومن يعرف عناصر هذه المنظمة، يستطيع أن يؤكد أنهم ينتمون في غالبيتهم إلى مختلف المنظمات الفدائية، وبالنظر إلى أنهم خرجوا من صفوف هذه المنظمات فإنهم كانوا يترجمون ترجمة صادقة مشاعر الإحباط والسخط إزاء مذابح الأردن وإزاء التواطؤات التي مكّنت من تنفيذ هذه المذابح».

وليس كل ما قاله أبو إياد هنا صحيحاً، خصوصاً من جهة نفي علاقة فتح بأيلول الأسود، وكما سبق الإشارة فإن وقت صدور الكتاب عام 1978م لم يكن ملائماً، من وجهة نظر أبو إياد على الأغلب، لنشر كل المعلومات التي هو خير من يعرفها باعتباره المسؤول عن أيلول الأسود، ويمكن تفسير إشارته إلى تعدد انتماءات أفراد أيلول الأسود، إلى أن أيلول الأسود، كانت تتكوّن من مجموعات مختلفة عنقودية التنظيم إذا جاز التعبير، وبالنسبة لعملية اغتيال وصفي التل التي دشنت منظمة أيلول الأسود، فإن المسؤول عنها، حسب شهادة أبو داود، فإنه أبو يوسف النجار.

ومما يدلّ على ما ذهبنا إليه فإن أبو داود يشير إلى أن النجار لم يكن له علاقة بأيلول الأسود وأنه فقط أصدر بياناً باسم أيلول

الأسود تتبنى عملية اغتيال وصفي التل، ويمكن تفسير كلام أبو داود على أن منظمة أيلول الأسود كانت تضم عدة مجموعات ليس من الضروري أن تكون بينها رابطة تنظيمية.

المهم أن اغتيال وصفي التل المدوّي، كان أول إعلان عن منظمة أيلول الأسود، والتي ستكون عملية ميونخ، العملية المدوية الأخيرة لها! وبكثير من الحذر عرض أبو إياد لروايته لعملية ميونخ، باعتباره كما قال استجوب مطوّلاً الناجين الثلاثة من المجموعة، وتحرزاً أمام الأمانة التاريخية التي ستقف في يومٍ ما أمام الرواية الكاملة لعملية ميونخ فإن أبو إياد يشير إلى أن سرده للوقائع، استناداً لاستجوابه للثلاثة، محكوم بالقدر الذي تسمح به القواعد الأمنية، من تفصيل.

ويمكن هنا الإشارة إلى ظروف إملائه لمذكراته لأريك رولو، فرولو الصحافي الفرنسي الكفؤ الذي تربطه علاقات واسعة ومتعددة ومع مختلف الطبقات والأجيال في العالم العربي، حضر إلى بيروت ليعدّ كتاباً عن ياسر عرفات لصالح إحدى دور النشر العالمية ولكن عرفات امتنع، فبعد مشاورات مع جهة النشر تم الإتفاق مع أبي إياد الذي وافق بشرط أن لا يعلم ياسر عرفات عن تلك الجلسات التي كانت تتم في مناطق في بيروت وفي ظروف الحروب الصغيرة والكبيرة التي كان مسرحها لبنان، وينطلق فيها أبو إياد في الحديث ولكن كما يتبين من وراء سطور الكتاب أنه كان حذراً!

وبالطبع تتقاطع رواية أبو إياد (الناقصة) مع رواية أبو داود

(الكاملة) لما حدث، مع كثير من التمويه، فمثلاً في حين تحدّث أبو داود، على أن أبا إياد نفسه قام بإدخال الأسلحة إلى ألمانيا لتنفيذ العملية، فإن أبا إياد يتحدث، لاعتبارات مفهومة بظروف زمن صدور الكتاب، إلى قيام شخص وزوجته بإدخال الأسلحة.

وهناك تفاصيل يذكرها أبو إياد عن العملية وكيفية تنفيذها، تبدو مقارنة برواية أبي داود، بأن الكثير فيها كان غير صحيح وربما للتمويه.

وهناك تفاصيل أخرى ذكرها أبو إياد تبين مدى علاقته الوثيقة بالعملية، خصوصاً بقائدي المجموعتين الأول الذي يسميه عمر مصالحة، وأبو داود أسماه محمد مصالحة، والثاني تشي غيفارا.

عن مصالحة قال أبو إياد، إنه كان غادر مسقط رأسه في حيفا وهو طفل، وينتمي لأسرة من الفلاحين الفقراء، وهو حاصل على شهادة في الجيولوجيا، وعمل في حركة فتح كمفوّض سياسي، وكان يجيد اللغة الألمانية.

وقال عن تشي غيفارا، إنه مثل مصالحة متمرس بالأعمال الفدائية وهو حاصل على شهادة الحقوق من فرنسا. ويروى أنه في مرحلة الإعداد الأولى للعملية تم اختيار خمسين شاباً تتراوح أعمارهم ما بين 17 وعشرين عاماً، ليتلقوا تدريبات مكثفة وجميعهم من مخيمات اللاجئين في لبنان وسوريا والأردن، وكانوا يجهلون المهمة التي ربما ستوكل إليهم، ولكنهم يتمتعون بحماس كبير للمشاركة في أي عمل فدائي، وهنا يروى بأنه تم استبعاد أحد الفدائيين اليافعين لأنه سبق أن استشهد له اثنان من الإخوة في

عمليات سابقة، ولكن هذا الفدائي اليافع احتج وبكى وهدّد بالانتحار إذا لم يشارك في العملية، وهو ما حدث فعلاً وسقط شهيداً فيها.

ويتطرق أبو إياد إلى عناد غولدامائير رئيسة وزراء الكيان الصهيوني بشأن الاستجابة لمطالب الفدائيين بإطلاق سراح الأسرى الفلسطينيين من سجون الإحتلال.

ويقول أبو إياد إن «عناد السيدة غولدامائير رئيسة الحكومة الإسرائيلية في تلك الأثناء غير طبيعي تماماً، من حيث إنها لم تظهر أية إرادة في إنقاذ حياة الرهائن، أما المغاوير الذين كانت التعليمات الصادرة إليهم توصيهم بألا يقتلوا أسراهم، فإنهم راحوا يمدّدون فترة الإنذار ساعة بعد أخرى، على أمل أن تقدّم لهم صيغة تسوية ما».

ويشير إلى أن الخاطفين كانوا يعلمون بأنهم لا يمكنهم الحصول على تلبية كامل مطالبهم وإطلاق سراح المائتي أسير فلسطيني في سجون الإحتلال، وأنهم كانوا مستعدين عملياً لمبادلة رهائنهم بخمسين أو عشرين أو حتى بتسعة معتقلين، وأن أملهم خاب عندما لم يقدّم لهم المفاوضون الألمان والصهاينة إلا مبلغاً محدداً من المال (شيك على بياض) مقابل إطلاق سراح الرهائن والسماح لهم بالخروج سالمين.

ويكرّر فكرة أن الخاطفين قاموا بقتل أنفسهم مع المخطوفين، رغم علمه بخطئها كما قال أبو داود، ويذكر كيف أن قائدي المجموعة مصالحة وتشي سقطا برصاص القناصة الألمان وحين

سقطا في بركة من الدماء زحفا نحو بعضيهما وتصافحا قبل أن يلفظا أنفاسهما الأخيرة.

ويؤكّد الخطأ بأن «الفدائيين اللذين كانا يرافقان الرياضيين الإسرائيليين واحداً في كل طائرة، لم يعمدا إلى قتل رهائنهما والانتحار معهم، إلا بعد أن لاحظا أنه لم يبقَ لديهما ما يأملانه، أما الأعضاء الثلاثة الباقون، فإنهم جرِحوا فسلّموا أنفسهم».

وينبه أبو إياد إلى أن تضحيات «أبطال ميونخ، لم تذهب هدراً، فإذا كانوا لم يتوصّلوا كما يأملون إلى تحرير رفاقهم السجناء في إسرائيل، إلا أنهم بلغوا الهدفين الآخرين المرسومين للعملية: فقد اطلع الرأي العام العالمي على المأساة الفلسطينية بفضل دويّ الألعاب الأولمبية، كما فرض الشعب الفلسطيني حضوره على هذا التجمع الدولي الذي كان يسعى لاستبعاده، أما الخاتمة ـ المجزرة فتتحمّل حكومتا جمهورية ألمانيا الإتحادية وحكومة إسرائيل خاصة، المسؤولية الراسخة الجسيمة فيها».

من خلال رواية أبي إياد في كتابه الذي أملاه على أريك رولو، الصحافي الفرنسي العليم ببواطن الأمور في العالم العربي، حاول كما قلنا نفي صلته بعملية ميونخ، وكان يذكر الأفعال التي عرفنا أنه صاحبها هو منسوبة إلى مصادر قال إنها أخبرته بها وعمد كذلك إلى التمويه، وحتى عندما ذكر توقيف السلطات الفرنسية لأبي داود بحجة ميونخ فإنه نفى ضلوع أبي داود فيها، ولكن الصهاينة كانوا يعرفون حقيقة دوره في العملية.

ويذكر هو إشارة غائمة في كتابه، في معرض حديثه عن الاغتيالات التي شنتها إسرائيل بعد ميونخ، ذات دلالة «.. ولا ريب في أن الإسرائيليين لم يتراجعوا عن مشروعهم القاضي بتصفية قادة الفدائيين لاعتقادهم أنهم يستطيعون بذلك تدمير الحركة الوطنية الفلسطينية، ولا ريب في أنني أظلّ أحد أهدافهم الأولية، فطوال سنوات، غذت المخابرات الإسرائيلية، وشريكاتها الأردنية والأميركية، حملة صحافية تهدف إلى إظهاري ليس كرئيس أيلول الأسود وحسب، وإنما كمدبّر عددٍ من العمليات الإرهابية، مع أن عدة منظمات أخرى ادعت القيام بها».

وتحدث أبو إياد عن عدة محاولات لاغتياله جرت في بيروت ودمشق، وروى تفاصيل محاولة وصفها بأنها كانت (أكثر جدية) وأوشكت أن تكلّفه حياته وحياة أفراد عائلته في آب/أغسطس عام 1973م.

والمحاولة كما يرويها أبو إياد تشبه الأفلام البوليسية إلى حدّ ما، ففي أحد الأيام وعندما كان أبو إياد في القاهرة حيث تقيم عائلته أبلغ أن أحد الشباب يريد أن يراه لأمر هام وبأن لديه معلومات هامة، وعندما قابله الشاب القادم من الضفة الغربية كما قدّم نفسه، قال له إنه مكلف من المخابرات الإسرائيلية بقتله وفتح حافظة صغيرة كانت معه وقدّم لأبي إياد مسدساً كاتماً للصوت، كان من المفترض أن ينفذ به العملية، وقال إنه عندما وصل الأردن قادماً من الضفة، والسفر لمصر لتنفيذ المهمة الموكلة إليه، أوقفته المخابرات الأردنية وحقّقت معه وبعد أن عرفوا مهمته وعده ضابط

الاستخبارات الأردني فالح الرفاعي والذي كان موكلاً بملف حركة فتح في جهاز المخابرات الأردنية بمكافأة إضافية إذا نجحت محاولته لقتل أبي إياد.

وأشار الشاب الذي قرّر الاعتراف لأبي إياد، إلى أن إسرائيل والأردن لديهما مخطّطاً تفصيلياً عن مكان إقامة أبي إياد، وبأن جهازي المخابرات في البلدين زوّداه بمعلومات دقيقة عن العاملين مع أبي إياد وعن تنقلاته وتحركاته. وغادر الشاب بعد أن ترك لأبي إياد اسمه وعنوانه في فندق «اللوتس» ومسدسه.

وأبلغ أبو إياد دوائر الأمن المصرية بما حدث والتي فتّشت عن الشاب في فندق «اللوتس» فتبين أنه نزل هناك باسم غير الاسم الذي أعطاه لأبي إياد، وعندما فتش رجال الأمن غرفته عثروا على حقيبة مغلقة بالمفتاح لم يستطيعوا أن يعرفوا ما بداخلها.

وبعد تلك الزيارة التي قام بها الشاب لأبي إياد بثلاثة أيام، أيقظه أحد الحراس في الساعة السابعة صباحاً ليبلغه أن ذلك الشاب حضر ويريد مقابلته، وعندما استقبله أبو إياد رأى بأنه يحمل في يده حقيبة صغيرة لها نفس المواصفات التي تحدّث عنها رجال الأمن المصريين عندما فتشوا تلك الغرفة في الفندق، فطلب أبو إياد من الشاب أن يفتح تلك الحقيبة ولكنه ارتبك وتلعثم ثم انهار، واعترف بأن الحقيبة تحتوي على عبوة ناسفة تكفي لنسف المنزل بمن فيه وأنه مكلّف بوضعها تحت أي مقعد قبل أن يغادر المنزل، واعترف بأن زيارته الأولى كانت تهدف لكسب ثقة أبي إياد، وتم تسليمه للأمن المصري ووضع في أحد السجون.

وبمناسبة صدور كتابه عن عملية ميونخ، والذي أثار جدلاً أكّد أبو داود في مقابلة أجرتها معه صحيفة «الخليج» الإماراتية معرفة إسرائيل بدور أبي إياد في عملية ميونخ، ونقل عن أبي إياد إخباره له لقاءه في باريس في إحدى المرات مع شخص يهودي في منزل إبراهيم الصوص ممثل منظمة التحرير الفلسطينية في فرنسا، وبعد تكرار لقائه مع هذا اليهودي الذي لاحظ أن لأبي إياد وجه طفولي وشعر بأنه ودود ولطيف وسأل أبي إياد إذا كان لا يمانع من مقابلة آرييل شارون؟ فأجابه أبو إياد بالإيجاب وبأنه لا مانع لديه من لقائه، وبعد تلقيه ذلك الجواب أخبر اليهودي أبا إياد بأنه تربطه علاقة بشارون، وأنه يمكن أن ينقل له عدم ممانعة أبي إياد بلقائه، وهو ما حدث، وروى اليهودي لأبي إياد بأن شارون عندما علم بعرض اللقاء مع أبي إياد انتفض غاضباً وقال عن أبي إياد بأنه قاتل وأخبر الوسيط بعلاقة أبي إياد وأبي داود وآخرين بعملية ميونخ وغيرها.

ـ عملية الاغتيال:

من المؤكد بأن أبا إياد، بسبب ميونخ وغيرها، كان من ضمن قائمة الاغتيال الإسرائيلية وهو ما تحقق في ظروف مريبة وغريبة وصادمة. ففي الرابع عشر من كانون الثاني/يناير عام 1991، والعالم كله محبوس الأنفاس، مشدود الأنظار إلى الخليج العربي، حيث تستعد ما عرفت باسم دول التحالف لتوجيه ضربة للعراق على إثر دخوله الكويت، كان أبو إياد في منزل مساعده هايل عبد الحميد (أبو الهول) في تونس ومعه مساعد آخر هو فخري العمري (أبو

محمد)، وربما كانوا مثل الآخرين يتابعون، وبحكم مناصبهم الأمنية أيضاً، ما يجري في الخليج لحظة بلحظة.

ولأنهم كانوا، ثلاثتهم، يتوقعون أي محاولة لاغتيالهم ستأتي من الخارج، لم يخطر ببالهم أن أحد حراسهم كان يكيد لهم، وينتظر الفرصة أو الأمر.

وفي أثناء وجودهم في إحدى الغرف يتقدّم الحارس حمزة أبو زيد ويطلب من زوجة أبي الهول كأساً من الماء ليشربه، فتشير إليه بأن يدخل إلى المطبخ ليأخذ حاجته، وتقول له إن الثلاجة لا تعمل، ويتطوع لإصلاحها، وفي المطبخ يجهز سلاحه استعداداً لما هو مقبل عليه، ويدخل غرفة القادة الثلاثة، ولأنه كان يعرف مهمته جيداً أطلق النار على رأس أبي إياد أولاً ثم نحو فخري العمري ويقتله، ويحاول أبو الهول، الذي استوعب المفاجأة أن يردّ عليه، ولكن أبا زيد يعاجله برصاصة تصيبه في مقتل، وفي حين توفي أبو إياد والعمري فوراً توفي أبا الهول لاحقاً في المستشفى.

ومن سوء حظ أبي إياد ورفاقه أن توقيت العملية الذي أبهج، ولا شك، المتربصين بهم، كان سيئاً بدرجة كبيرة بالنسبة للطرف الفلسطيني، لأن الجميع كان مشغولاً بما سيحدث في الخليج، وتم التحقيق مع أبي زيد الذي أعدم لاحقاً، ونشر أنه من أتباع صبري البنا (أبو نضال)، الذي يقود جماعة منشقة عن حركة فتح.

وفي الواقع فإن معلومات كثيرة بقيت ناقصة ولم تستوفَ، فيما نشر وقيل في حادث اغتيال ما وصف أنه العقل الأمني للثورة الفلسطينية وكذلك الاثنين اللذين قضيا معه، وإجمالاً فإن اغتيال

أبي إياد ورفيقيه يسجّل إنجازاً للجهة التي وقفت وراء اغتياله، فهو في النهاية وصولٌ لمسؤول جهاز المخابرات الفلسطينية الأول ومساعديه الرئيسين.

وعلى كلّ فإن أجيالاً جديدة من الفلسطينيين ترفع صور أبو إياد في المناسبات باعتباره أحد الشهداء الذين تمكّنت إسرائيل من اغتيالهم، ولا توجد جهة أكثر من إسرائيل في رأينا لها مصلحة في تغيّبه عن الوجود، خصوصاً وأن لها معه ثأراً «ميونخ».

ولا يمكن إغفال التوقيت الذي تمت فيه العملية والذي جاء والمنطقة بأسرها تدخل صفحة جديدة مأساوية من تاريخها. وقد حاول أبو إياد بنفسه قبل اغتياله أن يقوم بدور الوساطة في تلك الأزمة وقابل الرئيس العراقي صدام حسين، وكان متشائماً جداً وسمعه الكثيرون وهو يتحدث من خلال إذاعة «مونت كارلو»: «الله وحده يعلم بالمصيبة التي ستحل بالأمة العربية، كم أنا متشائم من هذا الليل المظلم الزاحف نحونا».

ولم يكن اغتيال أبو إياد في ذلك اليوم (المكفهر) في حياة المنطقة العربية ومنطقة الشرق الأوسط، حيث بدأت ليلاً عملية «عاصفة الصحراء» هو الرصاصة الأخيرة في مسدس إسرائيل تجاه الشخصيات الفلسطينية القيادية الذي أشهرته بحجة ميونخ، وإن كانت من أقواها رغم أنها لم تحتَج لكثير جهد، ميّزت عملياتها الأخرى، وهذه مفارقة من المفارقات في زمن عربي مليء بالمفارقات.

ميشال المر

(1932 ــ...)

(محاولة اغتيال في العام 1991)

منَّ الله في شهر أيلول/سبتمبر من العام 1932 بالمولود الذكر الأول لعائلة الياس وروز المرّ وكان سبقه ولادة ابنتين. لذا جاءت الفرحة بولادته مزدوجة خصوصاً وأنه سبقها حبس أنفاس كانت تترقب قدوم ولي العهد.

كان الياس المرّ يعمل في المقاولات ويهوى الشعر، والده مخايل المرّ كان كاهن البلدة وعرف بتشدده الديني والأخلاقي، واسمه الأصلي فاضل وقد سيم كاهناً بإسم مخايل. ولد الياس المرّ عام 1898 في بتغرين ودخل المدرسة المسكوبية، أي التابعة لإدارة روسية، وتعلم فيها اللغتين العربية والروسية وقليلاً من الإنجليزية، وتابع الدراسة على نفسه فتعلم أيضاً اللغة التركية وطالع الكثير من الكتب الهندسية التي كان يحلم بالتخصص في مجالها لولا ضيق العيش خلال حرب العالمية الأولى واضطراره للعمل لمساعدة عائلته. بعد انتهاء الحرب بدأ الياس يشق طريقه في مجالات المقاولات والأشغال العامة حتى ذاع صيته.

ـ ميشال المر المهندس:

لم يتردد الشاب ميشال الياس المرّ، النابض بالحياة كثيراً قبل أن يختار الهندسة اختصاصاً له. بعدها بسنوات سيتبوأ مناصب تؤهله لهندسة القرارات السياسية الجريئة. وبعد أن تخرج من مدرسة الآباء اليسوعيين، منهياً دراسته الثانوية، لم تتغير عليه الأجواء كثيراً حين انتقل إلى جامعة القديس يوسف حيث تخرج في العام 1955 وهو يحمل شهادة الهندسة المدنية. لكن تربية الآباء اليسوعيين لا تترك آثار كبيرة على شخصية ميشال المر المعروف بصراحته وإقدامه. وفي الجامعة اليسوعية بالذات ستولد قصة حبه مع سيلفي أبو جودة ابنة جل الديب التي كانت تدرس الحقوق، وصلت الأمور إلى الزواج في العام 1958.

ـ النائب والوزير:

دخل ميشال المرّ المجلس النيابي للمرة الأولى في العام 1968. ولم تفصل بين وقوفه تحت قبعة البرلمان وحصوله على لقب معالي الوزير سوى بضعة أشهر برز خلالها المر بقوة على الساحة السياسية.

وهكذا عُيِّن وزيراً للبريد والبرق والهاتف في حكومة الرئيس الراحل رشيد كرامي عام 1969، ووزيراً للبريد والإسكان عام 1977 في حكومة الرئيس سليم الحص، ووزيراً للبريد في حكومة الرئيس الراحل شفيق الوزان عام 1980، واللافت أن المر بقي خارج الجنة الحكومية في عهد الرئيس سليمان فرنجية بسبب تصويته للمرشح المنافس الياس سركيس وفي عهد الرئيس أمين الجميل. وقد نجح المر في المناصب الوزارية التي تسلمها قبل الطائف في تحقيق

انجازات بارزة خصوصاً على صعيد الهاتف. وإذا كان المر ابتعد عن المناصب الوزارية معظم سنوات الثمانيات فهو لعب بتلك الفترة أدواراً سياسية بارزة، مهندساً الكثير من اللقاءات ومشاريع الإتفاقات والتحالفات، وهو تعرض لهذه الغاية لكثير من المضايقات مثل تفجير قصره في بتغرين وإرغامه على مغادرة المنطقة الشرقية.

ـ الأعمال الخاصة:

لم يجد ميشال المر بعد تخرجه من الجامعة فرصاً مناسبة للعمل، فاتجه نحو أفريقيا حيث عمل بكد مهندساً في النهار وسائق جرافة في الليل إلى أن تمكن بعد ثلاث سنوات من جمع رأسمال مقبول أعانه بتأسيس شركة التزمت أشغالاً في أفريقيا ثم في البلدان العربية أفريقية وآسيوية، وبدأت أعمال المر بالازدهار ووصلت إلى لبنان حيث بنى مشاريع بارزة عدة أبرزها برج المر ومشروع الزعرور السياحي. وكان المر كلما ملّ من السياسة ازدادت نجاحاته في الأعمال الخاصة إلى أن اتخذ قراراً في العام 1990 بتقليص أعماله الخاصة والاهتمام أكثر في الشأن العام خصوصاً مع تعاظم دوره السياسي.

ـ دولة الرئيس:

بين الأعوام 1990 والـ 2000 أصبح ميشال المر الحاضر الأكبر في الحياة السياسية في لبنان.

وزير الدفاع والداخلية والبلديات، نائب رئيس مجلس الوزراء، رئيس لـ 114 لجنة وزارية... أصبح دولة الرئيس اللقب الأحب إلى

قلبه سيد الشاشات وصاحب المبادرات والدرع الذي يرد سهام منتقدي الرئيسين الياس الهراوي وإميل لحود. والأهم أن دولة الرئيس أصبح صاحب أهم قاعدة خدماتية على كامل مساحة الجمهورية اللبنانية، يقصده عشرات النواب للحصول على خدمات لمناطقهم، ويقصده أبناء المتن يومياً ليلبي حاجاتهم. حقق ميشال المر ما يطمح لتحقيقه كل رجل سياسي، وما لم تتمكن من تحقيقه أي شخصية أرثوذوكسية أخرى، ولعله من أكثر الأشخاص الذين ظلمتهم التركيبة الطائفية للسلطة اللبنانية. لم يرث في السياسة والمال، بل كان عصامياً في السياسة والعامل الخاص وأثبت أن الطموح قادر على تحقيق ما هو في السياسة اللبنانية في مرتبة المعجزات. حين ولد ابن الياس وروز المر لم تكن في فمه ملعقة ذهب.

- ميشال المر في العمل الإجتماعي:

طالما حمل أوجاع الناس في قلبه، وطالما نذر نفسه للتخفيف من آلامهم، ورعايتهم.

ميشال المر الذي رفض الحرب والقتل والدمار وناضل في سبيل إنهاء الحرب طيلة السنوات، أراد أن يبلسم جراح المعاقين، ويمد لهم يده، فأنشأ مؤسسة المعاقين في بيت شباب ونمّاها وطوّرها وأتمّ تجهيزها بالمعدات الطبية والاستشفائية اللازمة.

كذلك أنشئ البناء وتم التجهيز واستقطبت الجمعية حوالي 100 عجوز واستمر دعمها بواسطة رئيستها الفخرية السيدة سيلفي المرّ، ويشرف على إدارتها عدد من السيدات ذوات الكفاءات العالية.

- في القطاع العام:

- ترأس اللجنة المكلفة وضع خطة الإعمار الخمسية.
- ترأس لجنة إعادة إعمار الجنوب بعد التحرير.
- ترأس لجنة إعادة الكهرباء بعد قصف محطة الجمهور.
- عضو مجلس الإنماء والإعمار منذ العام 1977 ولغاية 1983.

- في القطاع الخاص:

- رئيس مجلس إدارة والمساهم الأكبر في بنك لبنان والكويت من العام 1971 ولغاية العام 1976.
- رئيس مجلس إدارة شركة «هولدنغ المر».
- رئيس مجلس إدارة شركة «هولدنغ لوكسمبورغ».
- رئيس مجلس إدارة «الشركة العقارية للإنماء».
- رئيس مجلس إدارة /G.T. Grands Traveaux Intercontinents Quartier General في باريس.
- رئيس مجلس إدارة الشركات العقارية في الزعرور وحالات وبرج المر.
- رئيس مجلس إدارة شركة طابق كل يوم التي أنجزت بناء برج المر 40 طابقاً خلال 40 يوماً.
- رئيس مجلس إدارة الشركة اللبنانية للتعمير التي أنشأت مدينة سكنية من خمسة آلاف مسكن في شاطئ العاج في أفريقيا وإنشاءات مصانع للبيوت الجاهزة.

- محاولة اغتياله:

بعد إتفاق الطائف، اقترح على نائب الرئيس السوري عبد الحليم خدام، الياس الهراوي رئيساً للجمهورية بعد اعتذار بيار حلو عن تشكيل الحكومة الانتقالية وقبوله الترشح إلى منصب الرئاسة. يومها برز اسم جان عبيد. لكن الهراوي انتخب رئيساً يدعمه رفيق الحريري وميشال المرّ. ومن يومها وميشال المرّ نائب لرئيس مجلس الوزراء في لبنان.

ودفع المرّ ثمناً لمواقفه الكثير، ففي العام 1985 أخذ إيلي حبيقة إلى دمشق وعرّفه على المسؤولين السوريين وبدأت مسيرة الإعداد للإتفاق الثلاثي.

لم ينس له ذلك سمير جعجع، فاضطره بعد الانتفاضة إلى مغادرة المنطقة الشرقية والتنقل بين باريس ودمشق... بالإضافة إلى محاولة اغتيال فاشلة.

بعد إخراج العماد ميشال عون في 13 تشرين الأول/ أكتوبر استطاع ميشال المرّ استيعاب الكتائبيين في المتن تحت ذريعة حمايتهم، فانضمّوا إليه وأحسن ببراعة السياسي المهندس التعامل معهم، فقدّم لهم الخدمات وعيّنهم في المراكز... فصار فريق كبير منهم جزءاً من قاعدته الانتخابية.

كان ميشال المرّ يملك طائرة نفاثة خاصة، وعندما تسلّم حقيبة وزارة الدفاع الوطني في عهد الياس الهراوي وعندما أحسّ أنه صار جزءاً من السلطة ومن التركيبة السياسية تخلى عنها. يحسن ميشال المرّ استخدام مفهوم تقديم الخدمات، ويوم تولّى حقيبة وزارة

الهاتف في عهد الياس سركيس، أنفق من جيبه الخاص على مكاتب الوزارة وتجهيزاتها كي يوفّر لها الاستمرارية وحسن العمل، قبل صرف الإعتمادات المخصّصة لذلك كي لا يكون الروتين الإداري سبباً لإعاقة النشاط.

في العام 1958، تزوج ميشال المر من سيلفي أبو جودة، «أحببنا بعضنا البعض على مقاعد الدراسة، أنا كنت في السنة الرابعة هندسة وهي في السنة الأولى حقوق. وبعد قصة غرام دامت زهاء عامين تزوجنا ولدينا 3 أولاد هم: الياس، ميرنا ولانا».

- الياس متزوج من كارين إميل لحود (إبنة رئيس الجمهورية) وله منها ثلاثة أولاد.
- ميرنا كانت متزوجة من النائب الشهيد جبران تويني، ولكن هذا الزواج لم يدم طويلاً، ولها ابنتان.
- لانا متزوجة من إدمون غاريوس.

تعرض إلى 3 محاولات اغتيال، آخرها وأقواها عام 1991 في أنطلياس، فقد بسببها نصف سمعه. وكان قد عيّن قبل عام نائباً لرئيس مجلس الوزراء ووزيراً للدفاع في حكومة الرئيس عمر كرامي ثم وزيراً للداخلية والبلديات.

ندم الوزير المر على أمور كثيرة في حياته السياسية: «في السياسة لا يجب أن يكون الشخص صادقاً كلياً بل عليه أن يكذب 50في المئة ويصدق 50 في المئة. أنا ندمت لأنني كنت رجلاً صادقاً».

بعد محاولة اغتياله في أنطلياس وفقده نصف سمعه، فقد المر الشعور بالخوف: «لم يعد الموت يعني لي شيئاً لأنني لو بدي موت كنت متت، لم أعد أخاف شيئاً، صرت مسلّمها ربّانية، أذهب حيثما كان، لدي فقط ستة حراس يرافقونني بالتناوب اثنين اثنين، وقد دربتهم في ألمانيا وأدفع لهم من جيبي الخاص».

السيد عباس الموسوي
(1952 ـ 1992)

لم يكن استشهاد السيد عباس الموسوي قتل فردٍ بفعل صدفة.. بل قتلٌ مقصودٌ من عقلٍ مدبِّر.. فلم يمت على فراش، بل بأكثر من ألف ضربة سيف!!

ـ الولادة والرؤيا:

إنها الرؤيا تتحقق.. إنه الحلم يتجسد واقعاً حبيباً.. طفلاً يطرب الجميع لصوت صرخته الأولى.. أو لم تر والدته حلم قدومه إلى هذا العالم على يدي أبي الفضل العبّاس الذي قدّمه لها عطيّة.. هدية أهل البيت عليهم السلام: هذا الغلام زكّيناه بأنفاسنا.. طهّرنا قلبه بطهر قلوبنا.. وكحّلنا عينيه بسنى النور الإلهي الذي تكحّلت به عيوننا.. وتضمّ الأم وهي على فراش الألم.. تضمّ وليدها.. تضمّ حلمها العذب الشهي.. تناغيه.. تهدهده.. وتناديه عبّاساً.

ويشيع خبر ولادة عبّاس.. تتناقله أفواه المستضعفين في تلك الضاحية المهملة.. المشلوحة جنوبي العاصمة المتلألئة بزينتها وزخرفها.. وترفها وبذخها..

في الشياح رأى السيد عبّاس (رضوان الله عليه) أول شعاع في حياته المليئة بإشعاعات الجهاد الإيماني.. وبين الموجوعين من نير الحياة.. المسحوقين تحت سنابك الحاجة.. اللائذين بعتمات الليل تخفي هزالهم وعظم حاجتهم.. تخفي قهرهم وأنينهم وصدى نواح لياليهم..

وتتراكض النسوة الجارات.. وكلهنّ يباركن للوالدة وليدها، ويمددن يد المساعدة للأم الآتية من مقلع وجودها (النبي شيث) في بعلبك إلى ضاحيةٍ صابرة ملّ الصبر من صبرها وما ملّت..

ويتسارع الرجال ذوو الأيدي المعروفة من حمل الضنى «من أجل الضنى» يباركون للأب الذي ظهرت الابتسامة جليّةً على شفتيه المرددتين آيات الشكر لله، يردّ على تهاني الوالجين الدار ليباركوا المولود..

وأيّ مولود كان ذاك الذي طرق باب الحياة عام 1952؟، ثم بدأ مسيرة حياة إيمانية جهادية امتدت سحابة عمره التي لم تمكث طويلاً في سماء هذا الكون الفاني، سحابة بلّلت رؤوس الفقراء بالحنان، وروت ظمأ نفوسهم بالمحبة، وسقت حقول أعمارهم بالأمل والأمنية بقيام دولة المستضعفين على اتساع هذا العالم الغارق حتى أذنيه في المادية، والمشيح بوجهه عن جراحاتهم حدّ اللؤم..

وكيف لا يكون هذا السيد، الحلم، بهذا المستوى من الرفعة الإنسانية من العطاء المتسامي.. وهو سليل الشجرة الهاشمية المباركة التي فيّأت بظلّها عالماً جاهلياً وأخذته بيد الرسالة والنبوّة إلى منابع الإيمان والعرفان في الحياة..

كان السيد عباس ﷺ هاشمياً صرفاً لجهة والده ووالدته.. لم يكن هاشمياً لأن أبويه هاشميان فقط، بل لأنه كان حرفاً بارزاً وكلمة خالدة جريئة في الحق في كتاب العترة الهاشمية الشريفة، كان هاشمياً بالفطرة.. تلك الفطرة التي ظهرت في مجمل ميوله واتجاهاته وتصرفاته، فهو منذ طفولته تميّز بالتودّد مع الناس، والتحسّس لمشاكل حياتهم، وبلسمة جراح المظلومين والمعذّبين، وكان جريئاً في مواقفه.. شجاعاً في إبداء رأيه، وإلى جانب ذلك كان يتمتع بصفة الريادة التي جعلته بارزاً بين رفاق طفولته ويفاعته.. فهو إلى جانب محبته لهم وتوادده معهم، كان يمثل لهم بنفسه المثل الصالح.. يوجّههم.. يحاول إرشادهم ـ رغم صغر سنّه ـ إلى ما فيه خيرهم.. خير دنياهم وآخرتهم.. كيف لا.. وهو الشاب المؤمن الملتزم الذي نهَل من معين القرآن، ورشف من تعاليم الرسالة، وأدمت نفسه وروحه جراح كربلاء، وجاور المسجد، فكان خير جار، لا ينقطع عن زيارته في أوقات الصلاة، رافعاً صوته الجهوري الحبيب بالدعاء، مبتهلاً إلى الله عز وجلّ أن يُعلي راية الإسلام ويحفظ قافلة الإيمان لتكون الخميرة الصالحة لدولة حقٍ وعدالة تقوم على كل أرض البشر الباحثين عن آفاق خيرٍ وسلام لمستقبل أبنائهم وأحفادهم..

لقد وعى السيد آلام أمّته وهمومها منذ حداثته، وأدرك بوعي الملتزم مسؤوليته تجاه دينه.. تجاه أمّته: إن أهم أسباب هذه الآلام، وأكبر هذه المشاكل هو ذلك الكيان الغاصب الغريب الذي زرعه الاستكبار في رئة أرضنا.. في خاصرتها شوكة.. في عينها قذى..

لقد وعى بوعي المؤمن.. بوعي رجل الجهاد، أن أمور أمّته لن تستقيم طالما أن الكيان المسخ.. العضو الغريب.. مزروع في جسدها.. ومن نتائج زرع هذا العضو الغريب كان مأساة تغريب شعب.. برجاله ونسائه.. بشبابه وشيبه عن أرضه..

لقد عاش السيد عباس (رضوان الله عليه) مأساة الشعب الفلسطيني بشبابه.. بدقائق عمره.. بثواني تفكيره.. وهبها توقه، وشوقه، وعزمه، وزنده، وفكره، وساعده، والتحق بمقاتلي ثورته وهو لم يزل في العاشرة من عمره، وخضع لعدة دورات تدريب عسكرية، منها دورة في أحد مخيمات الثورة في دمشق، وأصبحت الثورة بعد ذلك سطراً هاماً من سطور حياته، وفعلاً يومياً يظهر في أقواله وأفعاله، يتتبع أخبار فلسطين وأبنائها، يشاركهم همومهم وجهادهم ومعاناتهم، ويقرأ أخبارهم من خلال مداومته على الإطلاع على جريدة «الثورة»..

حتى جراح الجسد عاناها مع رفاق الثورة، إذ أنه أصيب بكسر في ساقه خلال إحدى الدورات، وأُدخل آنذاك إلى مستشفى المقاصد الإسلامية غير آبه ولا مكترث، بل ذلك زاده التصاقاً بمعاني الفداء والتعالي فوق السدود والحدود مجيباً سائليه (عن مدى إصابته وإحساسه بها) بأن جرح الجسد ليس شيئاً أمام جرح الكرامة.. أمام جرح الدين والشرف.. الذي أصابنا به عدوٌّ لئيم واستكبار متعجرف وقح..

كان السيّد يعلم ويدرك حق الإدراك بأنه اختار الطريق الصعبة، بل الطريق الأصعب، وكان يملك من التصميم والإرادة، ومن

حماسة الوعي الملتزم، ما حوّل الحالة الثورية التي كان يعيشها في أعماق أعماق ذاته المنتفضة إلى حالة عقيدية إيمانية جهادية شمولية راسخة في كيانه، بل متآخية مع وجوده بشكلٍ لصيق، حتى بات تشكيلاً رائعاً يجسّد الإيمان الثائر والوعي الرافض لأي شكل من أشكال الذل والتبعية..

ـ أولى خطواته المعرفية:

لو حاولنا تعداد المحطات المضيئة في حياة السيد ﷺ، لبدت لنا كسماءٍ رصّعتها الأنجم الزهر، ووشّحتها ألوان العطاء..

ومن المحطات البارزة والمضيئة في حياة شهيدنا لقاؤه بسماحة السيد موسى الصدر في بيت أحد الأصدقاء بمنطقة الأوزاعي عام 1968، وكان حديثٌ بينهما مدّ جسور تفاهم وتوادد، ولمس السيد الصدر يومها أنه أمام شخصية مميزة، ورجل لن يكون عادياً في مسيرة شعبه وحياة أمته، فرغب إليه بالالتحاق بالحوزة العلمية التي كان أنشأها في مدينة صور، والتي كانت مسمّاة آنذاك بـ «معهد الدراسات الإسلامية»، فاستجاب السيد عباس لطلب السيد الصدر، ثم تابع دراسته فيها إلى ما بعد انتقالها إلى المؤسسة في البرج الشمالي، فكان بذلك من الطلبة الذين دشّنوا بناء المؤسسة وكانوا باكورة عطائها..

«تعمّم» السيد في السادسة عشرة من عمره، وازداد تعلقاً بحبّ السيد الصدر الذي بادله الحب والتقدير واجداً فيه الشاب الإنسان الواعي الظامئ والمتعطش (إلى حد النهم) إلى معرفة الدين وأحكامه، وكما في اللقاء، وكما رغب السيد الصدر إليه أن يلتحق

بالحوزة في صور، فقد أشار عليه بعد تخرجه من المؤسسة أن يرتحل إلى العراق ليتابع دراسته في كنف الشهيد السيد آية الله العظمى محمد باقر الصدر.. وهكذا كان..

ـ الرحيل إلى النجف الأشرف:

إنه الرحيل الأول للسيد الفتى.. الذي طلّق كل مباهج عمره النضر وكل لذائذ الحياة التي يسعى إليها رفاق عمره، لينطلق إلى دنيوات يطغى عليها هاجس واحد: أن يوغل أكثر فأكثر في دروب الإيمان المعرفي الذي جعله هدف حياته وأفق عمره، ولقد درس في بادئ الأمر على أيدي بعض الأساتذة الذين ساعدوه وفقّهوه في مجالات دينية شتى.. وعند بلوغه مرحلة «الخارج» انفرد بالدراسة على يدَي خدين روحه ومعقد أمله ومَثَله الأعلى الشهيد السيد آية الله محمد باقر الصدر (قده) الذي وجد فيه فرادةً في الشخصية وصفاءً في الروح وهمّة كبرى في التحصيل.. وجده شخصاً مميزاً، فاختصه بالتمييز، وقرّبه إليه فاتحاً له كل أبواب علمه ليغرف منه ما يشاء ومتى يشاء، ولم يبخل عليه بالجواب على مسألة حيّرت فكره أو استعصت على عقله، لقد فتح له خزائن علمه كما فتح له شغاف قلبه وكم من مرةٍ ردّد: «عبّاس فلذة من كبدي».. وكان السيد جديراً ولائقاً بهذا الاهتمام، هذا الاهتمام الذي أنبت فيه عطاءً غير محدود وتحدياً لكل مسألة شائكة تعترض مسيرته العلمية، فقد أنهى مراحل الدراسة في المقدمات والسطوح خلال فترة زمنية لا تتعدى الخمس سنوات، في حين يحتاج غيره لأكثر من ذلك.

إنها النفس الظمأى.. الراشفة لمعلِّم من أصفى مناهله.. لقد طاب الغرس والغراس.. فكان الجني مباركاً..

ـ الإياب الأول إلى لبنان في العام 1973:

الحنين إلى مراتع الصبا، والحنانِ الجارف الذي اختزنه صدر السيد والرقة والرأفة والشوق إلى الأهل والأقارب، كلّ ذلك دفع بالسيد عباس ليعود إلى لبنان في صيف 1973م، بعد غياب دام أربع سنوات في رحاب النجف الأشرف وتحت عباءة علمائه ومجتهديه وتحت رعاية الإمام الشهيد السيد محمد باقر الصدر..

عاد السيد ليتملى من قسمات وجوهِ أحبّها، وليغرف من بركتها ورضاها، وليختزن من أدعيتها زاداً لمستقبل أراده زاخراً بالتضحية والعطاء الذي يكبر على حب الحياة ويسمو على التعلق بحطامها..

ولم يعد هذه المرة وحيداً إلى العراق، بل رافقته توأم شهادته، ابنة عمه سهام الموسوي التي أصبحت السيدة «أم ياسر» بعد زواجهما، وعمر السيد واحد وعشرون عاماً، ولها أربعة عشر ربيعاً من العمر..

ـ العودة إلى العراق في العام 1973:

عاد السيد إلى النجف.. إلى معقد أمله ومعقل معرفته، إلى جانبه قلبٌ يخفق إرضاءً وتقديراً، وعينٌ تسهر عليه، ويدٌ تقوم بترتيب أموره وتلبية حاجاته، وكان السيد يبادلها هذا الحنان بالحنو، وتلك الرأفة بالحنان، وينظر بعين التقدير إلى صبرها على القلّة والغربة.. لقد كان ﷺ مثال الزهد في أمور الدنيا.. متواضعاً

مستقيماً، وكانت أخلاقه على قدرٍ من الرفعة والسمّو مع الأقربين والأبعدين، وكان ترفّعه عن سمّو في النفس والرغبة، لا عن تكبّر وصلَفٍ فارغ.. ولم يكن له أي مطمع في حطام الدنيا.. ويقول أحد معارفه والذي عايشه خلال إقامته في النجف الأشرف أنه كان يعتاش مع عائلته بمخصص متواضع طوال إقامته للدراسة هناك، وكان يعيش مع زوجته عيش المحتاج الصابر القانع برحمة الله.. وتذكر شقيقة السيد الشهيد أنه احتاج يوماً لشراء بعض الكتب التي تعينه في دراسته، ولم يكن يملك ثمنها، فما كان من شريكة جهاده واستشهاده إلا أن باعت خاتم الزواج لتأمين شرائها.. إنه القلب النابض بالإيثار والتضحية، إنها المرأة التي تساعد على صنع رجل، تمهّد دربه بنزع الشوك بيديها الطريتين، تمدّ عمرها جسراً يعبر عليه الرجل ليدقّ باب التاريخ، أو على الأقل ليلج عتبته بخطوات المؤمن الواثق.

وينساب صوت الذكريات على لسان شقيقته لتروي كيف انتظرته مع زوجته ذات غروب من شهر رمضان المبارك، ليأتي بطعام الإفطار، وكيف عاد فارغ اليدين ليحدّثهما عن صبر الزهراء وأحزان العقيلة عليها السلام وعن التمسّك بأهداب الصبر الجميل، إلى أن أذّن المؤذّن وحان وقت الإفطار، وعندما سألته أن يُحضر شيئاً من الطعام، إغرورقت عيناه، إخضلّتا بالدمع الطاهر متابعاً حديثه عن أهل البيت وصبرهم على مكاره هذه الدنيا الدنيّة، ولم يطل جوع هذه الجماعة البارّة القائمة إلى عبادة ربّها، إذ دقّ الباب ودخل أحد العلماء من أصحاب السيد الشهيد حاملاً طعاماً كثيراً ورزقا وفيراً سكنت له القلوب الواجفة والبطون الشاكية من الطوى..

إنها فترة عصيبة عاشها السيد الشهيد مع رفيقة عمره، وشريكة سرّائه وضرّائه، ولكنها مليئة بالنوافذ النورانية، مليئة بالبحث عن الدروب الحقّة إلى الله،وكل ما تبقّى قشور وزبَد.. يذهب جفاء ويبقى الجوهر..

لقد كان السيّد يرحل عمقاً في مسيرة حياته، ولم يكن يصرف وقته أو ساعات عمره في هدفٍ أو غاية سوى البحث عن العلم الخالص والمعرفة الخالية من شوائب المصلحة والغاية، ولقد كان اختياره للسيد الشهيد محمد باقر الصدر (وهو المعروف باستنارة فكره واتساع علمه)، كان هذا الاختيار لبنةً أساسية ودعامة هامة في بناء (أو على الأقل) في صقل الشخصية التي رسمها لنفسه وارتضاها لشخصه، ولقد قامت بين السيدين الطاهرين أواصر علاقة روحية سامية، إذ وجد فيه السيد عباس ضالته وأفق غايته، ووجد فيه الفكر النيّر والرؤية النورانية الصادقة والتطلّع الواعي والمتلمّس بصدق لواقع هذه الأمة.. ولبناء مستقبلها، وقد بادله الشهيد المفكر السيد الصدر إحساسه نحوه وتقديره لشخصه، فنشأت بينهما صلات روحية عميقة تمثّلت بلقاءاتهما المتواترة وبالمهمات ذات الأهمية التي كان الإمام الصدر يوكلها للسيد عباس (رضوان الله عليهما)..

ـ نشاطات السيد عباس في النجف:

إنّ رجلاً مثل السيد الشهيد لا يعرف أن يركن إلى دعة أو خمول، ولا يرضى بأن يُنزل راية المسؤولية الإيمانية والجهادية من يده، فإلى جانب اهتماماته بدراسته الحوزوية، كان السيد يولي

قسماً كبيراً من اهتماماته ووقته لأمور التبليغ والدعوة الإسلامية، وإقامة الندوات للتدارس بأوضاع الأمة، ولتكون هذه الندوات في الوقت ذاته لقاءات مفيدة مع الطلبة من كافة الأقطار وشتى الأصقاع لحثّهم على أن يكونوا على مستوى عالٍ من المسؤولية وأن يكون هدفهم الوقوف صخراً صلداً وسداً منيعاً في وجه الاستكبار العالمي والغزو الثقافي لتغريب البلاد الإسلامية بناسها ومجتمعاتها، وكي يتجهوا بتفكيرهم وخواطر عقولهم نحو القارة السوداء المسحوقة بسنابك أطماع الغرب السادر في دروب التسلط والهيمنة وامتصاص خيرات الشعوب الفقيرة والمستضعفة.. لقد كان السيد شمولياً في تفكيره بأخيه الإنسان من حيث هو إنسان ويحاول بكل جهده وبكل عطاء روحه المتحفزة للإصلاح أن يعمّم رسالة الإسلام: رسالة المساواة والأخوّة إلى كل حقول البشرية في أي مكان أو صقع من الأرض، وكان يؤمن بأن تعميم هذه الرسالة هو في صميم عمل العالِم، رافضاً مقولة عزل السياسة عن الدين.

لقد كان السيد خلال إقامته في العراق نوراً وناراً.. كان متحركاً في كل اتجاهات العطاء.. ولقد تأثّر وعانى كثيراً مع الشعب العراقي الصابر على جور الحكم، لقد عاش مأساة شعب أحبّه وعاش بين أبنائه، فلمس فيه مصداقية الهدف ونبل الغاية..

ومما زاد في معاناة السيد الشهيد سماعه الأنباء المؤثرة التي كانت تصله عن المأساة التي كان يعيشها جبل البطولة.. جبل عامل.. على يد ربيبة الغرب المتصهين.. على يد الكيان الصهيوني وعملائه والمقنّعين بقناعه والسائرين في ركابه: رغبةً منهم

أو رهبة منه، أو طمعاً بمال يبيعون به دماء وأرواح أبناء شعبهم المعذّب والمجرّح..

لقد شكّلت معاناة الشعبين (اللذين أحبّهما): معاناة الشعب العراقي من جور حكّامه، ومعاناة شعب الجنوب الصابر على صمت العالم، وعدم سماع زئير وجعه وأنين كبريائه.. شكّلت هذه المعاناة جوهر الرفض والمقاومة المستميتة للطاغوت وشروره وتحكّمه بالبلاد ورقاب العباد، ونهض ينادي بمبدأ الجهاد في كل العالم معتبراً أن العلماء هم ركائز الإحياء في أماكن تواجدهم.. حيثما وُجدوا.. وفي أي صقعٍ كانوا..

لقد كان الشهيد الموسوي تلميذاً بارّاً وفياً لمقولة الإمام الخميني العظيم (قده) بإحياء دولة الإسلام، وأنّ هذه المهمة تقع على عاتق علماء الدين في أماكن تواجدهم.. والموسوي وارث لما تقدّم من إرث المبدأ وتراث النهج والسيرة.. وهو يؤمن بكل ذرّات كيانه بأنّ الآخرة محصّلة للدنيا، ومن يقود لإنقاذ البشرية على البرزخ (المفترق بين الجنة والنار) عليه أن يقود المسيرة الدنيوية ما بين الحق والباطل، وما بينهما باطل (كما يقول الإمام الخميني)، فلا خطّ فاصل بين الدنيا والآخرة، لأنّ منطق ما لقيصر لقيصر منبوذ بفهم الإسلام، فلا قيصر على الناس، لأنّ الله وحده (مَلك الناس.. إله الناس..)..

في العراق.. كان لقاء بينه وبين شيخ الشهداء راغب حرب.. فتواصلت روحاهما، وتعانق فكراهما، ونشأت بين الشهيدين صلة هي العنوان الأول في كتاب شهادتيهما..

في تلك الفترة الحرجة والمرحلة العصيبة من تاريخ العتبات المقدسة في النجف الأشرف، ووصولاً إلى الوضع المأساوي الذي كان يعيشه جنوب لبنان، لعب السيد دوراً هاماً، إذ كان صلة وصل وثيقة بين الشهيد السيد محمد باقر الصدر وبين العلَم المغيّب السيد موسى الصدر، إذ كان يأتي إلى لبنان كل عام بعد عاشوراء (في شهر محرم)، لكي يُطلع الأخير على أوضاع العلماء في النجف، وعلى معاناة الشعب العراقي الرازح تحت نير بطش الحاكم وظلمه، ولقد طالت يد الحكم وبطشه السيد عباس شخصياً، إذا تعرض للمراقبة المستمرة والملاحقة عام 1978 من قبَل طاغية العراق صدام حسين، وتكررت المداهمات لمنزله، وتعددت المضايقات له، مما دفعه بإيعازٍ بل بأمر شخصي من السيد الشهيد محمد باقر الصدر إلى مغادرة العراق، فتركه سراً في يوم من أيام عاشوراء حاملاً رسالة إلى السيد موسى الصدر، في يوم أعطى فيه طاغية العراق أوامره بإبادة مسيرة عاشورائية من خلال قصفها بمدافع الطائرات، وبعد مغادرة السيد دهمت السلطات الجائرة منزله لاعتقاله وإعدامه، لكن إرادة الله سبحانه واكبته حتى وصوله إلى لبنان ليكمل دوره الرسالي والجهادي الذي أراده الله له..

ودّع السيد العراق، بعد أن زرع تسع سنوات من عمره في مناحي وأرجاء حوزته يرشف من مناهل علمها وعطائها، ولحقت به بعد فترة وجيزة عقيلته وتوأم عمره وشهادته الفاضلة «أم ياسر» لتتابع معه رسالة الجهاد على أرض لبنان..

ـ العودة الأخيرة إلى لبنان:

عاد السيد إلى لبنان.. عاد حاملاً الرسالة التي نذر نفسه لها، ألا وهي إحياء ركائز الدين والتصدّي للطاغوت والاستكبار في أي بلد وفوق كل أرض، فكان أول عمل قام به جمع الإخوة الذين أُبعدوا من النجف في حوزة متواضعة، وهي حوزة الإمام المنتظر (عج)، حتى يتابعوا تحصيلهم ولا تفوتهم فرصة متابعة الدراسة والاستفادة، وشهدت مدينة بعلبك بواكير العطاءات العلمية والجهادية لهذه الحوزة (بدعم بعض العلماء الكبار)، وكان لهذه الحوزة فيما بعد دور كبير وريادي في الإيصال والتبليغ في كل مناطق لبنان، وكان السيد عباس الأب الموجّه والراعي الساهر والقائد الأمين لمسيرة هذه الحوزة والسهر على حاجات طلابها ورعاية أمورهم، واستطاع أن يخرّج منها علماء ومجاهدين أبراراً..

بعد فترة، فتحت هذه الحوزة بابها وصدرها للحرس الثوري، هؤلاء الإخوة الذين جاؤوا إلى لبنان بأمرٍ خاص من الإمام الخميني (قده) لمساعدة شعب لبنان، ونشر مبادئ الثورة المباركة وتوجهاتها لبناء عالم يحترم المستضعفين، ولتعبئة الشعب ضد الكيان الصهيوني والاستكبار العالمي، وتدريبه وتهيئته لمواجهة الأعداء، مما أحدث انقلاباً كبيراً في مواجهة الكيان الصهيوني، وقد شكّلت الحوزة آنذاك أهم معاقل وأولى خطوات إنطلاق الحرس الذي كان له الدور الكبير في تقوية عزائم الشباب المسلم، إذ ضخّ فيهم معاني الصمود والتصدّي لتهديم سور الرعب الذي أقامته أميركا والقوات المتعددة الجنسيات، وللوقوف في وجه آلة الحرب الجهنمية والشرسة التي

حاول الأعداء من خلالها كمّ الأفواه وتعليم الشعوب درس الرضوخ للواقع الأليم الذليل للقوة الغاشمة..

لقد كان وجود الحرس الثوري نقطة ماء أنقذت أماني وآمال شعبنا من الذبول والجفاف، ورئة يتنفس هذا الشعب من خلالها..

وفي نيسان من العام 1980، جاءت حادثة اغتيال السيد محمد باقر الصدر، وكانت آخر رسائل الشهيد قد تضمنت توصيات للسيد عباس بصفته وكيلاً له في لبنان..

وقف السيد مارداً.. دامع العين.. أمام دمعة الشهادة، وحوّلها إلى إرادة..

لقد قوّى استشهاد السيد الصدر عزيمة السيد عباس، فلعب دوراً هاماً في استنهاض همم الخائفين، وكان يشجعهم ويوصيهم بطرح حالة الخوف مردداً أمامهم كلمات السيد الشهيد الصدر:

«إنّ البعث العراقي سوّر الشعب العراقي بجدارٍ من الخوف، ولكني سأخرق هذا الجدار بدمائي»..

رغم ذلك، لم ينقطع تواصل السيد عباس مع الشعب العراقي وعلمائه، فقد استمر بذلك عن طريق بعض العلماء الذين كانوا يأتون بين فترة وأخرى من العراق إلى لبنان..

ولاحقاً، أنشأ السيد عباس مع رفيقة عمره «أم ياسر» «حوزة الزهراء» لتدريس الأخوات الأحكام الإسلامية، وللخروج بالمرأة المسلمة من قيود التقاليد الباطلة والأوهام الزائفة، ولقد كان لذلك الجهد الأثر الكبير على مدى الساحة البقاعية..

ولم يتوقف السيد عند ذلك، بل، وإنطلاقاً من إيمانه بأنّ الوحدة الإسلامية تبدأ بوحدة علماء الأمة، فقد سعى إلى تأسيس تجمع العلماء المسلمين، وقد تم وضع الحجر الأساس لهذا التجمع (في البقاع) عام 1979، ليكون أول تجمع علمائي في لبنان.

- إنتصار الثورة الإسلامية في إيران:

وكان لكلمة الحق أن تدوّي في أسماع العالم.. وكان لراية الإسلام أن ترفرف عالية بأيدٍ مباركة لم يثنها عن جهادها ترهيب أو ترغيب..

إنها الأنفس الأبية الراغبة في طرق الموت من أشرف أبوابه، ألا وهو باب الشهادة، فانبثق عن ذلك ثورة ماردة زلزلت الأرض تحت عروش البغاة، فدكّتها وأقامت على أنقاضها دولة الإسلام العزيز، وعاد الخميني العظيم (قده) ليقلب مقاييس الطاغوت، وليحيي دولة الإسلام بعد رقاد عميق استشرى خلاله ظلم العاتي وزبانيته، وارتفعت أيدي المستضعفين في كل العالم لتلوّح بجراحها للثورة الآتية من قلب عذابٍ دام قروناً.. نسي خلالها المستبد أنّ دولة الباطل ساعة ودولة الحق إلى قيام الساعة..

لقد كان ذلك حُلماً صعب التحقق، وقد جسّده الإمام الخميني (قده) واقعاً اعترف به العدو قبل الصديق، وكان السيد عباس في طليعة السائرين ضمن القافلة الخمينية، وقد حرص عليها بجفن الروح وهدب القلب الخافق حباً لنهجها وشخص قائدها..

لقد تحقق حلم السيد في قيام دولة الإسلام، وعاش أمنية عمره تتجسد واقعاً، ليتشرف لاحقاً هو وإخوته بلقاء الإمام المقدس في إيران الإسلام، حيث تزودوا بتوجيهاته المباركة، واستلهموا منه كيفية التعاطي مع مستقبل وأساليب العمل الجهادي في هذا الوطن النازف، وتلقوا منه تكليفهم الشرعي..

بعدها، عاد السيد إلى لبنان وقد ازداد عزيمة وصلابة، عاد صوتاً صارخاً يبث الروح الإيمانية في نفوس الناس، وينمّي الوعي السياسي والجهادي لدى نخبة مخلصة، وينفخ في صدور الشباب روح الثورة والتحدي والاستعداد للتصدي والمواجهة، وكان كل همّه أن يعلّمهم كيف يكونوا تلاميذ أوفياء، وجنوداً حقيقيين من قافلة الجهاد.. قافلة الإمام الخميني (قده)..

لقد كان عِشق الموسوي الشهيد للثورة الإسلامية يفوق كل عشق وهوى، لقد عشِقها عِشق الروح المنجذبة إلى هواها.. عِشق الضمير النقي للمثل العليا.. عِشق العابد للصلاة والتهجّد.. وذاب روحياً في شخصية قائدها المقدس، حيث كان يرى في تلك الشخصية امتداداً لولاية الأئمة الأطهار ﷺ، وتجسيداً لحلم ضائع منذ تاريخ طويل ضارب في ذاكرة الألم الشيعي العتيق. لقد رأى السيد عباس في الرؤية الفقهية السياسية للإمام الخميني (رؤية ولاية الفقيه العامة) شرطاً ضرورياً لنهضة المسلمين ولإعطاء القيادة الشرعية كل أبعادها المرجعية من فقهية وسياسية وإجتماعية بطريقة تعمّق وحدة الأمة عن طريق وحدة قيادتها، لذا مثّلت ولاية الفقيه إطاراً مرجعياً للسيد الشهيد في فكره وسلوكه، واستحوذت عليه

بشكل كامل، فتعبّد في محرابها، وأخلص لها إخلاصه لآل البيت الأطهار ﷺ، وتجلّى ذلك بوضوح في ولائه المطلق للإمام الخميني المقدس، وفيما بعد لخليفة الإمام ولي أمر المسلمين السيد الخامنئي دام ظله..

لقد كان أهنأ أوقات السيد الشهيد عندما يزوره رسل الإمام الخميني (قده) من حرس ثوري وغيرهم ليضعوا أرواحهم في خدمة المستضعفين ومحاربة العدو الغاصب للأرض، التي نام نواطير كرومها، فعاثت فيها الذئاب والثعالب تمزيقاً وتقطيعاً..

ورغم كل الدورات والتدريبات التي أجراها سابقاً، فقد التحق السيد الشهيد بأول دورة تدريبية أجراها الحرس الثوري (في جنتا ـ البقاع)، فكان قدوة للآخرين، وكان العالِم المتدرب على أيدي طلابه، ليعطي بذلك درساً في القيادة المثالية، وليدلّ على روحية صافية عالية، مما أثّر بشكل كبير على نفوس كل الإخوة المجاهدين..

ـ نضوج النهضة الإسلامية في لبنان:

كان لا بد من تصعيد العمل الجهادي ضد العدو، وكان ذلك بمؤازرة الإخوة في الحرس الثوري، لينطلق العلم في كل اتجاه بطليعة مباركة من طلبة العلم والمجاهدين، وكان ذلك في العام 1982، لتتشكل غرسة مباركة تستظل بفيء الثورة الإسلامية في إيران، ولتعطي لاحقاً ثمارها الكثيرة بتضحيات شباب نذروا أعمارهم لله، وقد جسّد هؤلاء مظلوميتهم جهاداً واستشهاداً ليُظهروا الدليل القاطع بأن إسرائيل ليست الأسطورة التي لا تُقهر

(كما كان يصورها البعض)، بل هي كيان هش قابل للهزيمة والتحطيم تحت ضربات القبضات المؤمنة والزنود الحسينية الطالبة للشهادة..

لقد وُلد «حزب الله» ـ لبنان في تلك الظروف العصيبة، وكانت ولادة مباركة بتوجيه من الإمام الخميني المقدس وعلى هدي أفكاره ورؤيته وخطه، وكان السيد عباس من أبرز المؤسسين، وحصل ذلك في ظل المعاناة الكبيرة التي سبّبها الاجتياح الصهيوني للبنان وانتشار القوات المتعددة الجنسيات في مرحلة لاحقة..

وجد السيد نفسه منغمساً في حالة النمو المتصاعد للعمل الجهادي، مما شغله عن متابعة أمور وشؤون الحوزة العلمية، فقد كان وقته بكل ساعاته ودقائقه وثوانيه مليئاً بالاهتمام بأمور «حزب الله» مع إخوته المؤسسين من علماء وكوادر، ولذلك كلّف بعض ذوي الكفاءة والخبرة للتدريس نيابةً عنه، إذ أنه كان في حركة دائمة ومتنقلة بين مناطق لبنان.. جنوباً وبقاعاً وضاحيةً.. يرفع لواء الإسلام وتعاليم الثورة: دون مبالاة لا بنفسه ولا ببيته وأطفاله.. مرتحلاً في سبيل الحق ومهاجراً في سبيل الله..

ـ السيد والجنوب:

للجنوب حكاية مميزة مع السيد الشهيد، حكاية خطّها قلم الجهاد، بحبر من عرقٍ ودم، حكاية الجسد الذي إذا اشتكى عضو منه تداعت له سائر الأعضاء بالسهر والحماية..

كانت معاناة الجنوب جرحاً في قلب السيد، وكان لأرض أبي ذر الغفّاري مكانة مميزة في نفس الموسوي، لذا توجّه إليه قبيل الاجتياح الصهيوني، وتنقّل بين قراه الوادعة، للتبشير بولاية الفقيه.. ولاية الإمام الخميني، والدعوة إلى إزالة الغدة السرطانية إسرائيل من خاصرة الوطن الكبير..

وعندما بدأ الاجتياح الغاشم، غادر السيد منزله في بعلبك متوجهاً نحو بيروت ومنها إلى الجنوب، حيث التقى في جبشيت بإمامها الشيخ راغب حرب، ونقل إليه التكليف الشرعي بأمر من إمام الأمة (قده)، ذلك التكليف الذي يأمر بمقاتلة إسرائيل في كل مكان وبكل الإمكانات والوسائل، وقد تلقى شيخ الشهداء ذلك التكليف بنفسٍ مخلصة مجاهدة، وعمل بمضمونه صارخاً بملء صوته: «الموقف سلاح.. المصافحة اعتراف»، ولم يهن، ولم يطأطئ الرأس أمام جبّار مزيّف، واستمر كذلك حتى رحل مع قافلة الأبرار الذين باعوا أنفسهم ليشتروا الجنة.. وكان استشهاده في 16 ـ 2 ـ 1984 دمعةً في قلب السيد، وحسرة في كبده، لكن الموسوي كان يؤمن بحزم بأنه في قافلة الشهادة ذاتها (وإن تأخر الرحيل)، وكان متيقناً بأنّ دماء المجاهدين ستتحول عواصفاً صاعقة على العدو..

توجّه السيد الشهيد إلى الجنوب عام 1985 بعد تسلمه مسؤولية شورى الجنوب في «حزب الله»، وسكن في مدينة صور، وتحديداً بحي الرمل، وذلك في بيت متواضع ببنائه وأثاثه، في بيتٍ لا يختلف عن أي بيت من بيوت إخوته المستضعفين، وكان يقضي

وقته مع المجاهدين الذين شرّعوا صدورهم للقتل باذلين في سبيل الله زهرات أعمارهم، وصار هؤلاء الإخوة مع الزمن أهل السيد وعياله، فاختلط بحياتهم.. بهمومهم.. أعطاهم عقله وروحه وعزم جسده النابض بالحق، كيف لا؟ والمقاومة هي عمر السيد.. لا همّ له سواها.. ولكم تمنّى عليه إخوته بأن لا يذهب معهم في المهمات الصعبة؟ وكم رجوه وقبّلوا لحيته الطاهرة أن يُحجم عن جموحه النبيل؟ لكنه (قده) كان يذهب بصمت ويعود بصمت.. دون تبجح أو مبالغة.. فيقضي معهم ساهراً.. مرافقاً في الشعاب والوعور.. وفي الجبال والوديان.. دون أن يؤثّر ذلك على واجبه الذي أوجبه على نفسه بخدمة المستضعفين، فقد فتح صدره لأبناء الجنوب بقلبٍ كبير وروح مصغية إلى شكواهم، وكثيراً ما كان يردد أمامهم عبارته الشهيرة «بخدمتكم»..

لكن، وفي العام 1987، اضطر السيد لترك أرض الجنوب، لكن الجنوب بقي يعيش في قلبه، كيف لا؟، وهو الذي أحبّ أرضه، وعاش هموم أهله، وطالب برفع الحرمان عنهم..

ـ السيد وانتفاضة فلسطين:

اختزن قلب السيد هموم الأمة، وكان أكثرها ثقلاً همّ فلسطين.. فعاش الموسوي جراحات شعبها ومعاناة أهلها، وعذابات القدس ومسجد الصخرة وأزقّة الطهارة التي درج عليها الرسل والأنبياء ﷺ، ولطالما أكّد في مجالسه على وجوب تنفيذ فتوى الإمام المقدس بإزالة إسرائيل من الوجود..

ويوم دعا الإمام الخميني (قده) إلى إحياء يوم القدس العالمي، كان السيد عباس في طليعة المسيرة بلباسه العسكري، وقد شدّ جبينه الطاهر بعصبة الجهاد، وكُتب عليها: «أدرِكنا يا مهدي»..

وعندما سعى أعداء الإسلام لتفريق الشمل بين أبناء الجنوب والشعب الفلسطيني، حاول السيد بكل عزمه وإخلاصه للملمة الوضع المتأزم، وردّ سماحته سبب الفتنة إلى إسرائيل وعملائها، وظلّ يعمل دون كلل لوأد الفتنة وإعادة اللحمة بين أبناء الصف الواحد..

ـ السيد وهموم المسلمين:

لم تقتصر اهتمامات السيد على شؤون المستضعفين في لبنان والمقاومة ضد العدو في الجنوب، ولم تتوقف عند حدود انتفاضة الشعب الفلسطيني في الداخل، بل تجاوز ذلك ساعياً إلى إيجاد وحدة بقيادة العلماء المسلمين في العالم، وتشمل القوى التي تؤمن بقتال الاستكبار..

وهكذا، فلم يتأخر أبداً عن تحمّل هموم شعوب وبلاد أخرى كالجزائر وباكستان وأفغانستان وكشمير، وأيضاً الجمهوريات المسلمة التي رزحت تحت حكم شيوعي لم يجلب إليها سوى الفقر والذل..

ولقد لبّى السيد الشهيد دعوة وجهتها إليه «حركة تنفيذ الفقه الجعفري» في باكستان ليمثّل «حزب الله» في مؤتمر كشمير الدولي (في إسلام أباد)، وكان سماحته على رأس الوفد وكله إصرار على

الذهاب، رغم أن بعض الجهات الأمنية نصحته بعدم التوجه إلى باكستان، لكنه توجّه واعتبر ذلك تكليفاً شرعياً له..

ـ السيد الشهيد أميناً عاماً:

تتويجاً لمسيرته.. انتُخب السيد الشهيد في أيار/مايو 1991 أميناً عاماً لـ «حزب الله»، وقد اعتبر سماحته هذا الاختيار تكليفاً وليس تشريفاً، وتخوّف أن يشغله ذلك عن معايشة هموم المقاومين، وعندما كانت الجموع تزحف للتهنئة، كان يقول لهم: «عزّوني ولا تهنّئوني، فأنا أطمح لأن أكون دائماً بين المقاومين ومع المجاهدين»..

وبالرغم من قصر المدة التي قضاها أميناً عاماً لا تتجاوز التسعة أشهر، والتي انتهت بشهادته العظيمة، فقد تمكّن السيد من إنجاز الكثير من الأمور وعلى مختلف الصعد الإجتماعية والوطنية والسياسية والثقافية والإعلامية. وكان يعمل ليل نهار لأجل إعلاء كلمة الله،وقد مثّل بطروحاته الموضوعية الواضحة وأسلوبه الواعي البعيد عن التشنج والمبالغة وجهاً إجتماعياً وإنسانياً بارزاً كانت الحالة القائمة آنذاك بأمسّ الحاجة إليه، واستطاع أن يستقطب وجوهاً سياسية ووطنية وإجتماعية كثيرة من رسمية وغيرها، وأن تسعى إليه شخصيات حزبية وسياسية لبنانية وفلسطينية، وأن تقصده وفود شعبية وعلمائية وعشائرية وفاعليات إجتماعية وإقتصادية.. وكان السيد خلال تلك الفترة من توليه الأمانة العامة لحزب الله دائم التنقل بين المناطق: من الضاحية الجنوبية إلى بيروت والجنوب والبقاع حتى البقاع الغربي والشمال، حيث تجوّل في الأحياء

والأزقة المستضعفة واستمع إلى شكاوى ساكنيها مردداً أمامهم عبارته المأثورة: «أنا بخدمتكم.. ولكن لي عندكم وصية حفظ المقاومة».

وخلال قيامه بمهمة الأمين العام، شارك السيد بمؤتمرات ومهرجانات ولقاءات سياسية وإجتماعية وثقافية عدة، وكان من أهم خطبه فيها، تلك التي ألقاها في المهرجان الحافل الذي أقامته سفارة إيران الإسلامية في بيروت في حزيران/يونيو 1991 بذكرى غياب الإمام المقدس، وأيضاً الكلمة التي ألقاها في حزيران/يونيو 1991 في المؤتمر الذي أقامه تجمع العلماء المسلمين في فندق الكارلتون تحت عنون «روافد القوة في فريضة الحج» وكذلك كلمته في مؤتمر دعم الثورة الإسلامية في فلسطين والذي أقيم في طهران في شهر تشرين الأول/أكتوبر من العام 1991، وكلمته أمام السفارة الأميركية في عين المريسة خلال مسيرة الرفض لمؤتمر مدريد في تشرين الأول/أكتوبر 1991، والكلمة التي ألقاها (قده) في المؤتمر الثالث لدعم الانتفاضة في فلسطين كانون الأول/ديسمبر 1991، وكلمته في احتفال حزب الله بمنطقة الأوزاعي لمساندة الشعب المسلم في الجزائر في كانون الثاني/يناير 1992، والكلمة التي ألقاها خلال جولته على بيوت المستضعفين في وادي أبو جميل إثر انهيار أحد المباني في شباط/فبراير 1992، أما كلمته الأخيرة فكانت خطاب الوداع في جبشيت قبل ساعات من إستشهاده (في ذكرى استشهاد الشيخ راغب حرب في 16 ـ 2 ـ 1992.

وخلال الأشهر التسعة لتوليه الأمانة العامة، انشغل السيد بهموم المستضعفين، ومنها الكارثة التي نتجت عن العاصفة الثلجية، فخرّبت الزرع والضرع، ومات الكثيرون من جرّاء تقصير الدولة اللبنانية تجاه المناطق المحرومة، كذلك تأثر سماحته كثيراً بانهيار مبنى في وادي أبو جميل، وكان ذلك نتيجة استهتار ولا مبالاة المسؤولين، وقد انسكبت دموعه المباركة عندما رأى تلك المأساة، وأثّر ذلك على صحته، ولكنه مع ذلك أصرّ على إحياء ذكرى صديق روحه ورفيق غربته الشيخ راغب حرب في قريته جبشيت، وكان يوم 16 شباط/فبراير 1992 يوماً مشهوداً خالداً.. شهيدٌ يؤبن شهيداً.. شهيدٌ يلقي خطاباً في ذكرى شهيد.. مجاهدٌ يكتب آخر سطر في كتاب جهاده.. يؤبّن نفسه من خلال تأبينه لشيخ الشهداء.. يطلق من صدره أوجاع الأمة، ويلقي خطبة جامعة تتضمن وصيته.. وبعد الخطبة تجوّل السيد في أرجاء جبشيت، فزار عوائل شهدائها وأسراها، وبعض عائلاتها المستضعفة، ثم توجّه عائداً إلى الضاحية الصابرة مع رفيقة عمره وطفلهما، وكانت عين الغدر ترصد خطوات الشهيد، ثم كانت نهاية جسد وولادة روح في شعب بأكمله.. إنها دماء كربلاء تتجدد لتصنع نصراً، أمّا النفس المطمئنة فترجع إلى ربها.

ـ نظرة السيد للمقاومة والمقاومين:

كانت المقاومة غاية الغايات عند السيد الشهيد المتلفع ببردة الإيمان والمنضوي حرفاً سماوياً تحت راية الجهاد.. وكان السيد يعتبر المقاومة هي عنوان التحرير للأرض، وأنّ عيون المقاومين

الأبرار السارين تحت ستار الليل وفي وعور الشعاب هي التي ستنير ليل هذه الأمة التي تكالب عليها الأعداء لطمس وجودها وجعلها ملحقاً لهم. وكان السيد يردد بفم القلب: المقاومة هي عنوان شرفنا وكرمتنا وثروتنا، وبالتالي هي حصننا الأساس في مواجهة الاختراقات الخارجية.

أدرك السيد بصفاء روحه ونقاء نفسه أن لا خلاص لهذا الشعب من العتمة المسيطرة على وجوده إلا من خلال المقاومة لمواجهة الأعداء المتربصين بغده والقابعين على رئتيه، والهدف هو إزالة إسرائيل من الوجود، وعليه فإن القتال يجب أن يستمر حتى تحقيق ذلك الهدف.

كان السيد يعتبر أن المقاومة حركة جهادية إيمانية، وأن التخلي عنها هو من التخلي عن إيماننا، وأن المقاومة ليست فكرة سياسية أو حالة طارئة، بل هي تكليف شرعي لا تتأثر بأي حال من الأحوال، وهي ليست في خدمة أي عمل سياسي، بل بالعكس، فالعمل السياسي يجب أن يكون في خدمة المقاومة، ومسألة المقاومة غير قابلة للمساومة، ولا يتصور أحد أن المقاومة ستتوقف أو تتخلى عن دورها طالما هناك دم يجري في عروقنا.

وكان السيد الشهيد يعتبر أن المقاومة ينبغي أن تكون في الصدارة على مستوى الطرح، وأنه لا يمكن لأحد أن يوقفها طالما إسرائيل موجودة على أرضنا، وأن كل من يتخلى عن المقاومة هو عميل، وأن أكبر جريمة تُرتكب بحق المقاومة هي محاولة تحجيمها عبر وسائل الإعلام والإشاعات والدعايات.

لقد أحبَّ الشهيد الموسوي المقاومة والمقاومين، ورعاهم بقلبه وحنانه، وكان عندما يجالس شباب المقاومة الإسلامية يكبر فيهم اندفاعهم نحو التكليف الشرعي وتحملهم المسوؤلية بكل جرأة بين يدي الله بهدف تحرير أولى القبلتين، وكان يعتز بالتفاف الناس حول المقاومة التي هي بجهادها التعبير العملي عن شخصية الإنسان في جبل عامل.. «وعندما تكون كذلك: كيف يمكن فصلها عن الناس؟ وكيف يمكن الفصل بين الذات والهوية؟»..

«إن الأمة كلها مسؤولة أمام الله عز وجل عن الحفاظ على هذه المقاومة، لا سيما وأنها ليست لطائفة أو جهة دون أخرى، بل هي ملك الأمة، لذا يجب على الأمة كلها أن تتحرك للمحافظة على المقاومة وضمان مستقبلها».

«إنّ كل المؤامرات التي تحاك ضد الأمة تنتهي عند إنجازات المقاومة الإسلامية التي هزّت إسرائيل وجعلت أبناء الأرض المحتلة يشعرون بأن الذين يتحركون في جنوب لبنان أقوياء رغم تواضع سلاحهم المادي وأنهم يمكن أن يكونوا مثلهم».

إنها كلمات في المقاومة، لكن السيد لم يكتف بالكلمات، بل أعطى المقاومة كل فكره وعمره، وسار في قافلتها، ورحل ملتحقاً بشهدائها.

ـ جندي في جيش الثورة:

وأتى العام 1979.. موسم الخير الإلهي.. وانفرجت شفتا السماء عن بسمةٍ لوجودٍ طافت في أجوائه الكآبة، انفرجت عن نهلةٍ

لأرضٍ شققها الظمأ، وكان زمن الإمام الخميني المقدّس زمن ثورة وحياة لأمة، وصار دليلاً للمستضعفين في رحلة العمر وغربة الحياة.. صار خيمة وجود ظلّلت استضعافهم وعذاباتهم..

إنه زمن الإمام المقدّس، ذلك المارد الذي انطلق من قمقمه ليهزّ عرش الطاغوت دون اعتماد علٰى القوة المادية، بل اكتفى بالقوة الإلهية وأعلن رفضه للشرق والغرب، وأن لا تبعية ولا استزلام..

ولقد كان السيد الشهيد من المجاهدين الأوائل الذين انضووا تحت لواء الثورة الإسلامية وفي طليعة تلاميذ ثورة الإمام، وكان من الداعمين لها بكل كيانه فكراً ولساناً وعملاً، ومن أشد المدافعين عنها والمتمسكين بنهجها ونهج قائدها وبخط ولاية الفقيه..

لقد أذاب السيد الشهيد نفسه في الإمام الخميني المقدس، وسار على خطى أستاذه الشهيد السيد حمد باقر الصدر الذي دعا الناس لأن يذوبوا في الإمام الخميني كما ذاب هو في الإسلام..

وكان السيد يرى في شخصية الإمام المقدس ملامح من علي والحسن والحسين عليهم السلام، وكان يرى في الجمهورية الإسلامية أفق الأمة، الأفق العزيز للإسلام ومنارة دربه نحو المستقبل الذي لا استكبار فيه ولا استضعاف، والذي يستنير بقبس الرسالة الإسلامية الذي أشعله الإمام الخميني بوقود روحه الخالدة وتعاليمه السامية..

من هنا، كان السيد الشهيد ينفخ الثورة في نفوس الشباب، ويعلّمهم الوفاء للإمام ونهجه وثورته العظيمة..

لقد كان السيد جندياً في جيش الإسلام الذي وضع نواته إمام الأمة، وتلميذاً قدوةً لثورته وتعاليمه، وشهيداً قضى وهو يعلي مداميك الثورة الإسلامية وفي سبيل قيام دولة الإسلام. .

- السيد الشهيد علماً وإعلاماً:

«نحن أمة تسعى على امتداد الوطن الإسلامي لأجل نهضتها والقيام من كبوتها، لذا ينبغي أن نتعرف أولاً على أسس وسبل النهوض التي يأتي العلم في طليعتها وأهم مرتكزاتها، فالعلم سلاح من يمتلكه يمتلك مقدّرات الحياة». .

تلك كانت نظرة السيد الشهيد إلى ضرورة العلم ووجوب التعلّم مدركاً بسعة أفقه وبصيرته النيّرة أنه لا يمكننا النهوض من وهدة التخلف الذي بذره المستعمر في أرضنا إلا إذا اتخذنا العلم وسيلة ونبراساً يضيء ليالي أيامنا، ويذكّر (قده) بأنّ البلاد الإسلامية كانت منبع العلم والاختصاص في كافة المجالات، في وقت كانت فيه أوروبا تغرق في جهل وظلام دامس، ولا زالت إلى الآن كتب المسلمين تدرَّس في الجامعات الأوروبية، وإن حضارة أوروبا بدأت بعد غزو الصليبيين للعالم الإسلامي واستفادتهم من العلوم والجامعات الإسلامية التي وضعت لهم المعالم الأولى لحضارتهم الحالية. .

السيد الشهيد كان يؤمن بأن العلم النظيف والإعلام الشريف الصادق يستطيعان السير بالبشرية نحو أسمى درجات التطور والرقي، وقال سماحته بأن أوروبا وأميركا لا تحكمان العالم الآن بالقيم المعنوية لأنها أبعد ما تكون عنها) وإنما تُحكمان سيطرتهما

على العالم بواسطة العلم الذي نفذوا به إلى أقطار السموات والأرض ويستخدمانه بشكل شيطاني لقهر الإنسان بدلاً من تسخيره لخدمة الإنسان ولمصلحة البشرية، وجاء إعلامهم ليكمل تلك الحلقة الجهنمية محاولاً أن يقيد بها أعناق الشعوب ويجرها كما القطيع السائب لخدمة غاياته ومصالحه..

ورأى السيد الشهيد أن على المليار مسلم وضع خطة متكاملة تتكامل فيها الثقافة وفي كافة مجالاتها مع السياسة والإجتماع، وبذلك نضع أولى خطواتنا في دروب التغيير الإجتماعي، وعندما تُضم المنابر القرآنية إلى المنابر الحديثة (كالتلفزيون والفيديو) نستطيع عندئذ السير بالأمة إلى درجات متقدمة، ويستطيع المؤمن بلوغ رسالات ربه بشكل سريع وصحيح..

واعتبر السيد الشهيد الإعلام من الوسائل المهمة التي يجب تبنيها شرط استخدامها بطريقة اقتران القول بالفعل، لأن الإعلام عندما يتحول إلى زخرفة وتشويش يصبح نفاقاً ودجلاً، وأكبر مثال ما أشاعه الحكام العرب عن إنتصاراتهم في العام 1967، ثم أفاقت الشعوب وذُهلت أمام مرارة الهزيمة وشناعتها..

ويرى السيد الشهيد أن أخطر أمر يقع به العاملون في الإعلام هذا الكذب، والدليل واضح في الإذاعات ووكالات الأنباء المستأجرة أو المأجورة، وإن الكذب يتجسد في إعلام الحرب أكثر من غيره، لذا قال الإمام الخميني (قده) للوفود التي زارت الجمهورية الإسلامية: «قولوا لشعوبكم الحقيقة.. قولوا ما رأيتم فقط»..

هناك من يعتقد أن العمل الإعلامي يجب أن يكون من خلال أجهزة محددة، وهذا ما طالب به البعض، حتى على صعيد أن يكون السياسيون وحدهم قادة للناس، وبذلك حظروا على الأمة أن تراقب وتحاكم. .

ويرى السيد الشهيد أنه يجب أن يتحول كل شخص مسلم إلى إذاعة، ليكون عندنا مليار جهاز متحرك في العالم، وبذلك ننشر الأخبار بكل بساطة، وهكذا فعل التجار في الجزيرة العربية، حيث كانوا يحملون سلعهم ورسالتهم (القرآن ليدعوا إلى الله،فمن قبل الدعوة باعوه سلعهم، وإلا رفضوا البيع. .

وعندما يتحول كل مسلم إلى مثقف إعلامي، عندها نكون خير أمة أُخرجت للناس. .

رأى السيد الشهيد أننا نعيش ثورة حقيقية على مستوى العالم، هذه الثورة التي وُلدت على يد الإمام المقدس، وهي ثورة إقتصادية وثقافية وفلسفية وإجتماعية واجتهادية. . ، وانه يلزم لبناء أمة موحَّدة في مواجهة الاستكبار وشتى التحديات أن يكون الأساس التربوي والتعليمي يقوم على أساس الانتماء لتاريخنا وقرآننا، وأنه يمكننا مواجهة الشيطان الأكبر أميركا من خلال إنشاء الأجيال وتعليمها التربية القرآنية التي تؤهلها لاحقاً لمواجهة كل قوى الشر والاستكبار (وليس أميركا فقط)، وبناء دولة الإسلام العزيز القائمة على العدالة والمساواة.

ـ الإشراق الأخلاقي في حياة السيد الشهيد:

هذا الصلب كصخرةٍ كتبت سِفر الأيام الخالية. . هذا الجاثم

بعباءة الإيمان على درب الحق.. هذا السيف الساقط ندى.. هذا العنق اللاحق بالمدى.. أي سرٍ فيه؟.. أي انبهار رائع يجذبك إلى نهار عينيه.. إلى صحو عينيه المزهرتين كعيد.. المزغردتين بمحبة.. الكاشفتين عن عمق أعماقه وما في هذا العميق من طيبة وحنان وصلابة إيمان.. أي قلب بريء مترع بالحنان يملأ شغاف هذا الصدر النابض بالمحبة.. الخافق بالرحمة.. وأي كبر في هذا المارد بجهاده يجعله ينحني على يد شيخ أو ينثني أمام طفل ليقبّل وجنته أو يداعب رأسه.. أو يمسح دمعة كرجت على خديه.. وأي دافع كان يحثه على ترك رقاد الليل ليجول على عوائل عضّت نهاراتها ولياليها أنياب الفقر والحاجة يحمل إليها ما يقيم أودها أو يسد رمقها.. أو يتفقد أيتاماً تركهم معيلهم إلى دنيا الحق ولم يبق لهم إلا الله ونفوس آمنت بالبرّ طريقاً إلى مرضاته.. لقد كان رحمه الله جواب النداء اللاهف، وسكينة للقلب الواجف.. أحب المساكين.. وعطف على الفقراء.. وعاش معهم.. عاش همومهم وأحزانهم وشقاءهم وحرمانهم.. كان شريكهم في الجرح وكان جفنهم في الدمع.. وكان صوتهم الصارخ المطالب بعدل الحاكم؟.. كان يرتاح لمعايشة أولئك الذين يشتاقون إلى كسرة خبز ويمضون يومهم سعياً وراءها نظيفة شريفة.. وكان يسعى بكل أمانة لرفع الحرمان والشظف عنهم..

كان يعيش هاجس عائلات الشهداء.. يفكر.. ويبحث.. ماذا عسانا نقدم لأبناء أولئك الذين قدموا أنفسهم وأرواحهم لله.. وكان يذهب إليهم في بيوتهم.. يتفقدهم.. أباً حنوناً.. وقلباً كبيراً.. ودمعاً سخياً يكتب سطور نبله على وجنتيه الطاهرتين..

كذلك كانت حاله بالنسبة لعائلات أسرى المقاومة، يزور أهاليهم.. يتفقد أحوالهم.. يسأل عن حاجاتهم.. ويسألهم الصبر الجميل.. وأنه لا بد من نهاية لهذا الليل الطويل.. وأن الفجر آت على ضوء تضحيات أبنائهم.. لم تلهه المسؤولية.. مسؤولية المنصب.. عن مسؤولية الضمير.. فهو أبداً يرعف إيماناً وينزف تواضعاً، وكم مرة بكى لدمعة ثكلى أو شكوى يُتم.. وكم من مرة رآه الناس بين «جماعته» الفقراء والمستضعفين.. يحادث هذا ويسائل ذاك..ويمدّ حواراً إنسانياً.. أو حديثاً قلبياً مع بائعي الخضار على عرباتهم يسألهم عن أحوالهم ويشاركهم في مشاكل حياتهم..

لم يعش الموسوي في برجٍ عاجي بعيداً عن الناس وعن سماع أنّات قلوبهم وزفرات صدورهم، بل عاش بينهم وفيهم: يُفرحه ما يُفرحهم، ويُضنيه ما يُضنيهم.. عاش فرداً فقيراً بين أناس فقراء.. وأحبهم وأدخلهم حنايا قلبه الخافق بحب الفقراء والمستضعفين. وكان احترامه للآخرين جليّاً يظهر في كل تصرفاته.. يظهر في حدبه عليهم.. وفي إصغائه لشكواهم.. في مؤاخاته لحالهم البائسة.. في محاولته التقليل (قدر الإمكان) من بأسائهم وتعاستهم.. وإزاحة الكوابيس عن صدورهم..

لقد استقى السيد تواضعه من معين أهل البيت ﴿عليهم السلام﴾.. بيت جدّه رسول الله ﷺ.. فكان خير خلف لخير سلف.. ومثّل بمسلكيته الحياتية نهجهم وأخلاقهم وامتداد النبوة الكريمة في تصرفاتهم..

ويا أيها الضارب أبداً في الذاكرة.. الحاضر أبداً على جناح التذكّر.. الجباه التي لامستها يدك في ضرائها سرى فيها عنفوان إيمانك.. والدموع التي كفكفتها بأنامل رأفتك تحولت عزماً وتصميماً على المضيّ في متابعة طريقك وتنفيذ وصيتك.. بحفظ مقاومتك بالهدب.. بالقلب.. بمزق الشريان.. وفوح عبير الدم.. وإن القلوب الكسيرة التي أحييتها يوماً بتواضعك وزهدك بترف الحياة وغناها.

ويا أيها السيد الشهيد: جسدك غاب، وروحك ما زالت راية كرامة وعنوان بقاء، وصوتك ما زال يهدر شلال إيمان وأخلاق لينهمر في ذواتنا طمأنينة وسكينة وبرداً وسلاماً..

- الشهيد وهموم إسلامية:

القلب الكبير كاتساع المدى.. كان فيه لكل همّ إسلامي صدى.. اتسع لكل أنّةٍ موجوعة.. ولكل آهةٍ زفرها شعب يتقلب على لظى الاستكبار.. ومن الفرادة التي تمتع بها السيد ﷺ أنه حمل في كيانه نهر أحزان.. وشلال أسى.. يهدر كلما أصيب الجسم الإسلامي بخلل أو أصابته نائبة.. فهو إلى جانب هموم وطنه وشعبه الكثيرة، تشعبت اهتماماته في كل مناحي الوطن الإسلامي.. وحيثما كان جرح يرعف تراه يهرع إلى بلسمته بماء القلب الطاهر.. بدمعة العين السكوب.. لقد عاش مأساة شعب فلسطين مذ كان يافعاً.. بل وشارك عملياً في محاولة إزاحة كابوس الإحتلال أو على الأقل إقلاق راحته، وآخى بين جرح أهل الجنوب وجرح أهل الداخل الفلسطيني.. وعاش أيامهم.. عاش انتفاضتهم

بكل كيانه.. بكل مشاعره المرهفة.. بكل إحساسه بوحدة الإنسان ووحدة المصير بين الشعبين الأخوين..

ولقد تجاوز باهتماماته شؤون وشجون شعوب المنطقة إلى شؤون وشجون كل الشعوب الإسلامية والمستضعفة في كل صقع وبلد من جنوب أفريقيا وحتى الشرق الأقصى.. ولقد رسمت أحداث الجزائر غيوم حسرة وكآبة في أعماق قلبه الكبير، كما أنه لم ينس هموم مسلمي آسيا الوسطى، ومآسي وعذابات مسلمي كشمير المجاهدة..

كانت قضايا المسلمين خبز صباحه.. ووسادة ليله.. ليس بالقول فقط.. بل أن السيد كان يُقرن تعاطفه القلبي واللساني بالفعل والجهاد.. بوجوده في كل خندق إسلامي متقدم، وكان (قده) جندياً من جنود الإسلام في إيران خلال الحرب التي فُرضت عليها، وكان من المجاهدين الذين عاشوا عمليات الفجر قبل أن يُطلب منه العودة إلى لبنان الذي يواجه مشاكل وتحديات تتطلب أن يكون السيد فيه أكثر مما يتطلبه وجوده في إيران الإسلام..

ولقد شارك ﷺ بمؤتمرات إسلامية كثيرة في دمشق وطهران وإسلام آباد وألمانيا، وأقام علاقات مع القادة الثوريين الذين نشأت بينه وبينهم جسور احترام وتقدير، ومن هؤلاء العلامة الشهيد عارف الحسني (زعيم الشيعة في باكستان) والذي زار لبنان في نيسان 1988 حيث رافقه السيد في جولة على عدد من القرى الصامدة والعديد من ثغور المرابطة ومحاور القتال ضد العدو الصهيوني، ثم استقبل فيما بعد وقبيل استشهاده أحد أبرز علماء أفريقيا، وكان حديث

طويل حول وضع مسلمي أفريقيا وضرورة تحريك كل الحوافز المكبوتة في مستضعفي الأمة لتنهض وتأخذ مكانها تحت شمس الوجود.. وكان السيد يعتبر أن مسيرة الإسلام هي قافلة من الفقراء والمعذبين يمشون حفاة عراة ولكنهم يرفعون آفاقاً جديدة للحياة يرهبها الطاغوت ويخافها المستكبرون..

أما زيارته إلى باكستان للمشاركة في مؤتمر كشمير، فكانت بدعوة من قِبَل «حركة تنفيذ الفقه الجعفري»، وعندما أراد تلبية الدعوة نصحه المعنيون بعدم القيام بذلك، ولكن السيد أصرّ على التوجه إلى هناك، حيث أقيم له استقبال حافل وأحيط باهتمام ملفت من قبل جميع المؤتمرين، وألقى السيد كلمة تناول فيها أهم قضايا الإسلام والمسلمين، وأشار إلى أن على الشعوب المسلمة في كل مكان أن تقرر مصيرها وأن يكون قرارها حراً وغير خاضع لأي ضغط أو مساومة أو ابتزاز..

زيارة السيد إلى باكستان (في 21 ـ 3 ـ 1990) كانت مفاجأة إن لم نقل صفعة للاستكبار العالمي: لناحية أن يمتد حزب الله باهتماماته الإسلامية إلى تلك البلاد، وعلى الرغم من المخاطر التي كانت تحيط بالزيارة، إلا أن السيد كان يعرف مسؤوليته بعمق أمام الله، ويدرك أن الصراع مع الاستكبار طويل ومرير، ولقد تبع نهج الأئمة الأطهار عليهم السلام بإكمال المسيرة، وإن كان يعرف أن ثمنها الدم..

ثم قام السيد الشهيد بزيارة إلى كشمير بدعوة من رئيسها سردار عبد الحي قيوم، فتفقد مخيمات المهاجرين في مظفر آباد، حيث

اطلع على أوضاعهم وحثهم على السير في دروب الله ومتابعة الجهاد: «لأن لا أحد يحرر لكم أرضكم سوى البندقية والدم.. ونحن بإذن الله معكم حتى آخر أنفاسنا»..

ولقد كان لقاء السيد بمجاهدي كشمير لقاء الثائر بالثائر، ففتحوا له صدورهم وبثوه آلامهم، وعانقوا روحه، وعانق أرواحهم، قائلاً لهم كلمته المحببة التي طبعت شخصيته بطابع التواضع: «نحن بخدمتكم.. نحن لكم.. وقد جئنا للوقوف بجانبكم وتأبي دثورتكم ومؤازرتكم في وجه الطامع المحتل»..

إنه الهم الإسلامي الشامل يجعل السيد يقول نفس الكلمات ويقف نفس الموقف في كل الأماكن.. في لبنان.. في أهل ثورة الداخل.. في باكستان.. وفي كشمير..

ولقد وجّه ﷺ قبيل مغادرته كشمير رسالة إذاعية إلى الثوار تعهد فيها بنصرة قضيتهم التي هي قضية كل الإسلام، وتمنى عليهم أن يكونوا أحراراً في مواقعهم.. خلفاء الله على أرضه بالعزة.. لأن العزة هي الأساس في شخصية الإنسان المسلم.. وختم رسالته بالقول: «طالما كنتم مع الله فأنتم أقوياء.. وطالما اعتمدتم عليه فلن يكون لكم سوى النصر.. بإذن الله»..

بعد كشمير، قام السيد بزيارة أفغانستان، حيث التقى بزعمائها وقادة فصائلها المجاهدة، ودعاهم إلى توحيد صفوفهم ليحققوا أهدافهم مردداً: «إنني أرى أن زيارتي إلى باكستان مبتورة إن لم ألتق إخواني المجاهدين والمرابطين في أفغانستان ضد الاستكبار السوفياتي»..

وكان السيد قد عبر إلى أفغانستان بالطريق التي يسلكها المجاهدون، وصلّى شكراً لله حين داس أرضها المجاهدة. والى جانب لقائه بالمجاهدين، زار السيد هناك قبور الشهداء وبعض معسكرات المجاهدين، حيث بث في نفوسهم روح الجهاد والرحيل إلى الله عز وجل عن طريق الحق وفي سبيله..

ولقد غادر ﷺ أفغانستان وقلبه مع ثوارها ودمعه على أيتامها وثكلاها..

ـ سيد شهداء المقاومة:

أيّ حلم بالشهادة.. حُلم هذا الراكع في محراب الشهادة يعدّ أيامه.. يعدّ لياليه.. تلك الليالي التي كان يحييها بالصلوات والدعاء أن يكرمه الله بالشهادة.. أن يجعله حرفاً من حروفها.. نبراساً.. قبساً مضيئاً في حلكة الأيام الغاصة بالعذابات.. الطافحة بالوجد.. بالشوق إلى نهارات تشرق فيها الشمس وتغمر حقول القرى.. فيزهر الجو بالأرج العابق بالطمأنينة والحرية.. ويتلاشى صوت البوم.. نعيقه الزاعق على روابي القرى وتلالها.. رصاصاً وفحيح قنابل مجرمة..

وكان السيد الشهيد يعرف ويدرك أن ذلك اليوم الذي يشرق فيه السلام على هذه الأرض المعذبة ليس بعيداً.. وأن كل شهيد يسقط في سبيل هذه الأمة.. وهذا الغد يكتب بدمائه جزئاً من كتاب الحرية.. وإن كل نقطة دم تنزف من جراح شهيد تطهّر الأرض.. بل وتعمّم حالة الطهارة والتحرير على كل الأمة.. وخصوصاً في أمة الإسلام العظيمة التي نفضت عنها هذه الأيام ثوب الذل عبر قيام

الإمام الخميني (قده) وعبر عشرات الألوف من شهداء الإسلام في إيران وأفغانستان وفلسطين ولبنان وفي كثير من شعوب العالم الإسلامي كله..

نبيلٌ هذا الفداء، وعميقٌ هذا الصوت المتهدج.. الممتزج بالدمع كلما طرق السيد باب الحديث عن الشهداء..

إنه يعتبر أننا كأمة إسلامية أحق من غيرنا بوقفات تأمل واستشراق أمام دماء الشهداء، وأن نقف بإجلال أمام بطولاتهم.. أن تدفأ نفوسنا بجمر دمائهم الفائرة من جراحهم، وأن نتخذ تضحياتهم مثلاً يحتذى وسيرة تقتدى.. وأن يبقوا في ذاكرتنا.. في ذاكرة الأمة كلها.. تستمد من بطولاتهم قبس المثابرة على السير دوماً وأبداً في دروب الكرامة.. والكرامة لا تأتي.. لا تكون إلا مجبولة بدماء الأبرار..

إن الفارق بين أمة ارتضت وحل الذل تمرّغ فيه كيانها وكرامتها وبين أمة سارت في معارج النصر وخطّت سيرتها في جبين السحاب، هو فارق معنوي.. فارق بمعنى الفهم العميق للحياة: بين أن تبني الحياة على وقع تشظي الأجساد الطاهرة.. وبين أن تسير مرحاً وبشكل أفقي ليس له أي سبر لصدر الأرض..

لقد تطلع ﷺ دائماً نحو مآثر الشهداء ومنائر جهادهم، واعتبر إرادة المرء هي الأساس لتحديد مسار حياته، فالأمة التي تطلب الشهادة هي لا بد منتصرة وعزيزة.. وها هي أمتنا تعبّر عن إرادتها في إيران ولبنان وفلسطين بمستوى عالٍ ولتقول للمستكبرين: ناطحوا صخرة استضعافنا وستخسرون قرونكم بإذن الله.. وسنبقى..

لقد ملأ حلم الشهادة فكر الشهيد، وسكن في نفسه، فصارت هاجسه، وصار الشهداء رفاق خواطره.. يذكرهم كلما أصبح وأمسى.. ويدعو لهم بالسكنى في فسيح الجنان، بل ويغبطهم أحياناً لأنهم سبقوه إلى هذه الكرامة التي رغبها وسعى إليها دوماً، وقد اعتبر (قده) شهداء ميدون وتلة الخزان والحقبان نجوماً شعّت في ليلنا الدامس فأنارته ورفعت فجراً من العزة والكرامة يعيش شعبنا ببركتهما دقائق وساعات وجوده..

ـ الاستشهاد:

السادس عشر من شباط/فبراير من كل عام.. تاريخ يختصر التاريخ.. ومحطة تختزل الأيام السمان العجاف في آن..

وللتاريخ ذكرى. وللمحطة قطار ومسافات.. وما بين 16 شباط/فبراير 1984 و16 شباط/فبراير 1992 مسافة ما بين استشهاد الشيخ راغب حرب (شيخ شهداء المقاومة الإسلامية) واستشهاد أمين عام حزب الله السيد عباس الموسوي (سيد شهداء المقاومة الإسلامية)..

لكن صباح الأحد 16 شباط/فبراير 1992 كان مختلفاً، فالمقاومة الإسلامية التي روى غرسها شيخ الشهداء قد أينعت وأصبحت شجرة طيبة أصلها ثابت وفرعها في السماء تؤتي أُكلها كل حين والله يضاعف لمن يشاء.. و«حزب الله» انتخب أمينه العام للمرة الثانية وأصبح أكبر من الأيام وأقوى مما كان، فالسنوات الثمان كنّ سماناً، والذين أرادوا أن يطفئوا بأفواههم نور الله انطفأ نور بصيرتهم ليتم الله نوره ولو كره الكافرون..

وهكذا، حمل السيد الموسوي الأمانة ليقود المقاومة في مرحلة السلم الأهلي كما قادها في مرحلة الحرب باتجاه الإحتلال الجاثم على تراب الجنوب على مسافة كيلومترات من جبشيت..

ومع ذلك، أصرّ «حزب الله» على أن يكون احتفال الذكرى الثامنة لاستشهاد الشيخ راغب في قلب جبشيت، وذلك على مسافة أمتار من مرقد شيخ الشهداء، وأصرّ الأمين العام على حضور الاحتفال.

ولم يكن الأمين العام وحده في هذه الأجواء، بل كانت جماهير المقاومة تستعد للذكرى المعلن عنها، وحينما حل الموعد، تقاطرت وفود إلى جبشيت من كل حدب وصوب ملبيةً النداء، فجاؤوا من الجنوب وبيروت والبقاع متحدين إرهاب العدو وتهديداته في الأرض والسماء، وكان آخرها الكمين الليلي الإرهابي على طريق جبشيت ـ عدشيت، والذي كان يهدف لخطف قياديين من حزب الله، لكن المشيئة الإلهية كانت بالمرصاد، فأحبطت محاولة العدو وباءت القرصنة بالفشل..

لكن الأجواء الأمنية صبيحة ذلك اليوم لم تكن طبيعية، أو عادية كما في الأيام الأخرى، فقد قامت قوات الإحتلال بقصف عدد من القرى الجنوبية والمخيمات الفلسطينية، وزاد الوضع خطورة تحليق طيران العدو الحربي والاستطلاعي طيلة الليل وصبيحة النهار في أجواء الجنوب، مما أوحى للمراقبين أن شيئاً ما سيحدث..

صحيح أن قرى الجنوب اعتادت على مواجهة اعتداءات العدو بشكل يومي، لكن العدوان الصهيوني عشية ذلك اليوم بلغ ذروته..

وصحيح أن طائرات العدو يعرفها أبناء الجنوب ويتشاءمون منها، لكنهم لم يعتادوا على رؤيتها ليلاً والسهر والنوم والاستيقاظ على صوتها بشكل مستمر..

وعندما انتهى أحمد ابن الشيخ راغب من كلمته، وقف السيد الموسوي وصافحه مهنئاً، ثم سأله: «هل تريد شيئاً من والدك؟» فنظر أحمد إلى السيد عباس وابتسم..

أما السيد الشهيد فكانت كلمته بمثابة الوصية الأساس التي حددها بـ «حفظ المقاومة الإسلامية»..

وقال سماحته: «سيعلم العالم أننا كما كنا السبّاقين إلى مقاومة الإحتلال، سنكون السبّاقين إلى مقاومة الإهمال والحرمان والاستضعاف، إننا نعلن هذا الموقف بوجه الدولة اللبنانية، ونقول لها بصراحة: إذا لم تتحملي مسؤولياتك تجاه المناطق المستضعفة، وخصوصاً تجاه هذا الجبل جبل عامل، فسنحملها نحن من خلال هذه الجماهير، لأن هذا العصر هو عصر الشعوب، وليس عصر الدول، وإننا بالشعب الذي أسقط 17 أيار وأخرج إسرائيل ذليلة من لبنان سنحمل مسؤولياتنا وسنحمل راية الجهاد والمواجهة حتى تسقط هذه الدولة، وليكن ما يكون، لأن كرامتنا فوق كل كرامة وعزتنا فوق كل عزة»..

ـ في الطريق إلى الشهادة:

انتهى الاحتفال، وطائرات الاستطلاع لا تزال في الأجواء، ولكن الحضور بدل أن يتفرقوا كما جرت العادة بعد كل احتفال:

خصوصاً في هكذا أجواء تحلّقوا حول الأمين العام، وتزاحموا على مصافحته أو رؤيته عن قرب على الأقل، فهو الذي عوّدهم على أن يكون واحداً منهم وبينهم، وهو الوحيد الذي يستطيعون بثّه شكواهم ليستمع إليها، وفي طليعتها تراجع الزراعة وصعوبة تصريف المنتوجات، وعدم شراء الدولة لمحاصيل التبغ الذي يعتاشون منه، وإذا اشترته فبأسعار زهيدة تزيد من خسارتهم.

كانت كل هذه الأمور عناوين أحاديث الناس مع أمين عام «حزب الله»، من حسينية جبشيت إلى جنة الشهداء فيها، حيث زار معهم الشهداء وشيخهم، وقرأ الفاتحة معهم ماسحاً الغبار عن قبر الشيخ الشهيد بيده اليمنى ليمسح بها جبهته الشريفة..

ومن هناك إلى منزل شيخ الشهداء، كعادته في كل مرة يزور فيها جبشيت أو أية قرية أخرى، لا يخرج منها إلا بعد أن يزور شهدائها وعوائلهم، هكذا كان يوم زار كفرا قبل أن يصبح أميناً عاماً لـ «حزب الله»، وهكذا كان في ذلك اليوم بعد أن أصبح أميناً عاماً..

ومن منزل شيخ الشهداء حيث تناول السيد الشهيد طعام الغداء مع أسرة الشيخ، انتقل إلى بلدة الشرقية حيث منزل أهل الشهيد أحمد شعيب، فبلدة كوثرية السياد التي ما أن خرج الموكب منها ليشرف على بلدة تفاحتا حتى كانت ثلاث طائرات استطلاع للعدو تتبع الموكب وتلاحقه..


وينتبه أحد المجاهدين المرافقين للسيد لخطورة الوضع، فينبّهه للأمر، لكن الجواب يأتي مطمئناً من نفس مطمئنة: «أتخافون الموت؟.. من يريد الموت لا يهمه إذا كان الموت قريباً منه

أو بعيداً عنه».. ويقطع الكلام دويّ انفجار هائل، مروحية «كوبرا» تحمل صواريخ حرارية حارقة تطلق صاروخاً غادراً يصيب سيارة السيد من الخلف، فيما قامت مروحية أخرى بالانقضاض على الموكب، وفي لحظة كانت سيارة من نوع رانج روفر تحاول حماية سيارة السيد، انتشر المجاهدون المرافقون في مواضع قتالية، فقاوموا الطائرات بما لديهم، وأصيب بعضهم، لكن مهمة الطائرات الأخرى كانت ملاحقتهم وعدم السماح لأي شخص أو سيارة بالاقتراب من الموكب، وعندما حاولت سيارة مدنية صودف مرورها في المكان الاقتراب، انقضت عليها طائرات أخرى، فتركها ركابها قبل لحظات من تدميرها، وتبين أن طيران العدو كان ينصب أكثر من كمين قرصنة في الجو، بحيث لو فشل الكمين الأول يقوم الكمين الآخر بالانقضاض، وذلك لتدمير أي سيارة تفلت من الكمين لاحتمال أن يكون السيد الشهيد فيها..

وهكذا، استمر العدوان قرابة العشر دقائق، اتجهت بعدها المروحيتان المكلفتان بالعدوان إلى أجواء الشريط المحتل، وفي هذه الأثناء كانت سيارة مدنية تسارع إلى المكان لتنقل ما تيسر لها من مصابين وتتجه شمالاً نحو الزهراني، لكن إحدى المروحيات كانت تكمن لها وتنقض عليها بصاروخ دمرها وقتل سائقها المدني والجريح المصاب، ولم تغادر المروحيات سماء المنطقة إلا بعد أن تأكدت من تدمير الموكب بشكل كامل وعدم نقل أحد منه، ومع ذلك سارع أهالي المنطقة إلى المكان ونقلوا بسياراتهم الشهداء والمصابين إلى المستشفيات وسط حزام من الدخان الكثيف الذي غطى سماء المنطقة حتى المساء.

الفهرس







مركز الشرق الأوسط الثقافي